المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — تموز – ايلول ١٩٣٦

رسالة

في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لابي علي بن سينا *

نشرها وعلّق عليها

محمد ثابت الفندي

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة)

مقدمة الناشر

ما زالت دراسة ابن سينا تتسع للكثير من الجهود الموفَّقة ، رغم ما نُشر له من المصنفات وما كتب عنه من الكتب والمقالات . ولعلّ أولى تلك الجهود بالتقديم ما انصرف الى إحياء مؤلفاته التي لم تُنشر بعد ، والتي ما برحت مبعثرة هنا وهناك في مختلف مكتبات الشرق

*) المشرق — ننشر هذه الرسالة لما لها من المكانة التاريخية والفلسفية . اما ما يتخلل محاسنها من الاضاليل فلا يشكل على القارئ اللبيب تفنيده .

والغرب. فجمعُ تلك المؤلفات وطبعُها طبعةً علمية أمرٌ يحسّ ضرورته كل من حاول أن يدرس هذا الفيلسوف ، فألمّ بأسماء كتبه وعرف مـا بقي منها على قيد الحياة وما تصرّفت به أحداث الزمان ، وما طبع من ذلك الباقي وما لم يطبع بعد.

قدّمنا هذا بعد أن عكفنا على دراسة هذا الفيلسوف أعواماً عدّة وأحصينا مؤلّفاته في ثبت جامع[1] ، وتلمّسنا حياته وفلسفته في كل مظانّها ، فلم نتردد بعد هذا كله إلّا يقيناً بنقص تلك الدراسة لكثرة ما له من الكتب وأجزاء الكتب المخطوطة التي لم تمسها يد ناشر بعد. لذلك صحّت منا العزيمة على أن ننشر ما وقع إلينا من مؤلّفاته أثناء دراستنا له[2] قبل الإقدام على إذاعة نتائج تلك الدراسة. ومن هذه المؤلّفات « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها ».

أغفلت ذكرَها المراجعُ الاسلامية القريبة لعهده ، فلم يذكرها فيما ذكر له من الكتب : ابن القفطي ، وابن ابي أصيبعة ، والسمرقندي[3] ، وظهير الدين البيهقي[4] ، وأحمد بن محمد الشهرزوري[5] ، وابن خلّكان. وأول من أشار إليها من مؤلفي الاسلام حاجي خليفة في كتـابه « كشف الظنون » ، ولم يذكرها باسمها بل اكتفى بأن قال : « ... وله رسالة حررها في عام النفس وجعلها ثلاثة فصول أولها: الحمد لله الذي لا يخيب من بابه آمل »[6]. وذكرها من مؤلفي اوروبة بروكلمان بعنوان « رسالة في النفس النـاطقة وأحوالها »[7]. وأشار الى انها توجـد في برلين برقم ٥٣٤٢ .ولقد عثرتُ ، بعد البحث الطويل بين بضعة

---

١) سيُنشر مما قريب في القاهرة.

٢) من اهم هـذه المؤلفات : المباحثات ، المجـروع ، الموسيقى (جزء من الشفاء) ، الردّ على المنجّمين ، النفس ، الشمريّات ، بعض كتاب الإنصاف ، ورسائل أخرى صغيرة.

٣) نظامى عروضى السـمرقندى : جهار مقاله، الترجمة الانجليزية ، سلسلة جب التذكارية، انظر مواضع مختلفة.

٤) له كتاب في تاريخ حكماء الاسلام : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ تاريخ.

٥) له كتاب في تاريخ الحكماء هو « روضة الافراح » مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية

٦) حاجى خليفة : كشف الظنون . طبعة بولاق ١٠ : ٤٢٤ ، س ١-٢

٧) Brockelmann, *Gesch. d. ar. Litt.* II, 454

آلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي ضُمَّت الى مكتبة الجامعة المصرية من مكتبة المرحوم محمد طامت بك ، على نسختين من هذه الرسالة: إحداهما كاملة مستقلّة مكتوبة بخط فارسي واضح جميل ، عنوانها مخالف بعض المخالفة لما ذكره بروكلمان وهو « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها »[1] ، والأخرى ناقصة وتوجد ضمن مجموعة خطية من الرسائل في نفس المكتبة[2] . كذلك توجد بدار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية من نسخة برلين .

فلما اكتملت لي هذه النسخ الثلاث رأيت أن أعدّ هذه الرسالة للنشر بعد المقارنة والتصحيح. وقد رمزت لها على الترتيب بالحروف : ب ، ج ، د .

وليس في هذه الرسالة ما يدلّ على تاريخ تأليفها ، غير أن الناظر في كتب ابن سينا المختلفة قد يستطيع القول بأنها من أوائل تصانيفه ، ولعلها ترجع الى أيامه الاخيرة ببخارى (عاش بها الى ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م ، وكان قد وُلد عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) أو على الاكثر الى أيامه بكركانج عاصمة خوارزم (من ٣٩١ هـ = ١٠٠١م الى ٤٠٣ = ١٠١٢م) . لأنها تحمل في ثناياها « بذور » بعض براهينه على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن ، تلك البذور التي نجدها فيما بعد مترعرعة نامية في كتبه المتأخرة كالشفاء والاشارات مثلاً . فالبرهان الثاني في هذه الرسالة هو في الواقع الثالث من براهينه في كتاب الشفاء[3] (مع تفاوت واضح) لأن مؤدّاهما واحد هو إيجاد حالة نفسية تغفل فيها النفس تماماً عن كل ما هو بدني فلا تشعر إلا بإنيتها الخالصة ، فإذا وصلت الى ذلك استطاعت أن تدرك إن جوهرها مغاير لجوهر البدن[4] .

---

١) انظر المخطوط رقم ١١٧٧٦ بمكتبة الجامعة المصرية ، ص ١

٢) انظر المخطوط رقم ١٣٠٠١/١ بنفس المكتبة.

٣) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، المقالة الخامسة ، الفصل السابع ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣

٤) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٣٦٣ ؛ وقد ذكر هذا البرهان ايضاً في موضع متقدم من الشفاء ، انظر النفس ، م ١ ، ف ١ ، ص ٢٨١ ، س ٢٢ وما بعده. ولم يذكره في النجاة ولكنه ذكره في الاشارات ، انظر طبعة ليدن ١٨٩٢ ، ص ١١٩ . وقد أثبت العلامة فورلاني Fourlani أن النصّين الواردين في الشفاء عن هذا البرهان كان قد نقلهما الى اللاتينية الفيلسوف غليوم اوفرني Auvergne ، وذهب هذا العلامة ، الى

والبرهان الثالث في هذه الرسالة هو أيضاً الاول في الشفا.[1] ومؤداهما هو ضرورة وجود مبدأ واحد تجتمع فيه المدركات على اختلافها : ظاهرة وباطنة.

أمـا برهانه الاول في هذه الرسالة فلم نعثر له على نظير صريح في كتبه الاخرى[2] مما يجعل لهذه الرسالة قيمة خاصة في نظرنا.

وسنشير في التعليقات على هـذه الرسالة الى المواضع التي يمكن أن يرجع إليها في كتبه الاخرى كلما دعت الحاجة. وها هوذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة

فى معرفة النفس الناطقة واحوالها

لأبى على بن سينا

الحمد لله الذى لا يُخيِّب من بابه آمل ، ولا يُحرم عن جنابه عامل ، ولا يَحجب العـارفين عن ورود مناهل مشاهـدة أنوار جلاله مانعٌ وحائل ، ولم يمنع المشتاقين للقائه عن الصعود من حضيض الفراق الى أوج الوصـال ناقص

إمكان اطلاع ديكارت على هذه الترجمة للشبه القوي بين برهان ابن سينا المذكور وكلام ديكارت في التمييز بين الجسم والنفس (مقال *Avicenna Cartesio, Il Cogito, Ergo Sum* في مجلة *Islamica* ، ج ١ ، م ٣ ، ص ٥٢ وما بعدها ، ليبسك ١٩٢٧).

١) الشفا ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٣٦٣

٢) قد أورد ابن سينا براهين أخرى على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن في رسالة صغيرة عنوانها « النفس » أسماها براهين المناطقة (انظر النفس ، مخطوط رقم ٣٩٧ فلسفة بدار الكتب المصرية ، الفصل الثامن).

أو كامل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص لمشاهدة جلاله سِرُّه ، وعرض في منازل[١] التوحيد على أعين النظار سِرَّه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عقد على أجياد أرواح الابرار قلائد الاسرار ، فصلوات الله عليه وعلى آله الاخيار. وبعد فهذه رسالة حررتها في علم النفس ، وجعلتها ثلاثة فصول :

الفصل الاول في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن.

الفصل الثاني في بقاء النفس بعد فناء البدن.

الفصل الثالث في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس عن[٢] البدن.

ثم ألحقت بها خاتمة أذكر فيها العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل ، وعالم النفس ، وعالم الجسم[٣] ، وترتيب الوجود من لدن[٤] الحق الاول الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل من عنده تعالى ، ليكون الناظر في هذه الرسالة مطلعاً على جُمل من أجناس المخلوقات وشطرٍ من أنواعها ، فاهديت[٥] هذه الرسالة التي هي مشتملة على أهم المطالب وهو معرفة الانسان نفسه وما يؤول اليه حاله بعد الارتقاء[٦] ، وأيضاً فإن معرفة النفس مرقاة الى معرفة الرب تعالى كما أشار اليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه .»[٧]

---

١) في ج : منازله. في ر : بياض.

٢) في ج : عن ناقصة.

٣) في ج : المادة بدل الجسم.

٤) في ر : لدى بدل لدن.

٥) في ب ور : فأهديته واهديته (على الترتيب).

٦) في ب : « جدا » بعد الارتقاء.

٧) هذا حديث في بعض المراجع ، قال كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » : « قال السمعاني إنه لا يُعرف مرفوعاً. وقال النووي ليس بحديث ، ونسبه بعضهم الى ابي سعيد الخراز ، وبعضهم الى يحيى بن معاذ الرازي » اه. وقد نسبه ابن سينا نفسه الى علي ابن ابي طالب ، وذلك في كتاب « المباحثات » الذي جمعه عنه تلميذه كياريس ، انظر المباحثات ، مخطوط بالقاهرة رقم ٣٩٢ ، ص ١

ولو كان المراد بالنفس فى هذا الحديث هو[١] هذا الجسم لكان كل أحد عارفا بربه ، اعنى خصوص معرفة ، وليس كذلك ، فهذه الرسالة تهديك الى الاسرار المخزونة في عالم النفس الذى[٢] غفل عنه الدهماء من الناس بل أكثر العلماء عنه غافلون. ولهذا أوحى الى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، ثم قال عقيبه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[٣] تنبيها على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الاشارة المختصرة الى فوائد هذه الرسالة. فلنشرع فيما ذكر من الفصول بتوفيق الله وحسن هدايته :

الفصل الاول

فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

فنقول: المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله « أنا » ، وقد اختلف أهل العالم[٤] فى أن المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن[٥] أكثر الناس وكثير من المتكلمين[٦] أن الانسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنما يشير اليه بقوله « أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سنبينه .

---

١) في ب و ج : فهو .
٢) في ج : انتي .
٣) الآية ٨٥ من سورة الاسراء ، ص ٢٧٦ من مصحف الملك .
٤) في ب : العلم .
٥) في ب : « ان » بعد ظن .
٦) نحت انظار المتكلمين في النفس نحوًا ماديًا في معظم الاحيان ، ولم يشذ عن هذا المعتزلة انفسهم اذ نجد بعض زعمائهم كأبي اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام († ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م) يذهب الى ان الانسان هو الروح وهي جسمانية (الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، طبعة ريتر بالقسطنطينية ، ٢ : ٢٢١ ، ٢٢٢) ومنهم محمد بن عبد الوهاب ابن سلام الجبائي († ٣٠٣ = ٩١٥ م) الذي يذهب كذلك الى ان الروح جسم (المؤلف نفسه ٢ : ٢٢٤) .

والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولا جسماني بل هو جوهر روحاني فاض على[1] هذا القالب وأحياه واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بهما ويصير عارفاً بربه عالماً بحقائق معلوماته فيستعد بذلك للرجوع الى حضرته ويصير ملكاً من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الربانيين ، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالانوار الالهية . ولنا في صحة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين :

البرهان الاول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذى كان موجوداً جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبداً في التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحار إذا أثر في الرطب تحلل جوهر الرطب حتى فنى بكليته كما لو[2] يوقد عليه النار دائما فإنه يتحلل الى أن لا يبقى منه شيء ، ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة نزل[3] وانتقص قريب من ربع بدنه ، فتعلم نفسك[4] أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنك ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والاوهام ، فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره .

---

١) « على » زائدة من الناشر .
٢) في ج ور : لو ناقصة .
٣) في ب : زل بدل نزل .
٤) في ج : نفساً .

البرهان الثاني :

هو أن الانسان إذا كان متهماً في أمر من الامور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول إني فعلتُ كذا أو فعلت[1] كذا ، وفي مثل هذه الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم بالفعل غير ما هو مغفول عنه ، فذات الانسان مغايرة للبدن.

البرهان الثالث :

هو أن الانسان يقول أدركت الشيء الفلاني ببصري فاشتهيته أو غضبت منه ، وكذا يقول أخذت بيدي ، ومشيت برجلي ، وتكلمت بلساني،وسمعت بأذني ، وتفكرت في كذا وتوهمته وتخيلتــه ؛ فنحن نعلم بالضرورة أن في[2] الانسان شيئاً جامعاً يجمع[3] هذه الادراكات ويجمع[4] هذه الافعال ، ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الادراكات والافعال، فإنه لا يبصر بالاذن ولا يسمع بالبصر ولا يمشي باليد ولا يأخذ[5] بالرجل ، ففيه شيء مجمع لجميع الادراكات والافاعيل الالهية ، فإذن الانسان الذي يشير الى نفسه « بأنا » مغاير لجملة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن. ثم نقول إن هذا الشيء الذي إنه هوية الانسان ومغاير لهذه الجثة لا يمكن أن يكون جسماً ولا جسمانياً ، لانه لو كان كذلك لكان أيضا منحلا سيالا قابلا للكون والفساد بمنزلة هذا البدن فلم يكن باقيــا من أول عمره الى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحاني ، بل هو نور فائض على هــذا القالب المحسوس بسبب استعداده وهو المزاج الانساني . والى هذا المعنى أشير في الكتاب الالهي بقوله : « فإذا سويته ونفخت فيــه من روحي »[6] ، فالتسوية هو جعل البدن بالمزاج الذي

١) في كل النسخ : فعل .
٢) في كل النسخ : في أن .
٣) في ب : بجميع بدل يجمع .
٤) في ب : ويجميع بدل ويجمع .
٥) في كل النسخ : تأخذ بدل يأخذ .
٦) الآية ٢٩ من سورة الحجر ، ص ٢٤٠ من مصحف الملك ؛ والآيــة ٧٢ من سورة ص ، ص ٦٠٤ من المصحف نفسه .

مستعدا لان تتعلق به[١] النفس الناطقة ، وقوله «من روحي» إضافة لها إلى نفسه لكونها جوهرا روحانيا غير جسم ولا جسماني .

فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الفصل .

الفصل الثاني

في بقاء النفس بعد بوار البدن[٢]

اعلم أن الجوهر الذى هو الانسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى ، وذلك لان جوهره أقوى من جوهر البدن لانه محرك هذا البدن ومدبره ومتصرف فيه ، والبدن منفعل عنه تابع له ، فإذن[٣] لم يضر مفارقته عن الابدان وجودَه ، إذْ[٤] البدن موجود باق بعد الموت فلأن لا يُضر وجودُ النفس وبقاؤه كان أولى ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنتــه مع البدن من مقولــة المضاف ، والاضافة أضعف الاعراض لانه لا يتم وجودها بموضوعها ، بل يحتاج الى شيء آخر وهو المضاف اليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم بنفسه ببطلان أضعف الاعراض المحتاج اليه ، ومثاله أن من يكون مالكا لشيء متصرفاً فيه فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك ببطلانه ، ولهذا فإن الانسان إذا نام بطلت[٥] عنه الحواس والادراكات وصار ملقى كالميت ، فالبدن النائم في حالة شبيهة بحال الموتى كما قال رسول الله عليه السلام : « النوم أخو الموت »[٦] . ثم إن الانسان في نومه يرى الاشياء ويسمعها بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة ،

---

١) في ج : « به » ناقصة .

٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب « النجاة » ، ص٣٠٢ وما بعدها من طبعة القاهرة ١٣٣١ هـ .

٣) في ب : فاذ بدل فاذن . وفي ر : فان بدل فاذن .

٤) في ر : فان بدل إذ .

٥) في ر : بطل بدل بطلت .

٦) لم اعثر عليه في كتب الحديث ولا في كتب الموضوعات .

فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج الى هـذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويتقوى بتعطله ، فإذا مات البـدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن ، فـاذا كان كامـلا بالعلم والحكمة والعمل الصالح انجذب الى الانوار الالهية وأنوار الملائكة والملأ الأعلى انجذاب إبرة الى جبل عظيم من المغناطيس وفاضت عليه السكينة وحقت لـه الطمأنينة[١] فنودى من الملأ الأعلى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »[٢].

الفصل الثالث

في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد المفارقة عن الأبدان[٣]

إعلم أن النفس الانسانية لا تخلو[٤] عن ثلاثة أقسام : لانها إما أن تكون كاملة في العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصـة فيهما ، وإما أن تكون كاملة في أحـدهما ناقصة في الآخر[٥] . وهذا القسم الثالث على قسمين : لانها إما أن تكون كاملـة في العلم ناقصة في العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسمة الأولى ثلاثـة كما ورد في القرآن : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحـاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » ثم قال « والسابقون السابقون أولئـك المقربون . »[٦] فنقول أما الكاملون في العلم والعمل فهم السابقون ولهم الدرجة القصوى في جنات

١) في ج : طمأنينة بدل الطمأنينة.

٢) الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ من سورة الفجر ، ص ٨٠٧ من مصحف الملك.

٣) في ر : البدن بدل الابدان. وللاستزادة من هذا الفصل يمكن الرجوع الى النجاة ص ٤٧٧ — ٤٩٠

٤) في ج ور : يخلو بدل تخلو.

٥) في ب : الاخرى بدل الآخر.

٦) الآيات : ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ من سورة الواقعة ، ص ٧١٢-٧١٤ من مصحف الملك.

النعيم فيلتحقون من العوالم الثلاثة بعالم العقول ويتنزهون أن يقارنوا دون الاجسام ونفوس الافلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم فى المرتبة العليا . وأصحاب اليمين وهم فى المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم الاستحالة[1] ويتصلون بنفوس الافلاك ويتطهرون عن دنس عالم العناصر ويشاهدون النعيم الذي خلقه الله تعالى فى السموات من الحور العين[2] وألوان الاطعمة اللذيذة وألحان الطيور التى تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها كما قال عليه السلام حكاية عن ربه : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[3] فهذه مرتبة المتوسطين من الناس . ولا يبعد ان يتادى أمرهم الى أن يستعدوا للفوز بوصول الدرجة العليا فينغمسوا فى اللذات الحقيقية واصلين الى السابقين بعد انقضاء دهور تأتى[4] عليهم ، فهذه مرتبة أصحاب الشمال وهم النازلون فى المرتبة السفلى ،[5] المنغمسون فى بحور الظلمات الطبيعية ، المتنكسون فى قعر الاجرام العنصرية ، المتحسون فى دار البوار ، وهم الذين « دعوا هنالك ثبورًا[6] لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا »[7]

فهذا[8] شرح أحوال الارواح البشرية بعد المفارقة عن الاجسام والمهاجرة الى دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحى الالهى والآراء الحكمية كما شرحناه .

---

١) الاستحالة من حال بمعنى تبدّل وتغيّر ، وليست بمعنى الامتناع .

٢) في ب : والعين بدل العين .

٣) هذا من الاحاديث المتفق على صحتها ، رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، الباب الثامن ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، وكذا الترمذي وابن ماجه واحمد في مسنده .

٤) في كل النسخ : يأتي بدل تأتي .

٥) في ب : « فهم » قبل « المنغمسون » .

٦) آخر الآية ١٣ من سورة الفرقان ، وهي : « واذا القوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا » .

٧) الآية ١٤ من سورة الفرقان .

٨) في ب وج : فهذه بدل فهذا .

خاتمة الرسالة

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم[١] وترتيب الوجود من لدن الحق تعالى الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل منه تعالى، فنقول :

إن أول ما خلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لا في جسم ولا في مادة، درّاك لذاته ولخالقه[٢] تعالى، هو عقل محض، وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء الالهيين والانبياء عليهم السلام كما قال صلعم: «أول ما خلق الله تعالى العقل، ثم قال له [اقبل فاقبل، ثم قال له][٣] ادبر فأدبر، ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك فبك أُعطي وبك آخذ وبك أُثيب وبك أعاقب»[٤]، فنقول هذا العقل له ثلاثة[٥] تعقلات :

احدها أنه يعقل خالقه تعالى
والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالاول تعالى
والثالث أنه يعقل كونه ممكنا لذاته[٦].

---

١) هذا الترتيب الثلاثي باسمائه ومعناه من الافلاطونية الجديدة Néoplatonisme، ولعله قد وصل فيلسوفنا عن طريق رسائل اخوان الصفاء التي قرأها في حداثته (انظر البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٣٦٦٦ تاريخ، ص ١٠١) أو عن شروح فلاسفة تلك المدرسة على كتب ارسطو.

٢) في ب : وبخالقه.

٣) هذه الفقرة ناقصة في ب وج.

٤) روى هذا الحديث عبدالله بن احمد في زوائد المسند عن الحسن مرفوعاً باسناد جيد؛ واخرجه الطبراني في الكبير والاوسط، وكذلك ابو نعيم باسنادين ضعيفين: واعتبره القاري وابن تيمية وغيرهما من الاحاديث الموضوعة، ويشبه ان يكون الامر كذلك لصلته الوثيقة بنظرية صدور العالم عن العقل الاول ووساطة هذا العقل بين الله والعالم التي ابتدعتها الفلسفة الافلاطونية الجديدة لتفسير وتعليل فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة.

٥) في ب وج : ثلاث بدل ثلاثة.

٦) هذه هي المبادئ الثلاثة التي اعتمد عليها فلاسفة الاسلام في تفسير صدور الكثرة

فحصل من تعقله خالقه عقلٌ هو أيضا جوهرٌ عقلٌ آخر، كحصول السراج من سراج آخر.

وحصلت[١] من تعقله ذاته واجبةً بالاول نفسٌ، هى[٢] أيضا جوهر روحانى كالعقل، إلا أنه فى الترتيب دونه.

وحصل من تعقله[٣] ذاته ممكنةً لذاته جوهرٌ جسمانى هو الفلك الاقصى[٤]، وهو العرش بلسان الشرع[٥].

فتعلقت تلك النفس بذلك الجسم، فتلك النفس هى النفس الكلية المحركة للفلك الاقصى كما تحرك[٦] نفسُنا جسمَنا. وتلك الحركة شوقية بها تتحرك[٧] النفس الكلية الفلكية شوقا وعشقا الى العقل الاول، وهو[٨] المخلوق الاول، فصار العقل الاول عقلا للفلك الاقصى ومطاعاً[٩] له. ثم حصل من العقل الثانى عقل ونفس وجسم: فالجسم هو الفلك الثانى وهو فلك الثوابت، وهو الكرسى بلسان الشرع وتعلقت النفس الثانية بهذا الفلك.

عن الوحدة، وهي كما ترى تجعل التكثر يبدأ بالعقل الاول من جهة اختلاف تعقلاته وهي: ١ً تعقله لله. ٢ً تعقله أنه واجب بوجوب الله. ٣ً تعقله انه ممكن لذاته.

١) في كل النسخ: حصل بدل حصلت، لان النفس مؤنثة كما في لسان العرب.

٢) في كل النسخ: هو بدل هي.

٣) في ر: تعقل بدل تعقله.

٤) في ب: الاطلس بدل الاقصى.

٥) الى هنا ينتهي ما فاض عن العقل الاول تبعاً لاختلاف تعقلاته المشار اليها في المبادئ الثلاثة.

٦) في كل النسخ: يحرك بدل تحرك.

٧) في كل النسخ: يتحرك بدل تتحرك.

٨) في كل النسخ: هو بدل وهو.

٩) لم يسبق ان عثرنا على هـذا اللفظ في كتب ابن سينا الاخرى، وقد ورد في بعض كتب ابي حامـد الغزالي واثار إشكالا في معرفة مدلوله، بيد انه هنا واضح المدلول لانه يطلق على العقل الاول، فان ابن سينا يريـد ان يقول ان العقل الاول يحرك جرم الفلك الاقصى لا كما تحرك العلة الفاعلة بل كما تحرك العلة الغائية، لذلك وصف تلك الحركة بانها شوقية عشقية، والمعشوق «مطاع» من عاشقه وليس فاعلاً للعشق او الحركة، كما لا يخفى.

وهكذا حصل من كل عقل ونفس وجسم ، الى أن ينتهي الى العقل العاشر ، ثم حصل منه العالم العنصري . والعناصر أربعة : الماء والنار والهواء والارض ، وحصلت منها المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات والحيوان والانسان الذي هو اكمل الحيوانات وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبقى بقاء السرمد إذا تشبه[1] بها في العلم والعمل ، ويصير هو أيضاً أخس[2] من البهائم والسباع إذا اتصف بأخلاقها داخل الارض واتبع هواه وكان أمره فرطا. وأما إذا تنزه عن طرفي الافراط والتفريط في الاخلاق وتوسط بينهما فلم يكن شبعاً ولا خاملا في القوة الشهوانية بل يكون عفيفا ، فان العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضا متهورًا ولا جبانا بل يكون شجاعاً ، كسب القوة الغضبية ، فإن الشجاعة تتوسط[3] بين التهور والجبانة ، وكذلك له حكمة في المعيشة ، وهي[4] حُسْنُ التدبير فيما بينه وبين غيره إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة في المعاملات وفي السياسيات إن كانت[5] له رتبة في السياسة ، وهذه الحكمة توسط في تدبير نفسه وغيره دون الجَرْبَزة[6] والبلاهة . وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي العلم بالحقائق فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد إفراطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا ينبغي أن تكون بالافراط وإلا لكانت جَرْبَزة ، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة.

وهذه الخصال الثلاث أعني العفة والشجاعة والحكمة هي التي سميت[7] «عدالة» فالعدالة هي مجموع هذه الثلاث ، فمن اتصف بها وكان أيضا حكيما

---

١) في ج : شبه بدل تشب.
٢) في كل النسخ : احسن بدل أخس كما يقتضيه سياق الكلام.
٣) في ب وج : يتوسط بدل تتوسط.
٤) في كل النسخ : هو بدل هي وذلك لان السياق يقتضي ان يكون العائد «حكمة».
٥) في كل النسخ : كان بدل كانت ، والعائد رتبة.
٦) « الجربز الخبّ من الرجال وهو دخيل ، ورجل جُربز (بالضم) بيّن الجَرْبَزة (بالفتح) ، اي خب ، قال وهو القُرْبُز ايضاً ، وهما معربان » (اللسان ٧ : ١٨٢).
٧) في كل النسخ : سمى بدل سميت.

بالحكمة النظرية التي هي العلم بحقائق الاشياء ، فقد صار كاملا فى العلم والعمل وصار من جملة من قيل فى حقهم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم »[1]

فإن قلت فهل يمكن أن تحد الحكمة النظرية تحديدًا لا يمكن أن يكون أقل منه حتى تسعد[2] بها[3] النفس تلك السعادة فيكون من السابقين المذكورين؟ قلت يمكن ذلك التحديد بالتقرير فنقول :

ينبغي أن يكون عالما بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله ونعوت كماله وتنزيهه عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالمخلوقات وإحاطة علمه بالكائنات وشمول قدرته على جميع المقدرات [ثم يعلم أن وجوده يبتدى من عنده سارياً الى الجواهر العقلية ثم الى النفوس الروحانية الفلكية ثم الى الاجسام العنصرية بسائطها ومركباتها من المعادن][4] والنبات والحيوان ثم يتصور جوهر النفس الانسانية وأوصافها وأنها ليست بجسم ولا جسمانية وأنها باقية بعد خراب البدن إما منعمة وإما معذبة . فهذا القدر من العلم مُجمَلُه ومُفَصَّلُه[5] هو القدر الذي إذا حصل للانسان استعد بالسعادة التي شرحنا حالها أعني سعادة السابقين الكاملين . وبقدر ما ينتقص علمه وعمله انتقص من درجاته وقربه من الله تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبتهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا وهم المتوسطون فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم أو بالعكس فهم يكونون محجوبين عن العالم العلوى مدة حتى تنفسخ[6] عنهم تلك الهيئات الظلمانية بتلك الاعمال الردية التي كانوا يعملونها فى حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة النورية

---

١) الآية ١٠ و١١ و١٢ من سورة الواقعة ؛ ص ٧١٢–٧١٤ من مصحف الملك .
٢) في ب : يستعد .
٣) في كل النسخ : به بدل بها ، والعائد الحكمة النظرية .
٤) هذه الفقرة ناقصة من ج .
٥) في كل النسخ : مجملة ومفصلة بدل مجمله ومفصله .
٦) في كل النسخ : ينفسخ بدل تنفسخ .

قليلا قليلا فيتخلصوا الى عالم القدس والطهارة[١] ويلتحقوا بهؤلاء السابقين[٢].
وأما الكاملون فى العلم دون العمل من القسمين المتوسطين وهم المتنزهون من أهل الشرائع الـذين يعملون الصالحـات ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويتبعون الانبياء فيما أمروا به ونهوا عنـه ولكن لا تكون لهم زيادة بسط من حقائق العلوم ولا يعرفون أسرارها والاسرار والتنزيلات الالهية وتأويلاتهـا فهم إذا تخلصوا عن أبدانهم انجذبت نفوسهم الى نفوس الافلاك وعرجوا الى السموات فشاهدوا جميع ما قيل لهم فى الدنيا من أوصاف الجنة فى غاية الشرف والرتبة يلبسون فيها من سندس واستبرق وحلوا أساور من فضة متكئين فيهـا على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا، ولكن لا يبعد أن يفضى بهم الامر الى أن يرتقوا الى العالم العقلى والصقع الالهى فينغمسوا فى اللذات الحقيقة التى لا يمكن أن[٣] يشرحها بيان ولا يكشف عنها مقال ولا يوازنها حال. واذ قـد وصلنا الى هذا المقام وكشفنا هذه الاسرار التى عميت عنها أبصار أكثر النـاس وغفلوا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة، فلنكتف بهذا القدر من الاستبصار للطالبين المسترشدين، جعلنا الله واياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين أجمعين.

تمت الرسالة الشريفة فى النفس الناطقة بتوفيق الله وبأمن جوده وكرمه.

---

١) فى ج : والطاهرة واظنها والطهارة.
٢) الى هنا تنتهي نسخة ج.
٣) فى ب : أن ناقصة.

سفر المزامير بالسريانية

طبعة قزحيا . طبعة كمبردج

بقلم الخوري ميخائيل الرجي

طبعت المزامير بالسريانية للمرة الاولى في دير قزحيا بجبل لبنان ، بعناية بعض المطارنة والرهبان الموارنة . ثم اعيد طبعها مرارًا ، حتى جاء احد المعلّمين في جامعة كمبردج بانكلترة ، فضبط نصّها ، على موجب قواعد العلم والنقد.

سنة ١٩٠٤ ، طبع الدكتور بارنس سفر المزامير بحسب الترجمة السريانية البسيطة وفقاً لنصّ السريان المغاربة ، واغناه بمقدمة وحواشٍ ولوائح قيّمة[1]

وقد اطلع على اعمال من تقدّموه في طبع المزامير فذكر منهم (مقدمة : ٢٧—٣٤) توما اربانيوس الذي كان قد اعد كتاب المزامير فنشرته امرأته بعد موته سنة ١٦٢٥ في ليدن بهولندة ، واكبر عمله ، واولاه شرف التسمية بالطبعة الاولى للمزامير بالسريانية ؛ وجبرايل الصهيوني الذي طبع المزامير بالسريانية على حدة في باريس سنة ١٦٢٥ كذلك ، وعاد فادخلها في الكتاب المقدس باللغات المختلفة (پوليگلوتا) ، المطبوع في باريس سنة ١٦٤٥ ؛ ووالتن الذي اخذ عن الصهيوني سفر المزامير لمثل هذا الكتاب الاخير ، المطبوع في لندن سنة ١٦٥٧ ، وكذلك المس لي سنة ١٨٢٥ ؛ واخيرًا ذكر طابعي الكتاب المقدس او المزامير ، وفقاً لنصّ السريان المشارقة ، وهم المرسلون الاميركان في اورمية سنة

1) *The Peshitta Psalter according to the West Syrian text*, edited with an apparatus criticus by W. Em. Barnes D. D., Cambridge, 1904.

١٨٢٥ ، وطابع الشحيمة الكلدانية في باريس سنة ١٨٨٦ ، والمرسلون التابعون لرئيس اساقفة كنتربري في اورمية سنة ١٨٩١ . والمح ، ما عدا ذلك ، الى سفر المزامير الذي طبعه الخوري يوسف داود السرياني الموصلي سنة ١٨٧٧ .

ولكنه استند خاصة في عمله الى ما وجده في المتحف البريطاني من المزامير المخطوطة ، وهي عديدة وقديمة ، فاختار منها نحو عشرين فقط (مقدمة : ١١ - ٢٤) ، اهمها مخطوط يعود الى القرن السادس بعد المسيح (C) واربعة مخطوطات مشرقية تعود الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر (K. L. N. O.) اما البقية فنها ما يقرب من السابقة ، ومنها ما هو مبتور ، او معطّل ، او مصلح . وهذه جميعها قد قابلها بالمخطوطين الهامّين : الامبروسياني (A) والفلورنتيني (F) ، وكلاهما من القرن التاسع .

ولم يهمل هذا العالم (مقدمة : ٢٤-٢٧) ما ورد من آيات المزامير في مؤلفات السريان الاقدمين كافرهات من القرن الرابع ، وفيلكسين المنبجي من السادس ، وبشوعداد من التاسع ، وابن العبري من الثالث عشر وغيرهم . وكذلك استعان بما سماه الترجمة العربية المطبوعة في دير قزحيا بجبل لبنان سنة ١٦١٠ .

هذه هي المصادر التي اعتمدها معلم كمبردج ، وسبر غورها ومحّصها بحثاً وتدقيقاً ، وقابل ما بينها ، فاستغرق هذا العمل الشاق معظم اوقاته طوال سبع سنوات (فاتحة : ٧) .

وكان قد وطّد النية في بادئ الامر (مقدمة : ٤٥) على العمل للتوصّل ، بمارضة المصادر الشرقية والمغربية بعضها ببعض ، الى النصّ الاصلي القديم ، الذي كان مشتركاً بين السريان قاطبة ، مشارقة ومغاربة ، قبيل مجمع بيت لبت[1] سنة ٤٨٣ للمسيح ، ومنه تشعّب النصّان المألوفان حاليًا اي المشرقي والمغربي (مقدمة ٣٦) وظلّ يعلّل النفس بهذا الامل مدة ثلاث سنوات ،

---

١) في السماني عن ابن العبري ܒܝܬ ܠܦܛ وترجمتها Beith Lapeta . وقد كتبها بارنس Beth Lapat . راجع المكتبة الشرقية للسماني ٣ : ٦٦-٧٠ و٣٩٢ ، وكذلك تاريخ المجامع لمنلي جزء ٢ : قسم ٢ : ص ٩٥٠ وخاصة «الديانة المسيحية في المملكة الفارسية» لجاك لابورت J. Labourt, *Le Christianisme dans l'Empire perse* ، ص ١٢٠ و١٢٨ وما اليها

فظهرت له الصعوبات الجمّة التي تكتنف العمل ، فعدل عنه بكل حكمة وصواب ، واكتفى بتنقيح وتصحيح المزامير في الترجمة البسيطة ، وفقاً للمصادر المغربية القديمة . واتى في المقدّمة والحواشي والتعاليق على مقابلتها بعضها ببعض، وعلى ما تختلف او تشترك به مع المصادر المشرقية وغيرها.

وعندنا ان العمل الاول يصعب تحقيقه بل يستحيل ، لان مواده لم تتمَّ بعد وقد لا تتمّ ابدًا ، كما ان أُسسه ستظل دائمًا واهية . اما العمل الثاني فشاق جدًا . فالمصادر مختلفة ، متباينة ، متفاوتة ؛ ولدينا المصادر المشرقية والمغربية ، والقديمة والحديثة ، والمخطوطة والمطبوعة ؛ وبين الواحدة والاخرى ، وبين نسخ كل منها ، اختلافات لا يستهان بها . ثم ان بعض المصادر تقرب من الاصل العبراني ، وبعضها من الترجمة السبعينية ، وغيرها تاثرت بما ورد من المزامير في اسفار العهد الجديد .

وقد احسَّ الدكتور بارنس بهذه الصعوبة ، حين جرب ان يقول كلمة (مقدمة : ٣٤-٤٤) في تاريخ نصّ المزامير . فاعترف ان الوقت لم يَحِن بعد لكتابة هذا التاريخ ، وان جلّ ما هنالك بعض امور متفرقة يمكن جمعها وتفسيرها على اوجه متعددة مختلفة . منها : ١ً ان المخطوطات القديمة تاثرت كثيرًا بالترجمة السبعينية . ٢ً ان المخطوطات التي اتصلت الى يده ، ما عدا ثلاثة منها ، هي كتب صلوات ، اي مزامير وتسابيح منظمة لاقامة صلاة الفرض الالهي ، فتاثرت بالتأثيرات الطقسية . ٣ً ان المخطوطات ثلاثة فروع : يعقوبي ، ونسطوري ، وملكي . وقد يكون لها فرع رابع عبراني يمثله المخطوط الفلورنتيني وحده (F) . والاهم فيها الفرعان الاولان . على ان هذه الفروع ، لا سيما الاولان ، لم تفتأ تتأثر الواحد بالآخر.

فتجاه هذه الصعوبات ، كان لا بد من التعويل على قواعد عامة في تفضيل نص على نص ، او قراءة على قراءة ، كما يقولون . فدونك القواعد التي اختطها معلم كمبردج لنفسه :

١ً اتفاق احدى القراآت مع الاصل العبراني ليس دليلًا على عدم صحتها ، اللهم الا فيما يتفرّد به المخطوط F في هذا الامر.

٢ً اتفاق احدى القراآت مع الترجمة السبعينية يعتبر بنوع عام حجةً عليها

٣ً الاتفاق اللفظي في احدى القراآت مع الترجمة السريانية الهكسبلارية دليل قوي ضدها ·

٤ً القراءة الواردة في المخطوطات النسطورية وفي واحد او اكثر من واحد من المخطوطات اليعقوبية القديمة ، يجب عملياً قبولها ، بشرط ألا تكون هي هي في الترجمة الهكسبلارية ·

٥ً اتفاق احدى القراآت مع العهد الجديد يعتبر بصورة عامة حجة عليها

هذه هي القواعد التي تمشى عليها العالم بارنس في طبعتــه العلمية · وقــد انتقى النصّ بموجبها وطبعه خالياً من الحركات والنقط الاصطلاحيــة ، الا نادرًا جدًا ، تاركاً وضعها لاجتهاد المفسرين والشارحين لان غايته ، كما يقول ، انما هي علمية نقدية (مقدمة : ٤٥) ·

وعمد الى المخطوطات القديمة (A·C·E·F·) فاتبعها في ضبط الكلمات وكتابتها ، مخالفاً في ذلك اصطلاحات المتأخرين · فزاد الالف مرة ܐܣܟܝܡܐ ܐܘܣܛܝܐ ، ܐܘܪܫܠܡ ، ܐܘܣܟܝܡܐ وحذفها اخرى ܛܠ̈ܠܐ ، ܛ̈ܥܢܐ ، ܫ̈ܢܐ ، ܟ̈ܐܪܣܐ ، ܢ̈ܟܠܐ · وكتب مرة ܡܛܠܬܐ ، ܘܟܠܬܐ ومرة ܡܛܠܬܗܘܢ ܘܟܠܗܘܢ · وحذف الواو فكتب ܣܠܐܘܣ ، ܟܠܐܘܢ · وحذف اليـاء فقال ܬܘ̈ܒ ، ܟܐܒܐ · ولم يلحق الياء الزائدة بمضارع الغائبـة ܬܐܟܘܠ ولا بماضي الغائبات ܐܟܠ · وقــد ضبط الكلمات التاليــة هكذا : ܘܐܘܠܐ و ܘܗܘܠܐ ، ܐܡܥܙܠܬܐ ، ܐܘܠܐ · وماز بين ܡܟܠܐ ܘܡܟܠ ، وبين ܡܣܟܢ و ܐܡܣܟܢ ، وبين ܐܡܣܟܢ ܘܐܡܣܟܐ · وما اشبه (مقدمة : ٤٦—٥٠)

ولم يذكر في المتن نسبة المزامير الى مؤلفيهــا ، بل اكتفى بان اشار في المقدمة (٥٠—٥٣) الى اختلاف المصادر في هذا الشأن · واورد امثلة منهــا · وتبين له ان سفر المزامير كان يسمى في القديم تسابيح داود (ܬܫܒܚܬܐ) وفقاً للمغاربة ، ومزامير داود (ܡܙܡܘܪ̈ܐ او ܡܙܡܘܪܐ) وفقاً للمشارقــة · وانه لا علاقة البتة للترجمة السريانية بالاصل العبراني او بالترجمة السبعينيــة في نسبة المزامير الى اصحابها والى ظروفها التاريخية ·

قلنا ان الدكتور بارنس قد قام بعمل مجيد في سبيل الترجمة البسيطة . فصحح نص المزامير ونقحه وضبطه على الصورة التي لخصناها . فكتابه مستو على اسس النقد ، مطبق على قواعد العلم ، مستوفي الشروط . وقد ادى به صاحبه للعلم خدمة جلى لم يسبق اليها .

على ان عمله ، مثل كل عمل بشري ، لا يخلو من نقائص وشوائب ومغامز . فالقواعد التي اختطها لنفسه في انتقاء النص لا يخلو تطبيقها من صعوبة ، كما اشار الى ذلك في مقدمته (٤٢-٤٣) . وعندنا ان القاعدة الرابعة غير صحيحة ولا صالحة . فبينا هو يرفض بكل صواب قرآت واردة في المصادر المشرقية مخطوطة ومطبوعة ، ويقبل بكل حق اندادها في المصادر المغربية : وهو انما يضبط نص المزامير المقبول عند المغاربة[1] ، نجده ، استناداً الى هذه القاعدة الرابعة ، يفضل قراءة ܢܩܝܐ ܐܒܝܕܐ على قراءة ܐܥܢܐ ܐܒܝܕܐ ، (١١٨:١٧٦) ، مع انه لا ريب في ان الاولى مشرقية محضة ، لم ترد بكاملها في مخطوط مغربي قط ، والثانية مغربية محضة .

كذلك لدينا قراءة ܘܪܘܚ ܩܘܕܫܐ (٥١ : ١٣) الواردة في كل المطبوعات ، ومنها قزحيا ، وفي اغلب المخطوطات مشرقية ومغربية ، وفي اكثر المؤلفات القديمة ، فتركها وانتقى قراءة ܘܪܘܚ ܩܘܕܫܟ ، الواردة في واحد فقط من المخطوطات المغربية الهامة (C) وثلاثة غيره وفي مؤلفات افرهات .

وفي اكثر المخطوطات واقدمها واهمها قرآت تركها ، واعتمد اضدادها استناداً الى مخطوطات اقل عدداً وقدماً واهمية ، مثل ܘܢܥܘܠ (٢٤ : ٩) ، ܘܡܦܪܩܐ (٨:٣٤) ، ܠܥܘܕܪܢܝ (١٤:٤٠) ، ܐܬܟܘܪܟܘܢ (١٣:٤٨) ، ܕܐܡܥܢܘ (٢١:٤٩) ، ܠܚܠܡ (١:٧٤) ، ܐܠܗܐ (١:٩٤) ، ܚܘܪܐ (١٠:١٠٤) وغيرها[2] . وفي هذا ما فيه من الايثار .

---

١) مثل ذلك ܐܝܟܢ ٣٩: ٢ ؛ – ܘܥܠ ٧ : ١٠ و٣٥: ٢٤ و٥٢: ٢ وغيرها .

٢) راجع بارنس ، في حواشيه على هذه القرآت ، حيث يذكر المخطوطات والمطبوعات الواردة فيها .

ومن مظاهر الايثار المدهشة ، ان بارنس (مقدمة : ٢٧-٢٨) سمّى طبعة ليدن بالرئيسية او الطبعة الاولى للمزامير بالسريانية ، (Editio Princeps) ، مع انها ظهرت وطبعة باريس في سنة واحدة .

ايكون ما وجده في رسالة اهداء الاولى ، من انها مؤرخة بشهر وبضعة ايام قبل رسالة اهداء الثانية ، قد سوّغ له هذا الايثار ، مع انه من المعلوم ان مثل هذه التواريخ قد تسبق الطبع باشهر واحياناً بسنين ، فلا عبرة اذاً بها . وانما العبرة بتاريخ السنة ، والسنة التي ظهرت فيها الطبعتان واحدة . وها هوذا الصهيوني ينعت طبعته بالاولى (مقدمة بارنس : ١٩) .

او يكون النص في الاولى افضل منه في الثانية ؟ زعم ذلك بارنس ، لانه وجد طبعة ليدن تتفق غالباً مع طبعات اوروبية ضد طبعة باريس (مقدمة : ٢٨) . ثم ان جبريل الصهيوني ، صاحب طبعة باريس ، كما به قلمه فصرح ان طبعته جدّ صالحة للدفاع عن نص الترجمة اللاتينية المعروفة بالعامية ، فسوّغ هذا لبارنس (مقدمة : ٢٩ ٣١) ان ينسب اليه الجبن وعدم الجرأة في النقد ، كما يجدر بطابعي الكتب . وهناك ذنبٌ افظع اقترفه الصهيوني في عرف بارنس ، وهو انه ، بالرغم من حصوله على ثلاثة مخطوطات ، احدهما يعقوبي والثاني نسطوري والثالث ماروني ، لم يجرب ان يطبق عليهــا قواعد النقد ، بل اكتفى بالنص الماروني .

ولسنا ندري مــا يسوّغ له ان يدّعي هــذه الامور بدون ان يتثبت من صحتها او يورد البرهان عليها . وها نحن ندينه من كتابته : فقد افادنا ان طبعة باريس مضبوطة بالشكل الكامل (مقدمة : ٢٩) ، بعكس طبعة ليدن (مقدمة : ٢٨) ، وان الصهيوني قد ملأ خمس صفحات في آخر كتابه بالقراآت المختلفة التي وجدها في مخطوطاته (مقدمة : ٣٠) ، حال كون اربانيوس قد تعجله المنون فلم يتمكن من انجاز ما وعــد به من مقابلة النصّ السرياني بالاصل العبراني ومن تفسير الصعوبات في السريانية . وهب كان في طبعة ليدن بعض قراآت افضل من امثالها في طبعة باريس ، فلا مشاحة في ان عكس ذلك صحيح ، فضلاً عن ان الاسس ، التي تقوم عليها هذه الافضلية ، ليست ممــا يتعذر معه الركون الى

سواء[1]

وقد طالعنا طبعة باريس، فاذا على هوامشها شروح وتفاسير لا تخلو من فائدة وقيمة، وفتشنا فيها فلم نجد محلاً واحداً محرفاً او مصححاً مراعاةً للترجمة اللاتينية. فما ذنب الصهيوني اذا اعتمد المخطوط الماروني واشار الى القراآت المختلفة فيه عن امثالها في المخطوطين الآخرين؟

ام هو الغرض الاعمى يمشي بصيرة عالم كبير مثل بارنس فيجعله يغمط فضل عالم كبير كالصهيوني، ربما كان ذنبه في عيني بارنس البروتسطنتي انه احد العلماء الكثوليك الموارنة؛ ويحط من شأن كتاب قيم لان طابعه الكثوليكي الماروني وجده موافقاً للدفاع عن الترجمة اللاتينية التي تعتمدها الكنيسة الرومانية ترجمة رسمية فيها؛ ويعرض بان نص المخطوط الماروني، الذي ذكره الصهيوني، غير صالح، لغير ما سبب سوى انه مخطوط ماروني. ايكون هذا الغرض الديني الاعمى، ما سوّل كذلك لبارنس ان يفضل طبعة اربانيوس في ليدن على طبعة الصهيوني في باريس، لان الاولى قام بها عالم بروتسطنتي في محيط بروتسطنتي، وقام بالثانية عالم كثوليكي في محيط كثوليكي؟

اما وقد آثر بارنس طبعة ليدن،واسف ألّا تكون قد ادمجت في الكتاب المقدس باللغات المختلفة (پوليگلوتا) بباريس ولندن، وفي غيره من الكتب، مكان طبعة الصهيوني، فله ذلك، اذ لا مشاحة في الايثار، وان كان مدهشاً. غير ان ما لا يُدرك هو ان بارنس في حواشيه يقابل غالباً، بل دائماً تقريباً، بين طبعات باريس واورمية وقلما يذكر طبعة ليدن. وكانه قد احس بهذا الخلل فاعتذر عنه في مقدمته (٢٨)، آسفاً ألا يكون قد تمكن، في بدء عمله، من الاستفادة من هذا النص الصالح. ولم يسدّ الخلل في لوائح ما يجب اصلاحه وزيادته (مقدمة: ٥٦—٦١)، لانه يذكر فيها قسماً فقط من القراآت المختلفة في طبعة ليدن. قلنا ان هذا لمن المدهش في كتاب جعل لطبعة ليدن المقام الاول، فضلاً عن انه استغرق معظم اوقات صاحبه طوال سبع سنوات.

١) راجع ما لاحظناه على قواعد انتقاء النصّ. وانظر ما سيجيء فيما بعد عن افضلية القراآت.

والحقيقة ان الطبعة الاولى للمزامير بالسريانيـة لم تتمّ في ليـدن ، ولا في باريس ، سنة ١٦٢٥ ، بل سبقت هذا التاريخ لخمس عشرة سنة. لان المزامير ، بحسب الترجمة البسيطة ، وازاءها الترجمة الكرشونية ، اي العربية بالحرف السرياني ، قد اصدرتها مطبعة دير قزحيا للرهبان الموارنة في جبل لبنان سنة ١٦١٠

ولو درى بهذه الطبعة العالم بارنس ، لكفى نفسه مؤنة الايثار في تسميـة الطبعة الاولى ؟ ومن يدري اذا كان قد عرف بها وطمس هذه المعرفة لانهـا طبعة مارونية ، وقد رأينا موقع الامور المارونية من نفسه !

يدعونا الى هذا الريب ما جاء في مقدمته (٢٧) ، حيث اشار الى ترجمـة عربية للمزامير طبعت في دير قزحيا سنة ١٦١٠ ، واعاد طبعها بولس لاگارد سنة ١٨٧٦ ، في كتابه : « اسفار المزامير وايوب والامثال ، بالعربية » . ولما كانت هذه الترجمة العربية لم تطبع على انفراد في قزحيـا ، بل ازاء الترجمـة السريانية التي نحن بصددها ، كما ذكرنا ، ولم يكن لنـا وصول الى كتاب لاگارد لنتثبت هل اهمل ذكر هذا الامر فتعود عليه تبعة التقصير ، ام ذكره فلا يبقى عندئذ مبرّر لبارنس في جهله هذه الطبعة السريانية الاولى ، جاز لنـا بكل حال ان نستغرب كيف فات معلم كمبردج الاطلاع على هذه الطبعة ، ونسخها موجودة في مكاتب اوروبا ، وقد تكلم عنها ووصفها غير واحد من علمائهم . ويحق لنا ان يستحيل استغرابنا الى اسف شديد ، فيما لو تأكدنا انه قد عرف بهذه الطبعة فتجاهلها .

وصف طبعة قزحيا العالم سنورر في مؤلفه المدعو المكتبة العربية[1] (ص ٣٥١ وما بعدها) ، وكذلك المرحوم الاب شيخو في المشرق الثالث (سنة ١٩٠٠ : ص ٢٥٣) . فاشار الاول الى نسختين منها ، احداهمـا في المكتبة العموميـة بنورمبرج ، والاخرى في حوزة احد اصدقائه ؛ والمح الثاني الى نسخة منها كانت للاديب المرحوم موسى صفير صاحب مكتبة المعارف ببيروت ؛ وقد طالعنا في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ببيروت نسخة مبتورة الاول والآخر وخالية

(١ Schnurrer, *Bibliotheca Arabica*, pp. 351 et sqq.

من بعض صفحات في سبعة محلات[١] . لكن الخلل قد سدّ نوعاً بان اخذت عن نسخة اخرى ، صورة شمسية لصدر الكتاب واخرى لجزء من عجزه ، ووضعتا مكانهما في هذه النسخة . وقد ورد في مقال عن البطريرك جرجس عميره ، للمرحوم الخوري بطرس غالب ، انه وقف على طبعة المزامير الثانية ، التي انجزت في قزحيا سنة ١٦١٠ . وهذه النسخة غير السابقة ، بدليل ان الكاتب يسرد خاتمتها الطويلة المفقودة في نسخة المكتبة الشرقية (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٥٠٠) في صدر الكتاب وفي آخره ، عناوين وحواشٍ وتعاليق[٢] ، يستفاد منها ان

---

١) هي الصفحات التالية : ٥ – ١٠ = مز ٤: ٥ – ٨: ٦ ؛ ١٥ – ١٦ = مز ١٠: ١٠ – ١١: ٧ ؛ ٣٢ – ٣٦ = مز ١٢: ٥ – ١٨: ٣٢ ؛ ١١٧–١١٨ = مز ٦٨: ١٤ – ٣٩ ؛ ١٢٢ – ١٢٤ = مز ٦٩: ٢٦ – ٧١: ٢ ؛ ١٦٢ – ١٦٦ = مز ٨٩: ٤٢ – ٩٢ : ١٥ ؛ ١٧١ – ١٧٢ = مز ٩٤: ٢٢ – ٩٦: ٦

٢) في صدر الكتاب صفحة ملونة مطوقة باطارين: في اعلاها البسملة وعنوان الكتاب بالسريانية ثم بالكرشونية ، وفي وسطها الشعار الحبري الخاص بسركيس الرزي وعلى جانبيه كتابة تبدأ من الاعلى وتنتهي في الاسفل ؛ وفي اسفلها هذه الكتابة الكرشونية : « باللبس المكرم الكائن في وادي قوزحيا في جبل لبنان المبارك على يد المعلم بسكالي الي وعلى يد الحقير يوسف بن عميمه الكرمسداني باسم شماس في تاريخ سنة ا س ي ربآ ». قال سنورر ان العبارة الاخيرة مدرجة كذلك في اسفل الصفحة الاخيرة من الكتاب ، ولم يشر الاب شيخو الى ذلك. لكن الاثنين يذكران عبارة كرشونية واردة في آخر صفحة وهي : « انا الحقير بين المطارنة المطران جرجس بن عميره الحدناني نظرت وقريت هولاي المزامير وما وجدت فيهم شيئاً يطادد الامانة الارثوذكسية لكن نافعين لخلاص نفس من يقرا فيهم » (بالحرف) .

وقد زاد سنورر ما ترجمته : كتب المقدمة الى الاخوة المومنين الكثوليك سركيس الرزي مطران دمشق الماروني وليس فيها شي يلامس تاريخ الطبعة. وبعد ان اوصى بفائدة الكتب المقدسة لاجل خلاص النفوس ، ختم بهذه الكلمات : بنعمة ومعونة الرب بدأنا واهتممنا بطبع هذا الكتاب. . . وكذلك براي وموافقة السيد المشرف واخينا المعظم المطران جرجس عميره الذي اشتغل معنا به .

وذكر سنورر وحده كذلك خاتمة الكتاب. وتجد هذه الخاتمة في مقالة للمرحوم الخوري بطرس غالب عن البطريرك عميره ، في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] ص ٥٠٠) وهي طويلة ومشتملة على افادات تاريخية شتى ، نأخذ منها ما يهمنا معرفته ، وها هو بحرفه : « كمل بعون الله . . . سنة ١٦١٠ مسيحية في ت ٢ المبارك على يد المعلم بسكالي الي من مدينة كاربنو المحروسة وعلى يدي انا . . . يوسف باسم شماس بن المرحوم القس داود المتكنى

الفضل كل الفضل في طبعة المزامير هـذه يعود الى سركيس الرزي ، مطران دمشق ، فهو الذي اعدّ ما يلزم لها واشرف على انجازها وتكبد في سبيلها مبالغ طائلة جعلته يرزح تحت الدين. وهو الذي قد توّجها بشعاره الحبري وكتب مقدمتها وقد ساعده بالراي والعمل المطران جرجس عميره مطران اهدن وصدق على طبعها.

ولا حاجة بنا الى تعريف هـذين الحبرين فهما اشهر من نار على علم في تاريخ الطائفة ، ولهما اياد بيضاء على نشر العلوم الشرقية في الغرب. تخرج كلاهما في المدرسة المارونية الرومانية ، وكانا فيهـا رفيقين. وسقفهما كليهما البطريرك يوسف الرزي: الواحد جرجس، سنة ١٥٩٦ مطراناً على اهدن ، وهو الذي انتخب بطريركاً سنة ١٦٣٣ وتوفي سنة ١٦٤٤[1]، والآخر سركيس، سنة ١٦٠٠ مطراناً على دمشق. وقد جُعل هذا الاخير رئيساً على دير قزحيا ثم ارسل الى رومية سنة ١٦٠٧ حيث ظل الى سنة ١٦١٠ وفيها عاد الى لبنان وطبع كتاب المزامير. وقـد رجع بعدئذ الى رومية في تاريخ لم نوفق الى معرفته. وكان فيها سنة ١٦٢٢ ، حسبما جاء في براءة للبابا غريغورس الثالث عشر[2] فاشرف على طبع الشحيم الكبير وصحح الترجمة العربية للاسفار المقدسة وظل يعمل وينفع الى ان ادركته الوفاة سنة ١٦٣٨[3].

بيلة بيت عميمة من قرية كرم سدي. . . والاب القسيس الياس ابن المرحوم الحاج حنا ابن بولس من قرية اهدن والشماس يوسف بن يونان الذين كانوا ينتفعون ممنا بهذا الكتاب. اما المعتني بهذا الكتاب وغيره هو . . خالي المطران سرجيوس ارزي مطران الشام. . . كل من يقرأ. . . يطلب الرحمة. . . لآبائه واعمامه المرحومين البطريرك مار مخايل والبطريرك مار سرجيوس وفي الاكثر اخيه الاب المرحوم خالي البطريرك مار يوسف ، وكان انتقاله (هذا الاخير) لرحمة الله في تاريخ ١٦٠٨ ربانية في نهار ٢٦ اذار. . . ». ويليه طلب الذكر لاقارب وانسباء المطران سركيس « والسيد المكرم الشيخ الشدياق خاطر بن المرحوم الشدياق شاهين من قرية حصرون المحروسة » الخ. . .

امـا المرحوم الاب شيخو فلا يشح الى المقدمة ولا الى الخاتمة شيء ، وهما ناقصتان في في نسخة المكتبة الشرقية ، كما تقدمنا فقلنا.

١) تاريخ الدويهي ، طبعة الشرتوني : ص ١١٧ والدبس تاريخ الموارنة ص ٢٢٢، ٢٥٢

٢) غنيي: مجموع البراآت المارونية ، ١٢٩ ، والدويهي ٥٤

٣) دويهي : ١٨٢ ، ٢١٢ ؛ دبس : ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٢٥٠ و٢٦٨ ؛ وشيخو الطائفة

وما له اهميته التاريخية في هذه التعاليق ان سركيس الرزي المطران هو شقيق البطريرك يوسف الرزي ، كما ذكر الدويهي في ردّ التهم[1] وكما ذكرته براءة البابا بولس الخامس[2] وكما ذكر دنديني (فصل ٣٢ و٣٣) ، خلافاً لما جاء في تاريخ الازمنة المطبوع من انه ابن اخيه (دويهي ١٨٣) . وكذلك ان هذا المطران سركيس ، الذي ذهب الى رومية على راس وفد ماروني سنة ١٦٠٧[3]

المارونية والرهبانية اليسوعية ٦٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٦، و١١٠

ذكر الاب شيخو (٦٨) ، ان البطريرك يوسف الرزي سقف عميره وسركيس معاً سنة ١٥٩٦ ، وان دنديني وجد سركيس مطراناً في قزحيا في هذه السنة. وهو يستند في اثبات ذلك الى رواية دنديني. وقد راجعنا دنديني ، فاذا هو يفيد (فصل ٣٢) انه وجد في قزحيا ابني اخ للبطريرك سركيس الرزي ، واحدهما مطران. فلا شك ان هذا المطران هو يوسف الرزي الذي انتخب بعدئذ بطريركاً بوجود دنديني ، كما يذكر دنديني نفسه وليس هو سركيس ، كما يلمح الاب شيخو ؛ وان اخاه هو سركيس الذي نحن بصدده. ولم يكن آنئذ مطراناً . لان دنديني يفيد (فصل ٣٣) في سياق روايته ، انه الحّ على البطريرك الجديد يوسف الرزي ان يحسن استخدام تلامذة رومية ، واظهر ارتياحه الى ان البطريرك حال انتخابه سام منهم مطرانين ؛ ثم عرض دنديني للبطريرك ان اخاه سركيس قد اختار الحياة الرهبانية فلم يبق بدون وظيفة سوى جرجس عميره. فاوصاه به ، فسامه البطريرك كاهناً فاسقفاً. ومنه يظهر جلياً ان سركيس لم يكن مطراناً تلك السنة، ولم يُرقّ الى هذه الدرجة. بل حبس نفسه في دير قزحيا. وقد يكون استلم رئاسة الدير مكان اخيه المطران يوسف المنتخب بطريركاً. اما تسقيفه فقد تمّ على ما ذكرنا، سنة ١٦٠٠، كما صرّح الدويهي (١٨٣) وربما حال دون تسقيفه مع عميره سنة ١٥٩٦ صغر سنه. فان عمره كان اذ ذاك اربعاً وعشرين سنة فقط ، لانه توفي سنة ١٦٣٨ وله من العمر ست وستون سنة (دويهي ٢١٢).

١) الدويهي : ٤٥١ ؛ الدبس : ٢٦٨

٢) عنيسي : ١١١ ، ١١٨

٣) لم يذكر الدويهي هذا الوفد في تاريخ الازمنة ، بل في رد التهم فقط ، الفصل الثامن عشر (٤٥١ – ٤٥٢) وعنه اخذ الدبس (٣٠٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨) ونجد له ذكراً في براءتين للبابا بولس الخامس (عنيسي ١١٦ – ١١٨). ومن هذا كله يستفاد ان البطريرك يوسف الرزي أرسل لتهنئة البابا بولس الخامس ، اخاه المطران سركيس ومعه الراهبان الكاهنان الياس بن الحاج يوحنا وجرجس مارون والشماس يوسف بكرمده. ولما كان البطريرك قد توفي حال وجودهم في رومية ، فقد زودهم البابا برسالة الى المطارنة والشعب تاريخها ت ٢ سنة ١٦٠٨، كما انه قد كتب الى الشدياق خاطر يوصيه بالمطران سركيس العائد الى الوطن بعد وفاة شقيقه البطريرك ، ويريد منه ان يمكنه من الاستحباس في قزحيا حسب رغبته وطلبه .

لم يبقَ فيها آنئذٍ حتى سنة ١٦٢٢ ، كما يؤكد شيخو (١٠٢) ، ولا الى سنة ١٦٣٨ ، كما زعم الدبس (٣٦٩) . فاذا كان قد ترك وفده يعود وحده الى لبنان سنة ١٦٠٨ ، وظل هو في رومية بامر البابا للاهتمام بطبع الكتب ، فلا شك في انه قد انضم الى اعضاء هذا الوفد انفسهم ، وهم هم الذين أمّوا رومية ثانيةً من قبل البطريرك الجديد يوحنا مخلوف سنة ١٦٠٩[1] ، وعاد معهم الى لبنان في ١٠ اذار سنة ١٦١٠ حيث طبع كتاب المزامير . واخيرًا ان البطريرك يوسف الرزي توفي في ١٨ اذار سنة ١٦٠٨ ، وفقًا لما جاء في

وتاريخ هذه الرسالة ، كما جاء في مجموعة العنيسي ، ١٤ ك ٢ سنة ١٦٠٨ (Sic) اي قبل تاريخ وفاة البطريرك . فمن هاتين الرسالتين ، كان يجب ان نستنتج ان المطران سركيس قد عاد الى لبنان مع اعضاء وفده . لكن الدويهي يؤكد انه بقي في رومية بامر البابا ، للعناية بطبع الكتب اللازمة للطائفة .

١) ذكر الدويهي هذا الوفد في تاريخ الازمنة (١٨٨ وما بعد) وفي رد التهم (٤٥٢) . وجاء ذكره في براءة للبابا بولس الخامس الى البطريرك يوحنا مخلوف سنة ١٦١٠ (عنيسي ١١٦–١٢١) وفي محضر المجمع الكردينالي المعقود سنة ١٦٠٩ (عنيسي ، آثار مارونية ١٠٥) . ومن هذا كله يُستفاد ان البطريرك يوحنا مخلوف ، عقيب انتخابه ، وجه وفدًا الى رومية ، قوامه الكاهنان جرجس مارون والياس الحاج والشماس يوسف كرمسده (تاريخ الازمنة ورد التهم) . فعرج هؤلاء على قبرس واخذوا معهم القس كسبر الغريّب الماروني (رد التهم وآثار مارونية) . ولما وصلوا الى الاسقف سركيس ، اخذوه معهم الى رومية (رد التهم) ورجع القس جرجس ومعه رسائل التثبيت بتاريخ ٨ اذار سنة ١٦١٠ ، ورسالة اخرى للشعب ، ورسالة ثالثة في ابطال السنن الجديدة ، تاريخها كذلك ٨ اذار سنة ١٦١٠ (تاريخ الازمنة ورد التهم : غير ان الرسالة الى الشعب ورد ذكرها فقط في تاريخ الازمنة ، ولعلها الرسالة التي سلمت الى الوفد السابق سنة ١٦٠٨) .

ولا يذكر الدويهي من اي مكان اخذوا معهم المطران سركيس الى رومية ، كما انه لا يذكر اذا كان المطران سركيس قد عاد معهم الى لبنان . ولا ريب في ان هذا ما دفع الدبس وشيخو الى تأكيد استمراره في رومية تلك السنة . على ان خاتمة كتاب المزامير لا تترك مجالاً للريب في انه كان في قزحيا بلبنان سنة ١٦١٠ – ولعل كل هذه المعلومات التي ذكرها الدويهي بشأن المطران سركيس وبقائه في رومية سنة ١٦٠٨ ، وانضمامه الى الوفد الآخر سنة ١٦٠٩ ، مأخوذة عن براءة البابا بولس الخامس في تثبيت البطريرك مخلوف وغيرها من البراءآت . ومما يؤسف له ان هذه البراءة غير موجودة ولا مذكورة بشيء في مجموعة الاب عنيسي .

محضر اعمال المجمع الكردينالي المنعقد ١٦٠٩ من انه توفي في اذار ١٦٠٨ وانتخب خلفه في ١٦ ت١ من السنة نفسها[1] وخلافاً لما ذكر تاريخ الازمنة (١٨٧ ١٨٨) من انه توفي في آب سنة ١٦٠٨ وانتخب خلفه في حزيران سنة ١٦٠٩[2]

وقد ساعد المطران سركيس في عمله نسيبهُ الشماس يوسف بن عميمه الكرمسداني، والقس الياس ابن الحاج حنا بن بولس من اهدن، والشماس يوسف بن يونان. فهذا الاخير لا نعرف عنه شيئاً. وقد كان، من اعضاء وفد البطريرك يوسف الرزي الى رومية سنة ١٥٩٨، قس باسم جرجس بن يونان، فلعله اخوه او نسيبه. اما القس الياس فقد افاد الدويهي (٢٣٤) انه تربى في دير قزحيا. فعلاقته اذاً بسركيس الرزي قد تكون ابتدأت هناك. وليس ما يمنع من ان يصح هذا كذلك في الشماس يوسف، نسيب المطران سركيس. والاثنان كانا معاً من الوفد الذي ذهب الى رومية سنة ١٦٠٧ برئاسة هذا هذا المطران ثم عادا اليها مع وفد سنة ١٦٠٩، الذي ضم اليه المطران سركيس في طريقه الى رومية. ولا شك في ان المطران كان يشترك معهما في هذه الاثناء باعداد المواد لطبعة المزامير.

ولسنا نبخس الباقين حقهم، اذا قلنا ان ساعده الايمن في العمل كان الشماس يوسف. فقد جاء ذكره في اول الكتاب وآخره. وهو كتب الخاتمة

---

١) آثار مارونية، عنيبي ١٠٥

٢) ومما يسترعي الانتباه ان الدويهي في رد التهم (٤٥١–٤٥٢)، حيث يستقي معلوماته، على ما يظهر، من البراآت، لا يبين بالحصر تاريخ وفاة البطريرك يوسف ولا تاريخ انتخاب خلفه، بل يلمح اليهما تلميحاً: «بعد مدة قصيرة (من سنه ١٦٠٧)، قضى البطريرك يوسف اجله . . . وكانت سنة ١٦٠٨ شديدة فتأخرت رسامة البطريرك، ثم وقع الانتخاب على يوحنا مخلوف». ولا عبرة ان براءة ت ٢ ١٦٠٨، تخص الموارنة على انتخاب خير خلف للبطريرك يوسف، وهذا الخلف كان قد انتُخب في ت ١: ذلك ان خبر الانتخاب لم يكن قد وصل بعد الى الكرسي الرسولي. على ان هناك صعوبة وهي ان رسالة بولس الخامس الى الشدياق خاطر، وبها ذكر وفاة البطريرك، مؤرخة في شباط ١٦٠٨، قبل تاريخ الوفاة المثبت اعلاه. فجوابه ان هذه الرسالة قد يكون تاريخها مغلوطاً، والارجح انه من سنة ١٦٠٩

المطوّلة واودعها اشياء كثيرة عن الكتاب وطبعه وافادات قيّمة عن المطران سركيس، وعميه البطريركين مخائيل وسركيس، وشقيقه البطريرك يوسف، وانتسب فيها اليهم اذ سمى المطران واولاد عمه اخواله. ونرجح انه اشترك بهذه الطبعة كرقيب عليها، يقف على الطبع ويصحح الاغلاط. وقد رقي الشماس يوسف الى الاسقفية على دمشق في نحو سنة ١٦٤٤، على يد البطريرك يوسف العاقوري وجعل معاوناً له. وتوفي سنة ١٦٥٣[١]

وكانت الاسقفية كذلك نصيب شريكه في العمل، القس الياس؛ سقفه البطريرك جرجس عميره على اهدن سنة ١٦٣٨. وسماه الدويهي هكذا: الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن. وقد توفي سنة ١٦٥٩[٢].

اما الاشغال الفنية فقد قام بها رجل ايطالي، اسمه المعلم بسكالي الي، استحضره المطران سركيس من بلدة كامرينو، ولا ريب انه كان ماهراً في فن الطباعة. وربما صبّ بيده الحروف السريانية، كما ارتأى المرحوم شيخو (المشرق ٣ [١٩٠٠] ٢٥٥). فكان له في انجاز العمل حصة كبيرة.

***

ها قد اطلنا الكلام في العملة، فحان لنا ان نتكلم عن عملهم. فهل كلل النجاح مساعيهم المشكورة فجاءت طبعتهم صالحة، ذات قيمة، جديرة بالذكر مع الطبعات التي تلتها؟

طبع كتاب قزحيا على ورق متوسط الحجم، وبلغ عدد صفحاته ٢٦٠. واختير للسريانية حروف كبيرة، ملآنة، واضحة، وللكرشونية حروف اصغر حجماً، هي المألوفة في مطبعة انتشار الايمان المقدس برومية.

ووضع عنوانه بالسريانية، بعد البسملة: «كتاب مزامير داود الملك والنبي» وزيد في الكرشونية: «كتاب مزامير او تسابيح» وهو يشتمل على سفر المزامير، وعددها ماية وخمسون، وفي آخرها المزمور المائة والحادي والخمسون[٣]،

١) الدويهي ٢١٧ و٢٣٦ : دبس ٢٠٨ و٢٧٤

٢) الدويهي ١٨٨، ٢١٣، ٢٢١ و ٢٢٤ : دبس ٢٧٥

٣) ان بين العبرانية والترجمات، كما بين الترجمات انفسها، فرقاً في توزيع الاعداد

وعلى تسابيح موسى وبني اسرائيـــل ، واشعيا ، ومريم العذراء ، واطفال بيت حننيا الثلاثة ، والقديس افرام السرياني . والمزامير والتسابيح مدرجـة جميعها بالسريانيــة في حقل وبالكرشونية في حقل موازٍ ، ما عدا التسبحتين الاخيرتين فهما بالسريانية وحدها .

وذكر امام كل مزمور عدده ، بالحبر الاحمر ، ولم تعدَّ الآيات آيةً آيةً ، بل خمساً خمساً ، اي وضع على الهامش الرقم ١ امـــام الآية الاولى من كل مزمور ، والرقم ٥ امام الخامسـة ، و١٠ امام العاشرة ، وهلم جراً .

والمزامير غير مقسومة تسابيح ومزمايات ، كما في الكتب الطقسية ، حتى ولا كتباً[1] . وبعض المزامير الطويلة مقسومة قسمين او ثلاثة ، تدلُّ على كل قسم هذه اللفظة ، بالحبر الاحمر : ܦܣܘܩܐ . وقد جـاء مكانها ، في المزمور ١٠٤ : ١٩ ، هذه اللفظة اليونانية : ܕܝܐܦܣܠܡܐ وهي هي التي تجدهـــا في الترجمة السبعينيـــة موضع لفظة سلاه العبرانية وقد جاءت ترجمتهـــا في الحقل الكرشوني غالباً هكذا : « قطع فصل » ، ومرتين « فصل » ، ومرة " قسم "[2] .

وليس للمزامير عناوين موسيقية ولا تعاليق او شروح تاريخية[3] . وقــد

على المزامير ورقمها بها ، تراه في هذا الجدول :

العبرانية	السريانية	اليونانية واللاتينية
٩ — ١٠	٩ — ١٠	٩
١١ — ١١٣	١١ — ١١٣	١٠ — ١١٢
١١٤ — ١١٥	١١٤	١١٣
١١٦	١١٥	١١٤ — ١١٥
١١٧ — ١٤٦	١١٦ — ١٤٥	١١٦ — ١٤٥
١٤٧	١٤٦ — ١٤٧	١٤٦ — ١٤٧

في هذا المقال تُعد المزامير وفقاً للنسخة السريانية البسيطة .

١) وانما ذكر بعد المزمور ١٠٦ « ܗܘܠ ܡܙܡܘܪܐ ܘܫܠܡܬ » ايضاً السفر الخامس »

٢) هذه علامات القواطع في المزامير : مز ١٨ : ٢٦؛ ٢٢ : ٢١؛ ٣١ : ١٢؛ ٣٧ : ٢٢؛ ٦٨ : ١٨؛ ٦٩ : ٢١؛ ٧٨ : ٣٢و٥٢؛ ٨٩ : ٢٦؛ ١٠٤ : ١٦؛ ١٠٥ : ٢٢؛ ١٠٦ : ٢٢؛ ١٠٧ : ٢٢؛ ١١٥ : ١٠

٣) ذكر امام المزامير ١٢٣–١٢٤ ، ١٢٨–١٣١ انها من ܡܣܩܬܐ : من مزامير المراقي . وهذه اللفظة محشورة بين السطرين في الحقل السرياني وغير مترجمة في الحقل الكرشوني .

نسب معظمها الى مؤلفيها ، فاذا ٧٥ منها لداود ، و ١٢ لآصاف ، و٩ لبني قورح ، و٢ لايديثوم ، وواحد لحجاي وزكريا ، و٤٧ مغفلة . وهناك اربعة مزامير نجهل نسبتها ، لانها تبدأ في الصفحات الناقصة في نسخة المكتبة الشرقية التي لم نتمكن من الحصول على غيرها ، بالرغم من التفتيش الطويل ؛ منها مزموران واقعان بين مزامير منسوبة الى داود ومزموران بين مزامير مغفلة[1]

هذا وقد ضبطت السريانية بالنقط الغراماطيقية المألوفة ، وكذلك بالحركات اللازمة . وجرى الطابعون على عادة المتأخرين في ضبط المفردات[2] وفي الحاق اليود اي الياء بالغائبة من المضارع وبالغائبات من الماضي ، والحاق الواو بالغائبين منه ، ومرة واحدة بالغائبين من المصدر[3]

ولم نجد فيه من اغلاط الطبع الا اليسير جداً والتافه (٦ اغلاط) . وقد وضع خطأً للمزمور الـ ٢٠ ، عدد المزمور الـ ٢١ في الحقلين ، وكذلك سقط في الحقلين سطر كامل من اعلى الصفحة ٤٧ : [illegible] (مزمور ٢٨ : ٦ و٧) ؛ ونقصت في الحقلين الآية ١١ من المزمور ١١٧ صفحة ٢٠٧

وكذلك ذكر امام المزمور ٤٥ انه « لبني قورح في ايام موسى » .

١) مزامير لداود ٢-٤، ٦-٩، ١٠-١٢، ١٧-١٩، ٢٨-٤٠، ٤١-٤٣، ٥١-٦١، ٦٣-٦٥، ٦٨-٦٩، ٧٢، ٨٦، ٩٣-٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٣-١٠٦، ١٠٨-١٠٩، ١٢١-١٢٢، ١٣٠، ١٣٢-١٣٣، ١٣٦-١٤٤ ؛ وعلى الغالب ٩٥-٩٦

لآصاف : ٥٠ ، ٧٣-٨٣

لبني قورح : ٤٢ ، ٤٤-٤٩ ، ٨٤-٨٥

لايديثوم : ٣٩ ، ٦٢

لحجاي وزكريا : ١٤٥

مزامير مغفلة ، بدون نسبة : ١، ٥-٨، ١١، ١٨، ٦٦-٦٧ ، ٧٠-٧١، ٨٧-٧٩، ٩٢، ١٠٠-١٠٢، ١٠٥-١٠٧، ١١٠-١٢٠، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤-١٣٥ ، ١٤٦-١٥٠ : وعلى الغالب ٩٠-٩١

٢) [illegible] ١ : ٢ : [illegible] ٩ : ٩ : [illegible] ٥٤ : ٧ وغيره : [illegible] ٢٢ : ١٠ : [illegible] ٢٢ : ٢٧ : [illegible] ٢٤ : ١ : ١٥-٥٥ : ٩-١٠ ؛ [illegible] ٣١ : ١١ : [illegible] ٣٧ : ١ ؛ [illegible] ٣٧ : ٢ ؛ [illegible] ٥٠ : ١٢ : [illegible] ٦٩ : ١٦ : [illegible] ١٤٨ : ٨ : [illegible] ١٥٠ : ٤ : وما اشبه ذلك .

٣) [illegible] ٤ : ٦ : [illegible] ٤٤ : ١٨ : [illegible] ٥٩ : ١٢ ؛ وجاء [illegible] بدون الياء في ٩٠ : ٩ ؛ وقد جاءت مرة واحدة [illegible] ٦٤ : ٦

اما النصّ الذي اعتمده الطابعون فيشتمل، مثل سائر المطبوعات والمخطوطات، على ما يسمونه قراآت مختلفة. وقد مكنتنا طبعة كمبردج، بما تحواه من فهارس وتعاليق وحواشٍ نقدية، من مقابلته بها وبسواها. وهاك معظم ما تهمُّ معرفته من هذا القبيل.

يختلف قزحيا عن كمبردج في ٣٠٠ موضع تقريباً. ومن الف مقابلة المخطوطات والمطبوعات بعضها ببعض، لا يهوله هذا العدد. وهذه القراآت المختلفة ثلاثة انواع: احدها يختلف به قزحيا عن كمبردج، لكنه يشترك به مع جملة من المخطوطات والمطبوعات الاخرى وعدده ١٢٠؛ والثاني يشترك به مع طبعة باريس وحدها وعدده نحو ٤٠، ومعها ومع واحد او اثنين من المخطوطات او مع هذه فقط، وعدده نحو ٥؛ والثالث ينفرد به قزحيا دون سواه من المخطوطات والمطبوعات وعدده نحو ١٤٠. وهذه الاخيرة، وهي وحدها حرية بالانتباه والدرس، منها ما يختلف عن كمبردج في الحقل السرياني فقط، ويطابقه في الحقل الكرشوني وعدده نحو ٦٠؛ فيكون اذاً عدد القراآت المختلفة المختصة بقزحيا، من حيث النصّ السرياني والكرشوني معاً، نحو ٨٠ فقط. اما اذا اضفنا اليها القراآت المختلفة في السريانية وحدها، وكذلك القراآت التي يشترك بها قزحيا مع باريس وحده اعتبار ان مصدرهما واحد، بلغ العدد نحو ١٨٠.

ثم ان هذا المجموع انواع: فمنه كلمات ناقصة، ومنه كلمات زائدة، ومنه قراآت مختلفة.

فالكلمات الناقصة في السريانية ١٦، منها ٩ مذكورة في الترجمة[1]؛ والكلمات الزائدة في السريانية ٢، منها ٦ غير زائدة في الترجمة[2]؛ والقراآت

١) سقطت لفظة ܗܫܐ خمس مرات وكذلك الضمائر الملحقة بالاسماء او الافعال للتأكيد مثل ܡܫܡܠܐ ܗܘܐ، ܫܘܒܚܐ ܗܘ الخ. ولفظة ܐܡܝܢ ܘܐܡܝܢ في آخر المزمور ٧٢ الخ.

٢) اكثر الزوائد ضمائر ملحقة للتأكيد. ومرتين لفظة ܟܠܗܘܢ ٢٣: ٥ و٩٨: ٧؛ ولفظة ܗܫܐ مرتين؛ ولفظة ܗܐ بعد ܟܠܗܘܢ ٦٢: ٧، و ܐܝܟ قبل ܡܛܪܐ ٧٨: ٤٣؛ ܘܒܝܘܡ ٨٦: ١٧ و١١٨: ٧٤. وما اشبه ذلك مما لا يستحق الذكر.

المختلفة في السريانية يبلغ عددها نحو ١٤٧ ، منها ٤٢ غير مختلفة في الترجمة . ومن القراآت المختلفة ٢٢ تختلف بالافراد والجمع في الاسماء والضمائر ، و ٤٠ بسقوط احد حروف ܒܗܘܠܝ من اولها او بابدال احدها من الآخر . و ٤ بتقديم لفظة على اخرى او تأخيرها عنها . و٧ بزمن الفعل و٨ بالتركيب ، الى غير ذلك ، و٢٠ بابدال كلمة من اخرى .

ولما كان نطاق هذا المقال لا يتسع لايراد هذه الاختلافات كلها ، فلا اقل من ايراد هذه الكلمات الاخيرة المبدلة الواحدة من غيرها . فمنها ١٢ لا تجدها الا في قزحيا وهي :

١٣:٢٥ ܒܡܫܒܚܬܐ = ܒܡܫܡܥܬܐ   ٢٥:١٠٥ و٢٩ ܘܐܘܣܦ = ܘܣܦ
٦:٢٩ ܐܡܪ = ܐܡܪ (ولعلها غلط طبع)   ٣٢:١٠٦ ܘܐܬܐܡܪ = ܘܐܬܠܡ
١٣:٣٦ ܒܥܠܐ = ܒܥܘܕܪܐ   ٧:١٣٨ ܐܘܪܚܢ = ܘܪܚܢ
١٣:٥٠ ܠܐܘܪܚܬܐ = ܐܣܟܠܐ   ٦:١٤٥ ܘܪܫܥ = ܕܐܠܗ
٢٠:٥١ ܒܠܐ ܪܥܝܗܘܢ = ܒܪܥܝܗܘܢ   ٩:١٤٩ ܒܥܡܠ = ܒܥܒܕܝܗܘܢ
١٩:٨٨ ܐܒܪܗܡ = ܐܦܪܗܡ

ومنها ٤ تجدها في قزحيا وباريس فقط وهي :

٤٤ : ١٨ ܫܬܝܢ = ܫܢܝܢ   ٣:١٠٠ ܘܒܗ ܡܫܚ = ܘܠܐ ܗܘܐ ܡܫܚ
٨١ : ٦ ܡܢ ܐܘܪܚܐ = ܠܐܘܪܚܐ   ١٥:١١٤ ܫܢܝܢ = ܡܢܝܢ

ومنها ٦ تجدها فيهما وفي واحد او اثنين فقط من المخطوطات وهي :

٥١ : ٣ و١١ ܠܚܡ = ܒܠܚܡ   ٦٣ : ٨ ܐܣܟܠܐܘ = ܐܣܟܠܐ
٥١ : ٦ ܡܒܪܐ = ܒܒܪܐ   ١٤٩ : ٤ ܒܡܥܒܕܗ = ܒܡܥܒܕ
٥١ : ١٦ ܕܡܘܪܝܢ = ܕܐܘܪܝܢ

بقيت القراآت التي بها يختلف قزحيا عن كمبردج ويشترك مع سواه . فبعضها افضل في كمبردج وامثاله ، وبعضها افضل في قزحيا وامثاله . وقد يتساوى الاثنان جودةً في معظمها .

ذلك لاننا نجد كثيراً من قراآت قزحيا في اقدم المخطوطات واهمها ، لاسيا في المخطوط الامبروسياني (A) من القرن التاسع ومنها ٢٢ : ٢ ܘܥܡܗ

ܦܘܪ ؛ ٢٤ : ١ ܘܢܦܠ ؛ ٢٨ : ٨ ܦܘܪܩܢܐ ؛ ٣٤ : ٧ ܢܦܫܗ ؛ ٣٦ : ٧ ܠܗܘܪܐ ܠܟܠܗܘܢ ؛ ٣٨ : ٩ ܘܐܬܪܘܡܡ ؛ ٤١ : ٢ ܕܡܘܟܟܐ ؛ ٤١ : ١١ ܘܐܦܪܥ ؛ ٤٢ : ܘܐܡܪܗ ؛ ٥١ : ١٣ ܡܢܝܐ ؛ ٥٩ : ٨ ܘܡܢܗ ؛ ٥٩ : ١٣ ܥܡ̈ܡܐ ؛ ٦٦ : ٨ ܘܫܡܥܘ ؛ ٦٦ : ١٨ ܐܬܦܪܥ ؛ ٧١ : ٢٠ ܐܦ ܡܢ ؛ ٧٩ : ٥ زيادة ܠܥܠܡ ؛ ٨١ : ١٤ ܗܘܐ ؛ ٩٤ : ١ ܐܠܗܐ ؛ ١٠٦ : ٣ ܘܥܒܕܘ ؛ ١١٠ : ٢ ܟܠ ܒܥܠܕܒ̈ܒܝܟ ؛ ١١٥ : ١٤ ܥܠܝܟܘܢ ؛ ١٢٢ : ٢ ܒܬܪ̈ܥܝܟܝ ܘܕ̈ܒܪܐ ؛ ١٢٦ : ٣ ܕܥܒܕܢ.

وفي المخطوط البريطاني (C) ، من القرن السادس ومنها : ١٨ : ٣٤ ܘܥܠ ܙܘܥܐ ؛ ٢٢ : ٣١ ܕܢܦܠ ؛ ٢٥ : ٧ ܐܬܘܒ ؛ ٤٧ : ٤ ܥܡ̈ܡܐ ؛ ٤٨ : ١٣ ܐܬܟܪܟܘ ؛ ٤٩ : ٢١ ܟܐܒܥܝܪܐ ؛ ٦٩ : ٢٨ ܘܠܐ ܢܥܠܘܢ ؛ ٧٤ : ١ ܠܥܠܡ ؛ ٨٥ : ٩ ܟܠ ܥܡܗ ؛ ١٠٢ : ٤ ܟܐܘܬܢܐ ؛ ١٠٥ : ١١ ܡܢܬܐ ܕܝܠܟܘܢ ؛ ١٠٩ : ٢ ܐܬܦܬܚܘ ؛ ١١٠ : ٢ ܟܠ ܒܥܠܕܒ̈ܒܝܟ ؛ ١٢٦ : ١ ܘܫܒܝܐ ؛ ١٢٨ : ٢ ܫܒܚܬ ؛ ١٣٤ : ١٠ ܠܥܠܡܐ ؛ ١٤٠ : ٦ ܒܥܒܕܘܗܝ ؛ ١٤٧ : ٨ ܘܡܥܒܕܗܘܢ ؛ ١٤٩ : ٤ ܦܘܪܩܢܐ.

وفي المخطوط الفيرنسي (F) ، من القرن التاسع اما بالاشتراك مع المخطوط الامبروسياني ، مثل ٢٤ : ٩ ، ٥١ : ١٣ ، ٧١ : ٢٠ ، ١٢٦ : ٣ ؛ او المخطوط البريطاني ، مثل ٤٨ : ١٢ ، ٤٩ : ٢١ ، ٧٤ : ١ ، ٨٥ : ٩ ، ١٢٦ : ١ ، ١٢٨ : ٢ ؛ واما بالانفراد عنهما ، ومنها ١٦ : ٤ ܘܠܐ ܐܢܫ ؛ ١٩ : ٥ ܘܒܣܘܦ ܐܪܥܐ ؛ ٢٤ : ٧ ܘܢܥܘܠ ؛ ٣١ : ٨ ܡܥܩܬܗ ؛ ٧١ : ١٦ ܘܐܥܘܠ ؛ ٧٣ : ٦ ܘܐܬܥܛܦܘ ؛ ٧٤ : ٢٠ ܘܡܬܡܠܝ ؛ ٨٠ : ١٩ ܘܠܐ ܢܗܦܘܟ ؛ ٨٥ : ٣ زيادة ܟܠܗ بعد ܚܛܗܝܢ ؛ ٨٧ : ٥ ܘܓܒܪܐ ؛ ٩٦ : ١٢ ܢܫܒܚܘܢ ؛ ١٠٤ : ١٠ ܥܝܢܐ ؛ ١٠٩ : ٢٦ ܠܟܠܗܘܢ ؛ ١١٥ : ٩ ܠܟܠܗܘܢ ؛ ١٤٢ : ٢ ܚܘܒܠܐ.

وفي المخطوطات الشرقية (K. L. N. O.) ، من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ؛ اما بالاشتراك مع المخطوطات السابق ذكرها (A. C. F.) ، مثل ١٨ : ٣٤ ، ٤٨ : ١٣ ، ٤٩ : ٢١ ، ٥١ : ١٣ ، ٦٩ : ٢٨ ، ٧١ : ١٦ ، ٧١ : ٢٠ ، ٧٣ : ٦ ، ٧٤ : ١ ، ٧٤ : ٢٠ ، ٨٣ : ١٦ ، ١٠٤ : ١٠ ، ١٠٩ : ٢ ، ١١٥ : ١٤ ،

١٢٢ : ٢ ، ١٤٩ : ٤ ؛ واما بالانفراد عنها ، ومنها : ١٦ : ٥ زيادة ܗܘ بعد ܠܗ ؛ ١٠:١٦ ܘܚܣܝܐ ؛ ١٩ : ١٣ ܒܥܒܕܝܟ ؛ ١٠:٢٢ ܡܢ ܠܐܘܡܬܐ ؛ ٣٩ : ٣ ܠܡܣܒܐ ؛ ٤٢ : ١١ ܘܐܡܪܝܢ ؛ ١١:٦٥ ܡܘܒܠܗ ܘܠܐܦܪܝܗ ؛ ١٠:٦٨ ܠܥܠܡܗ ؛ ١٦:٧٢ ܡܢܫܡܬܗ ؛ ٧٣ : ٢٥ زيادة ܠܟ بعد ܐܠܐ ؛ ١٠٢ : ١٩ ܐܚܪܝܐ ؛ ١٠٥ : ٣١ و٢٤ ܘܐܬܐ ؛ ١٠٦ : ٥ ܘܢܫܬܒܚ ؛ ٢٣:١٠٧ ܘܥܒ̈ܕܝܢ ܥܒܕܐ ؛ ١٠٩ : ٢٧ ܘܐܝܕܟ ؛ ١٢٢ : ٣ و٤ ܫܠܝܛܘܬܐ ؛ ١٢٤ : ٥ ܥܠ ܐܦܢܝܢ ؛ ١٣٥ : ١٥ ܕܒܢܝܢ ؛ ١٤٢ : ١٠ ܥܠ ܪܘܚܝ ؛ ١٤٣ : ١٠ ܘܡܘܕܥ ؛ ١٤٣ : ١٢—١٤ ܒܥܝܢܝܗܘܢ الخ ؛ ١٤:١٤٨ ܘܒܥܡܗ.

وما هو حريٌّ بالذكر ان قزحيا ، حيث يعتمد هـذه القرآآت الموجودة في المخطوطات الشرقية ، ضد المخطوطات القديمة (.A. C. F) يتفق دائماً تقريباً مع المطبوعات كلها او اكثرها.

على ان في كمبردج قرآآت ، لا بأس بتفضيلها ، لان قسماً منها يتفق مـع المخطوطات كلها تقريباً ومع بعض المطبوعات ، ضـد قزحيا وبعض المطبوعات الاخرى ، منها : ٣:٢٢ ܒܥܘܠܐ ؛ ٦:٢٩ ܙܘܥ ؛ ٣٩ : ١١ ܘܡܢ ܡܚܘܬܐ ؛ ٢٣:٤٤ ܚܝ̈ܠܐ ؛ ٤٤ : ٢٥ ܘܐܘܠܨܢ ؛ ٢:٦٧ ܠܟܘܢ ؛ ١١:٧٣ ܐܡܪܬ ؛ ٩:٧٦ ܡܫܟܢܗ ؛ ٤:١٠٦ ܠܐܘܪܫܠܡ ؛ ١٠:١١٢ ܘܡܠܘܗܝ ؛ ٢٣:١١٤ ܘܟܕ ؛ ١١٨ : ١٢١ ܠܡܫܡܫܢ ؛ ١٣٨ : ٢ ܘܡܠܬܟ ؛ ١٣٩ : ١٢ ܡܫܝܚܐ ؛ ١٤٣ : ١٠ ܘܢܦܫܝ ... ܡܢܗ ؛ — والقسم الآخر يتفق مـع المخطوطات والمطبوعات جميعها ، منها : ٦:٤٠ ܘܣܒܪ̈ܬܟ ؛ ٩:٥١ ܟܠܗܘܢ ؛ ١١:١٠٥ ܐܪܥܐ.

والاهمّ ان في كمبردج بعض قرآآت لا اثر لها في المطبوعات مطلقاً، فاعتمدها الكاتب مستندًا الى المخطوطات الاكثر قدماً واهمية منها ٢:٢٠ ܫܡܗ ؛ ٣:٧٣ ܕܢܫܬܒܚ ؛ ٣:٧٤ ܕܡܘܬܒ ؛ ١٦:١٠٥ ܠܐܪܥܐ ؛ ١٣:١٠٩ ܐܚܪܝܐ ؛ — على ان هذه القرآآت جميعها ، ما عدا الاخيرة ، تجـدها في مطبوع قزحيا ، كما انك تجد غيرها من نوعها ، مثل ٢٢ : ١٦ ܘܟܠܒܐ ؛ ٣٤ : ٨ ܘܡܦܪܩ ؛ ١٤:٤٠ ܠܡܦܪܩܢܝ ؛ ٢:١١٩ ܘܢܦܩܘܢ.

ولربما كانت ملاحظات اخرى في شأن طبعة قزحيا ، غير ان بهذه كفاية للدلالة على ان هذا الكتاب ، عقيب مقابلته بغيره ، لا ينقص عن سواه اتقاناً ودقةً وصحةً ، بل يضاهيه جملةً ، وقد يفوقه مراراً . ولهذا فهو جدير ، من هذا القبيل ، كما من قبيل تاريخه ، بان يحصى بين طبعات المزامير ذات القيمة ، بل بان يولى شرف التسمية بالطبعة الاولى ، الرئيسية ، للمزامير بالسريانية .

***

بقيت قضية لا باس بطرقها في ختام هذا البحث ، وهي : هل طبعت المزامير بالسريانية في قزحيا ، قبل سنة ١٦١٠ ؟

ذكر المطران اسطفان عواد السمعاني ، بين مخطوطات المكتبة الماديشية اللورنتية[1] ، نسخة عربية الكتاب المزامير الداودية ، مترجمة من السريانية ، بهمة وعناية جرجس مطران نيقوسية الماروني .

وقال « ان هذه الترجمة الكرشونية للمزامير طبعت على ورق كبير ، مع الاصل السرياني ، في مطبعة دير القديس انطونيوس الانبا ، في قزحيا بجبل لبنان ، سنة ١٥٨٥ للمسيح ، تحت رعاية سركيس الرزي بطريرك الموارنة الرابع والاربعين ، ويوسف خاطر ، من عائلة الساعنة ، حاكم جبل لبنان »[2] .

ولما كانت رواية السمعاني تتحلى بكل ما يمكن لرواية تاريخية ان تتحلى به : فانه ذكر الترجمة العربية الاصلية وصاحبها ، ومكان وجودها ، وذكر مكان الطبع وزمانه ، وسمى الرئيس الروحي والحاكم المدني الذين تم الطبع في ايامهما ، وتناقل العلماء في شأنها قول السمعاني هذا ، من غربيين وشرقيين[3] نخص بالذكر منهم سمعان السمعاني ، في مؤلفه المخطوطات الشرقية في المكتبة النانية[4] .

---

١) راجع Et. Ev. Assemani, *Catalog. Bibliot. Mediceæ Laurentianæ*, p. 71

٢) هكذا في الاصل . وتجد هذا النص في الدبس : تحفة الجيل في تفسير الاناجيل ، ص ١٠٢٦ : وفي سنورر ، المكتبة العربية ، ص ٣٤١

٣) انظر اسماء بعضهم في سنورر ، ص ٣٤١

٤) راجع كلامه في تحفة الجيل ، ص ١٠٢٦ ، *Catalog. de Codici manoscritti orientali della Biblioth. Naniana*. Padova, 1787

حيث يزيد : « ان هذه الطبعة هي الاولى» كانه يشير الى طبعة ثانية في قزحيا؛ وكذلك « ان الرجلين الشهيرين توما اربانيوس وجبرايل الصهيوني ، لم يكونا يدريان بهذه الطبعة » .

وقبل اسطفان عواد السمعاني ، لم يذكر هذه الطبعة احد . والى الآن لا نجدها في برامج المكاتب الشهيرة ولا يشير المؤلفون الى انهم عثروا على نسخة منها. ولهذا نرى سنورد في مكتبته العربية ، يورد ثلاثة اعتراضات على صحة هذا القول ، ويؤكد ان الطبعة التي يتكلم عنها السمعاني انما هي التي تمت سنة ١٦١٠ ، اي تلك التي اتينا على الكلام عنها فيما سبق. ويتهم السمعاني انه نسب عن قصد الى سركيس الرزي البطريرك ، ما يعود الى سركيس الرزي مطران دمشق وانه اختلق ودسّ تاريخ السنة ١٥٨٥

اما التهمة فيعزّنا جدًّا ان يلصقها عالم مثل سنورد برجل جليل رصين كالمطران اسطفان عواد السمعاني . فان كلام هذا الاخير لا يشتم منه رائحة تحوير او تزوير البتة . ولسنا نرى الغرض الذي يكون قد دفعه الى هذا التحوير او التزوير . ولو اكتفى سنورد بنسبة الامر الى الغلط، وما اسهله في مثل هذه الامور ، لما كان عليه من حرج.

واما الاعتراضات فاولها ان وجود مطبعة في جبل لبنان ، سنة ١٥٨٥ ، امر لا يصدق ، اذ انه لم يطبع كتاب سرياني واحد ، حتى في رومية نفسها ، قبل سنة ١٥٨٤ . وثانيها ان الاب دنديني اليسوعي ، الذي زار الموارنة سنة ١٥٩٦ لم يذكر ، في كتاب رحلته ، طبعة المزامير هذه ، بل ينفي وجود المطابع في لبنان وسائر البلدان الشرقية . واخيرًا ان ابرهيم الحاقلاني الماروني تكلم في احد كتبه عن طبعة المزامير في قزحيا ، سنة ١٦١٠ ، بدون ان يشير الى تلك الطبعة السابقة.

وها نحن نستقي من فيض المعلومات التي تملأ درساً للمرحوم الاب شيخو اسماه « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر » ونشره في المشرق ثم طبعه على حدة سنة ١٩٢٣ ، ما يبدد ويدحض اعتراضات سنورد .

من المعلوم ان الاب اليانو اليسوعي ، احد قصاد الكرسي الرسولي الاولين الى الموارنة ، قد جاء الى لبنان مرة اولى سنة ١٥٧٨ ، ومرة ثانية سنة ١٥٨٠. وكان من جملة الامور التي استرعت انتباهه ، حاجة الطائفة القصوى الى كتب مطبوعة خالية من النقائص والشوائب والمفاسد. فاقترح انشاء مطبعة في رومية ، سريانية وعربية اي كرشونية ، « لفائدة الموارنة » (شيخو ٣٢) . ولما اقرّه الكرسي الرسولي على هذا الامر ، باشر حالاً تجهيزها وحفر احرفها فتم العمل باسابيع قليلة ، وطبع بها بعض كتب روحية سنة ١٥٨٠ (شيخو ٣٤) ؛ ولما رجع الى لبنان ، قدم للبطريرك هذه الكتب في جملة ما قدّمه (شيخو ٤٠)[1]

وبعدئذ تابع الكرسي الرسولي الاهتمام بطبع كتب الموارنة ، فاظهر محامي الطائفة ، الكردينال كرافًا ، غيرة عظيمة في هذا الامر ، واستدعى الى رومية لهذه الغاية ، الخوري يوحنا بن ايوب الحصروني سنة ١٥٨٣ (شيخو ٧٥) . فكتب هذا سنة ١٥٨٥ الى الاب اليانو ، الموجود آنئذٍ في البندقية : « سيدنا البابا ... عمل لنا اسطنبا (مطبعة) بالحرف السرياني الكبير . وانا ومعلمي القس يوحنا برونو (رفيق اليانو في قصادته الثانية الى الموارنة ورئيس المدرسة المارونية برومية آنئذ) نقلنا الكتب من السرياني الى الفرنجي » (شيخو ٨٢) . ولدينا الى اليوم من هذه المطبعة ، كتاب النوبة اي الجناز ، المطبوع في رومية سنة ١٥٨٥ (شيخو ٨٤).

فهذه المطبعة ليست تلك التي كان الأب اليانو قد سعى بتجهيزها واشرف على انشائها وطبع بها الكتب الروحية سنة ١٥٨٠ . فتلك وليدة فكره وعمل يده ، فلا يعقل ان الاب الحصروني يكتب يخبره عنها بهذا الشكل . وانما كلامه في مطبعة ثانية ، كان الاب اليانو لا يعرفها.

اما المطبعة الاولى ، المنشأة « لفائدة الموارنة » فماذا كان مصيرها ؟ قال الاب شيخو (ص٣٤) : «لا نعرف شيئاً عن هذه المطبعة» ، سوى ان بعض الكتب

---

١) ومنها كتاب التعليم المسيحي بالكرشوني. ونسخة مفقودة ، الا واحدة فقط ، محفوظة في مكتبة فريبورج بسويسرا (شيخو ٣٦)

الروحية قد طبعت بها سنة ١٥٨٠ .

وعلى كل حال ، ينتج مما تقدم ان الموارنة كانوا قد باشروا الاهتمام بطبع كتبهم ، منذ السنة ١٥٧٨ ؛ وان بعض هذه الكتب قد طبع في رومية قبل سنة ١٥٨٤ ، على عكس ما وهم سنورر ؛ وان وجود مطبعة في جبل لبنان سنة ١٥٨٥ لم يعد « امرًا لا يصدق » ، بل امر تحقيقه سهل ، كان يكون الاب الزائر قد جاء الى لبنان بمطبعته المنشأة « لفائدة الموارنة » ، او يشتري رهبان قزحيا في رومية مثل هذه المطبعة او مثل المطبعة الثانية ؛ وان عدم ذكر كتاب المزامير في رحلة الاب دنديني ، لا ينفي حقيقة وجوده ، فالاب دنديني لا يذكر في رحلته الكتب المطبوعة في رومية والمجلوبة الى لبنان سنة ١٥٨٠ و١٥٨٥ ، مع ان امرها لا يحتمل الريب ، وهذه المستندات التاريخية حافلة بذكرها ، وهذه نسخها باقية الى اليوم ؛ ونقول الشيء نفسه عن المطبعة ، فيما لو وجدت . فلربما جهل دنديني امرها تمامًا ، او عرف بها ولم يتكلم عنها ، فلا ينفي جهله اياها ولا سكوته عنها حقيقة وجودها . هذا ويخطأ ، في رأينا الضعيف ، من يفهم من كلامه ان فن الطباعة كان مفقودًا في لبنان وسائر المشرق . فهو انما يشير فقط الى عدم « استخدام الطباعة استخدامًا مفيدًا وسهلًا » يمكن بدون عناء من تكثير الكتب ونشرها[1]

واذا جئنا الآن الى الاعتراض المأخوذ من سكوت الحاقلاني ، قلنا ان هذا العالم يتخذ ، ضد احد خصومه ، من كتاب المزامير المطبوع سنة ١٦١٠ ، حجةً على وجود الحركات السريانية قبل الصهيوني ، فهو قد اكتفى بايراد هذه الحجة ، اذ ليس ما يضطره الى ذكر طبعة اخرى سابقة لها . بل قد تكون هذه الاخيرة خالية الحركات ، فلا تصلح عندئذٍ حجةً بيده .

اما وقد مكنتنا الوثائق التاريخية الراهنة من دحض التهم والاعتراضات التي جاء بها سنورر ، فهل تمكننا هذه الوثائق نفسها من دعم كلام المطران اسطفان عواد السمعاني دعمًا قويًا ، لا يبقي للاعتراض مجالًا ؟ — قلنا ان

(1) دنديني ص٦٦: «non si trova... *l'utile et comodo esercizio* della Stampa etc.»

البحث تاريخي وضعي . فلا اقوى ، لاجل اثبات حقيقة هذه الطبعة ، من مثل العثور على نسخة منها . وما دام هذا الامر غير حاصل ، فالمجال متسع للاعتراض والتخمين والتقدير . ونحن ، اذا وجدنا اعتراضات سنورد غير ثابتة ، فلسنا نجزم بالّا تكون هناك اعتراضات اخرى سواها قابلة التصديق وغير خالية من القيمة .

منها انه لا يعقل ان يطبع كتاب المزامير ، في هذه البلاد وفي تلك الاحقاب ، مرتين بينها فقط ٢٥ سنة . فاذا كانت المزامير قد طبعت سنة ١٥٨٥ ، فلا يعقل ان يكون طبعها قد اعيد سنة ١٦١٠

ومنها كذلك ان الشماس يوسف عميمة ، نسيب آل الرزي ، الذي اشتغل في طبعة ١٦١٠ وكتب خاتمتها الطويلة وذكر اتعاب المطران سركيس فيها ، واطنب بـذكر آل الرزي ومنهم البطريرك سركيس ، لا يلمح قط الى ان هذا البطريرك سركيس سبق فطبع الكتاب نفسه سنة ١٥٨٥ . وكذلك المطران سركيس في مقدمته على طبعة سنة ١٦١٠ ، لا يشير الى شيء من ذلك .

ومنها اخيرًا وهذا يدعو الى الدهشة ، ان المطران اسطفان عواد لا يذكر بتةً طبعة سنة ١٦١٠ مع ان وجودها لا ريب فيه ، على ما رأيت ؛ ومع ان كل ما ذكره المطران ينطبق عليها تماماً .

فيحق لنا والحالة هـذه ان نقول ان المطران اسطفان اراد الكلام عن طبعة سنة ١٦١٠ ولكن تعذرت عليه واسطة الوصول الى نسخة منهـا فاعتمد على ذاكرته فيما كتب فقادته الى معرفة اسم صاحب الطبعة سركيس الرزي وخانته في التفرقة بين سركيس البطريرك (١٥٨١–١٥٩٦) وسركيس المطران (١٦٠٠–١٦٣٩) فآثر الاول وهو في عرفه اولى . وذكر بالنتيجة تاريخاً موافقاً جملةً سنة ١٥٨٥ والله اعلم !

هذا ما بدا لنا . وعسى ان يتوصل البحاثون الى مستندات اوفر واوفى ، في هذا الشأن ، مستندات تفوتنا الآن . وقد يكشفها الزمن من مخبآته ، اذا كان لها من وجود ، وما اكثر هذه المخبآت !

مزاعم المؤرخين العباسيين

في وصف سيرة الخليفة
سليمان بن عبد الملك الاموي

من قلم حبيب زيات (نيس : فرنسة)

لم يكتفِ العباسيون ، حين ادالهم الدهر من بني أُمية ، بتتبع رجالهم بالقتل والإفناء والتشريد ، وتقويض ابنيتهم وقصورهم ، وانتهاك حرمة قبورهم لإحراق رُممهم وتذرية رمادها في الريح . بل جدّوا ايضاً في محو كل ذكر لهم ، وتشويه كل خبر عنهم ، وتعفية كل اثر من مصانعهم . حتى لم يستنكف المأمون ، على فضله وجلالة قدره ، من نزع اسم « عبدالملك » ابن مروان من فسيفساء قبة الصخرة ، وإنزال اسمه « عبدالله » في مكانه ، على شدة تفاوت ما بين الزمانين ، كما لا يزال التاريخ المرقوم شاهداً عليه . ولا شك ان هذه الضراوة على ازالة كل حديث صحيح عن الامويين كانت ايضاً هي العامل الاكبر في تبديد كل الكتابات ، وابادة كل السجلات المعاصرة للخلفاء الدمشقيين . بحيث لم ينتهِ الينا اليوم من اخبار ذلك العهد مؤلّف واحد يمثل لنا تلك الايام ، ويحكي ، بغاية الصدق والامانة ، ما تقدم من الانباء والوقائع ، ويصف اخلاق من درج من الرجال والقبائل ، وصفاً منزّهاً عن كل تعصّب وهوى . ولما كان الناس على دين الملوك في كل زمان ومكان تقرّب الكتبة ، والمؤرخون ، والقصّاص ، والمحدّثون في بغداد من رضى العباسيين بوضع الاخبار والمغالاة في تصوير الحوادث ، ووصف الرجال على الوجه الذي كانوا يعلمون انه اجدر بالحظوة لدى السلطان وابلغ في الغضّ من الدولة البائدة . ولذلك لا نكاد نجد اليوم في كل هذه الاسفار والصفحات التي ورد فيها شرح اخبار الامويين اقلّ انصاف واعتدال في الكلام عليهم . فضلاً عما

هنالك احيـاناً كثيرة من الطعن واللعن ، والازراء وسوء الثناء ، او المجازفة والاختلاق في نقل الروايات ، وايراد النوادر والنكات.

ومن هذه الاخبار والاوصاف التي ذهب فيها الإغراق كلَّ مذهب، وتبارى الندماء في التنادر بها في مجالس دار السلام ، وصف شرَه سليمان بن عبد الملك الاموي ، وقدرته العجيبة ، فيما زعموا ، على الازدراد والهضم ، الى حدّ يفوق كل تقدير ويتجاوز كل ادراك ، وحسبنا للدلالـة على هذه المغالاة في التمثيل والتهويل ان ننقل ما حكاه اثنان فقط من مؤرخي العباسيين وهما ابو الفرج ابن الجوزي، وابو المظفر بن قزغلي[1] ، اي الجدّ والسبط ، في كتابيهما المشهورين : المنتظم ، ومرآة الزمان.

قال ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي باسناده الى عبدالله بن الحارث :

« كان سليمان بن عبد الملك اكولاً . وكان بينه وبين عبد الله (ابن سليمان) وصلة . قال: قال لنا سليمان يوماً: « اني قد امرت قيّم بستان لي ان يحبس على الفاكهة ولا يجني منها شيئاً حتى تُدرك. فاغدوا عليّ مع الفجر — يقول لاصحابه

---

١) جاء في حاشية شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ٢٦٦) تعليق لطابع الكتاب على وفـاة ابي المظفر سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤ زعم فيه ان صحة اسمه يوسف بن فرغلي (بالفاء والغين) قال : « في الاصل (قزعلي) وفي كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزري (قزأوغلي) وكلاهما وما يتصحف منهـا خطأ . ويمي بعضهم لتعليله تعليـلاً اعجمياً فاسداً . والصواب (فرغلي) كما في نسخة قديمة من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرهما من كتب الادب » .

وقد عنّ لنا ، ونحن في أكسفرد ، ان نبحث في خزانتها في نسخة من الوافي بالوفيات عن صحة هذا الاستدراك ، فاكان اشدّ اندهاشنا حين وجدنا الصفدي يقول في ترجمة ابي المظفر ما نصّه بالحرف ، ننقله لما فيه من الاشارة الى مجازفات صاحب مرآة الزمان وهي بعض موضوع مقالتنا الحاضرة . قال :

« يوسف بن قزغلي بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام ابن عبدالله الامام المؤرخ شمس الدين ابو المظفر . . . سبط ابن الجوزي . . . وكان والده قزغلي من موالي الوزير عون الدين بن هبيرة... ويقال في والده زغلي بحذف القاف. ثم اشار الى مرآة الزمان فقال : « وانا ممن حسده على التسمية . وهي لائقة بالتاريخ . كأن الناظر في التاريخ يعاين من ذُكر فيه في مرآة . الا ان في المرآة صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في اماكن معروفة » (Seld. arch. a. 29, fol. 115)

الذين كان يأنس بهم — لنأكل الفاكهة في برد النهار.» فغدونا في ذلك الوقت. وصلى الصبح وصلينا. ثم دخل فدخلنا معه. فاذا الفاكهة متهدّلة على اغصانها. واذا كل فاكهة مختارة قد ادركت كلها. فقال: كلوا. ثم اقبل عليها. فاكلنا بمقدار الطاقة. واقبلنا نقول: «يا امير المؤمنين، هذا العنقود». فيخرطه في فيه. «يا امير المؤمنين، هذه التفاحة»، كلما رأينا شيئاً نضيجاً اومأنا اليه، فيأخذه فيأكله. حتى ارتفع الضحى ومتع النهار. ثم اقبل على قيّم البستان فقال: «ويحك، يا فلان اني قد استجمت فهل عندك شيء تطعمنيه؟» قال: «نعم، يا امير المؤمنين، عناق حَولية حمراء.» قال: «ائتني بها ولا تأتني معها بخبز.» فجاء بها على خوان لا قوائم له. وقد ملأت الخوان. فاقبل يأخذ العضو، فيجيء معه. فيخرطه في فيه، ويلقي العظم، حتى اتى عليها. ثم عاد لاكل الفاكهة. واكل ملياً. ثم قال للقيم: «هل عندك شيء تطعمنيه؟ قد جعت.» قال: «عندي سويق كانه قطع الاوتار. وسمن وسكر.» قال: «افلا اعلمتني هذا قبل؟ ائتني به وأكثِر.» فجاء بقعب يقعد فيه الرجل. وقد ملأه من السويق قد خلطه بالسكر وصبّ عليه السمن. واتى بجَرَّتي ماء بارد وكوز. فاخذ القعب على كفه. واقبل القيّم يصبّ عليه الماء. فيحركه. حتى كفأه على وجهه فارغاً. ثم عاد للفاكهة، فاكل ملياً. حتى هجرت عليه الشمس، ودخل، وامرنا ان ندخل الى مجلسه. فدخلنا وجلسنا. فما مكث ان خرج علينا. فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يُؤذنه بالغداء. فأمره ان إيتِ بالغداء. فوضع يده فاكل. فما فقدنا من اكله شيئاً.»[1]

هذا ما رواه الجدّ بكل جدّ. ووقف عليه السبط ابن تزغلي فاحب ان يجاريه في الإغراب ويربي عليه في الاغراق والاطناب، فقال:

«سليمان بن عبد الملك... قال الواقدي: كان شرهاً اكولاً، يأكل في اليوم مئة رطل. ويتناول في ساعة واحدة اربعين رقاقة مع عدة خرفان... وقال هشام: كان الطباخ يأتيه بالسفافيد، وعليها الدجاج المشوي. فيدخل يده في كمّه،

1) جزء من المنتظم في تاريخ الملوك والامم فيه اخبار سنة ٩٦ الى ١٣٥ (Bodleian Library Arab. Poc. 255, fol. 4)

وعليه ثياب الوشي ، فيمسك السفود بيده ويأكل منه اربعين دجاجة . وقال المدائني: حج سليمان فقال لقيّمه على طعامه: «أطعمني من خرفان المدينة ». ودخل الحمام وخرج . وقد شوى له اربعة وثمانين خروفاً . فأكل من كل خروف جارحة مع شحم كلية . حتى اتى على آخرها . ثم دعا الناس الى الطعام فأكل معهم مثل ما كان يأكل . واتى الطائف في حجته، فسأله ابن ابي زهير الثقفي ان ينزل عليه فنزل . فجاءه برمّان . فأكل منها مئة وسبعين رمانة، وخروفاً، وست دجاجات، وعشرين رقاقة . ثم اكل مع الناس .»[1]

« قال الاصمعي: كنت حاضراً عند الرشيد يوماً فجيء بصناديق من ذخائر بني أمية . ففتح صندوقاً منها . فوجد فيه ثياب الوشي . وقد سال الدهن على صدورها واكمامها . فسأل الناس عن ذلك فلم يجد عندهم علماً . وكان عنده رجل من بني أمية . فقال: يا امير المؤمنين، هذه ثياب سليمان بن عبد الملك . كان شرهاً أكولاً . »

وفي هذه الشهادة المنسوبة للاصمعي نظر لا يخفى على الناقد البصير . لان بين الرشيد وسليمان بن عبد الملك نحو نصف قرن . ويبعد جداً ان تكون مثل هذه الثياب المتسخة بالدهن حُفظت كل هذه المدة « بين الذخائر » وسلمت من كل نهب وسلب وضياع وبلى وآفة ؛ بين كل هذه الفتن والحروب والوقائع التي توالت على دمشق في خلال كل هذه السنين . فضلاً عن ان الخلفاء لم يكونوا يضنّون بمثل هذه الملابس المبتذلة ويذخرونها دون ان يخلعوها على خدمهم وبعض الوافدين عليهم . وقد اعتاد بعض الخاصة قديماً ان يجودوا حتى بقميصهم وسراويلهم على سائليهم ومستميحيهم . واذا صحّ ان بعض ثياب سليمان بن عبد الملك حفظت بطريق الاتفاق ، او لحاجة اخرى، فمن الغريب ان يكون العباسيون تكلفوا نقلها من دمشق الى بغداد ، دون ان يعلموا ما في صندوقها ويهبوه لبعض رجالهم ؛ او يكون هذا الصندوق بقي مصوناً مقفلاً كل ايام السفاح والمنصور والمهدي والهادي حتى يكون الرشيد اول مطلع عليه . فلا شك ان

---

١) الجزء ٦ و٧ من مرآة الزمان (British Museum Add. 23277, fol. 116a)

هذه الشهادة موضوعة لاثبات تهمة سليمان بن عبد الملك بالشره والقذارة.

وكأن المدائني لم يقنع بكل ما حشاه في ساعة واحدة في جوف سليمان من الرقاقات والدجاج والخرفان والرمان. وعنده ان المعدة الاموية تتسع لما فوق ذلك، فاضاف الى ما تقدم نادرة، بل معجزة اخرى، فقال، فيما رواه ابو المظفر ايضاً في ترجمة سليمان:

«اتاه دهقان بدابق، ومعه زنبيل مملوء بيضاً، وآخر تيناً اخضر. فقدمه اليه. فجلس يقشر البيض ويأكل كل بيضة بتينة حتى اتى على الزنبيلين. ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بالسكر. فاكل الجميع. وكان قد اكل قبل التين والبيض والمخ ثلثمائة وستين شاهلوكة وهي عين البقر»[1] (الخوخ).

ومن العجب ان يكون عدّ الخوخ ولم يُعَدّ التين والبيض مبالغة في الضبط والدقة في الرواية. ولكن المدائني لم يكن ليجهل ان المعى الذي اتسع لمثل هذه التلال من الطعام والفاكهة، ولو كان معىً أموياً، لا بدّ له يوماً ان يعجز ويخون صاحبه. ولذلك لم يرَ مناصاً، مع معرفته بما اشتهر من موت سليمان بالطاعون، من ان يزعم انه بعد ان ابتلع ما ابتلع «مرض واتخم ومات».

وهكذا، وعلى مثل هذا الشكل من المجازفة والتعصب وقلة الانصاف، دوّن المؤرخون العباسيون اكثر اخبار الخلفاء الامويين.

---

١) جزء من مرآة الزمان فيه اخبار سنة ٩٦ الى ١٢١ غير مرقوم (Bodleian Library. Arab. Poc. 571)

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٧

نصّ الميمر

١ ــ الملك المسيح

١ – ملك الرب ــ [١٨٧] بسم الاب والابن وروحُ القدس الاهً واحدا[١]
نبتدي نكتب ميار من قول القديس كيريللوس رّييس اساقفة اورشليم
قاله لعيد الصليب الكريم بركة صلاته تحفظنا امين[٢]

ملك الرب فلتهلل جميع الارض . الرب ملك ولبس البها وتردّا بالقوه .
هوذا نرا الان عاوم كثيره تتفاضل عن بعضها في هذا المكان الطوباني[٣] . داوود
ابو المسيح بالجسد[٤] لانه يقول في موضع . ملك الرب فلتهلّل جميع[٥] الارض .
وقال ايضا في موضع اخر[٦] . ملك الرب فلتغضب الامم . لماذا يا ايها المرتّل[٧]

---

١ – وردت البسملة بحروف عربية . وفي ح : « والروح القدس »

٢ – هذا العنوان مكتوب بالحبر الاحمر . راجع في المقدمة رقم ١٥ عدد ٢ نصّي العنوان في ح وق

٣ – كنيسة القيامة

٤ – يقصد بهذا معارضة اليهود واتباع مركلّوس الانقيري الذي انكر ولادة المسيح الازلية

٥ – في ح : كل

٦ – في ح ٢ : « وقال ايضاً في موضع آخر بهذا الروح الواحد المتكلّم فيه وليس هو اثنين . بل هذا الروح الواحد الذي ينطق في روسا الابا وهو الذي ينطق في القضاة وهو الذي حل على الرسل مثل السنة نار منقسة . داوود النبي يقول ملك الرب . . . » ولعلها زيادة دخيلة ، فهي غير ضرورية وتشوّش المعنى

٧ – ترسم الشدة غالباً في كلتا النسختين مرفقة بفتحة ، ولو لم يكن حكمها الفتح ،

داوود تقول قبل هذا بقليل . ملك الرب فلتهلّل[١] جميع الارض . هوذا انت تقول تهليل الارض . والان ايضا تقول غضب الناس . سلامة الارض وغضب الناس . لان غضب الانسان ياتي له حزن القلب . يا احباي ليس [١٨٨] يوافقه كلمه مجمعه او لفظه مشكله[٢] المعاني لقلوب سامعيها ان لم يجلوا تاويلها . او من يقول لهم تفسيرها . وهوذا نحن نسال الفارقليط[٣] روح الحق الواجد مع الاب والابن . والاب والابن واحد معه[٤] الثالوث المقدس . وثالوثٌ[٥] من اجل ان فيه ثلاثه اسما . الاب والابن وروح القدس[٦] . ونرغب اليه ان ينير عيني قلوبنا لنفهم يسيرًا من كلامه الذي نطق به على افواه انبيايه الاطهار . ليس نحن مستحقين ان نصنع هذا . بل الذي نحن له نعبد[٧] . وهذا المجمع الذي اجتمع في هذا الموضع اليوم من كل كوره لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص[٨] يسوع المسيح . لكي ان نفتش في نواميسه لنفهم وصاياه[٩] .

٢ – ملكه الازلي — يا احباي متى ملك الرب . اترى هو منتظر الى زمان ليملك فيه . اليس الملك له كله والربوبيه من الابتدا كما قال دانيال النبي . اذ [١٨٩] يقول ان مملكته مملكه دايمه الى الابد وربوبيته من البحر الى البحر . ومن النهر الى اقصى المسكونه . وايضا يقول الله ملك الارض كلها . وايضا يقول

وتوضع اكثر الاحيان فوق الحرف السابق ، لا على الحرف المشدّد

١ – في ح : « فلتهلّل » باسقاط التاء الثانية . وسنتجاوز ، في ما يلي ، عن ذكر امثال هذا الخطأ النسخي في ح لكثرتها وقلة اهميتها

٢ – يهمل غالبًا وضع النقطتين فوق التاء القصيرة . ويتبعه في ذلك ناسخ ح مرارًا

٣ – كتبها بالفاء بدلًا من الباء ، حسب الاصطلاح السرياني حيث يعبّرون بها بالفاء عن الپا الغربية المشددة . وهو من دلائل الترجمة السريانية والاصل اليوناني ، كما مر بك

٤ – لو كان المؤلف من اليونان المنشقّين لما عبّر هكذا عن الروح القدس

٥ – لاحظ كيف انه يضع التنوين رأسًا فوق الحرف دون ان يستعين بالالف

٦ – هذا مطابق لكلام القديس كيرلس في عظته١٦عدد ٤ ع ٩٢١ . راجع فاكان ٣ : ٦ : ٢٥٤

٧ – تركيب يوناني

٨ – اشارة واضحة الى عيد ارتفاع الصليب والى حفلته في كنيسة القيامة

٩ – هنا تنتهي فاتحة العظة

اللهم الك الارض منذ الابتدا[١] . فان كنت تريد تعلم يا ايها المناصب[٢] ان المسيح ملك الملوك . فاسمع لوقا الانجيلي ومتى حيث يقولان في كتبهما . لما ولد المسيح . هوذا مجوساً قد اتو من المشرق قايلين اين هو ملك اليهود الذي وُلد . هوذا قد مجدوه وهو في الاقماط . لماذا أنت تقول انا اريد اعرف معنى المكتوب اذ يقول ملك الرب ان كنت تريد تعلم . اسمع وانصت بخشوع[٣]

٣ - الخارجي — انه كمثل ملك خرج عليه خارجي يريد يتسلط عليه وعلى كورته وياسره هو وغلمانه وحاشيته . وياخذ مدنه وبلاده تحت حوطته . ليردوا له الخراج . فحزن ذلك الملك من اجل ذلك الجمع الذي اخذهم [١٩٠] ذلك الخارجي منه . فيفكر في نفسه قايلاً باي شي او باي نوع اقدر احارب هذا الخارجي حتى اغلبه واملك على اصحابي ايضاً . فبينما هم تحت سلطان ذلك الخارجي . وليس لملكهم عليهم سلطان فاذا خرج ذلك الملك وينال الغلبه ويهلك ذلك الخارجي . ويعتق اصحابه الذي اسرهم[٤] . وياتي ويدخل بهم الى موضع ملكه . وهو يقدمهم[٥] وهم ايضا يرتلون بتهليل بصوت البوق . لان ملكهم خلصهم من الاسر وملك عليهم دفعة اخرى .

٤ - اسر الخطية والجحيم — هكذا انه كان في الزمان الذي تملكت الخطيه في العالم . والاثم تسلط على الناس والغش والدجل احتوى على عقولهم وذلك الخارجي ياسر فيهم ويقبل وكل واحد يصنع ارادتهم[٦] . وليس اراده الله وكانت شباك الموت منصوبه على كل البشر . ولم يقدروا يخلصوا البته من ذلك

---

١ - اورد كل هذه الآيات ضد اليهود وضد اتباع مركلوس . وكثرة الاستشهاد بالآيات المقدسة من خصائص طريقة القديس كيرلس الاورشليمي

٢ - في ح : « المرطيقي » وكلاهما يعنيان بدعة مركلوس التي تلاشت في اواخر القرن الرابع . وهو من الادلة على عهد الميمر وصحة نسبته الى القديس كيرلس، كما سبق القول

٣ - كل هذا الكلام السابق واللاحق موجه الى المركليين ودليل على اهتمامه بابعاد رعاياه عن بدعتهم

٤ - أكلت العثة كثيراً من حروف هذه الصفحة وما بعدها ، فرممناها من نسخة ح

٥ - يتقدمهم

٦ - ارادته

الخارجي . لانه هو الذي كان يصنع بهم هذا كله . فخرجوا كلهم [١٩١]من تحت طاعة سلطانهم وعادوا تحت رق عبوديه رديه[١] كما هو مكتوب انهم تركوا عنهم ينبوع الموت يرعاهم[٢] . وايضا يقول النبي[٣] ليس من مخاص ولا منجي . فاتوا الانبيا ليخلصوا سينا الذي اخذه ذلك الخارجي . فمنهم من قتلوه ومنهم من رجموه لانه لم يقدر احد من الناس ان يخلصهم من ذلك الاسر لان تلك القروح كانت صعبه . وتلك العله نبتت ولم يجدوا تلك الاسرا من يخلصهم منها . فصرخ داوود النبي قايلًا . طاطى[٤] السموات وانزل . ويقول ايضا انت اطلقتنا من جب المسكنه[٥] لانه يسمي الجحيم جب المسكنه . بالحقيقه يا احباي ان ذلك المكان هو مسكنه تعبه صعبه جدا . وكانوا هوليك الاسارى منتظرين من يخلصهم . وكانوا يقولوا ترى من هو الملك الذي يخلصنا لانهم لم يفهموا معنى العتق الذي يكون لهم . لان روسا الابا والانبيا[٦] كانوا يقولون . لا بد سوف [١٩٢] ان يفتقدنا بالملك[٧] ويخلصنا من اسرنا . وصرخ اشعيا النبي قايلًا ايضاً لا بد للاتي ان ياتي ولا يبطي . لان الابواب كانت مغلقه والاقفال موثوقه . وليس من يخلّص ولا من ينجي.

---

١ – كل هذه التشابيه متواردة في عظة القديس كيرلس الثالثة ، كما نبهنا في المقدمة. واكثر الكلمات الاخيرة مأكول في نسختنا ، فصححناه عن نسخة ح

٢ – كان ناسخ ج كتب في صفحة ٥ هذه الآية مبتورة كنصنا ثم عاد فاضاف على الهامش كلمات « الحياة وايضاً ينبوع » فاصبحت كما يلي : « تركوا عنهم ينبوع الحياة وايضاً ينبوع الموت يرعاهم »

٣ – في ح : « وايضاً يقول آخر من الانبياء »

٤ – طأطئ . في ح : طاطى يارب

٥ – تواردت هذه الفكرة في عظة القديس كيرلس الرابعة، كما نبهنا سابقاً

٦ – في ح ٥ : « لان روسا الابا البطاركة » مستعملًا هذا اللقب حسب الاصطلاح اليوناني بمعنى جدود العبرانيين مع ان السريان والموارنة يعنون به رئيس الطائفة . وهو من دلائل الاصل اليوناني، كما مر بك في المقدمة

٧ – وفي ح ٦ : « ابن الملك »، وهو اصح، ويدل على ان الناسخين نقلا عن اصل واحد كما قلنا، فاخطأ الناسخ الاول، او الذي أملى عليه، في قراءة الكلمة

٥ – سبب التجسد – ولم يقدر احد[١] ان يخلصهم لان الانسان مندفع الى نقص ومركَّب بالمرض وصاير الى الموت ويمضي به الى الحكم . ويدان كاعماله . ولم تقدر ملايكه تصنع هذا لان ليس هم جسدانيين ولا يمشون على الارض بين الناس لان الملاك من لهيب النار . وهو خادم . وهو عبد . لكن اذا جا سيِّد العبيد هو يعتقهم . بفرد كلمه يسيره . فلما تراآى الملك على هولايك الاسارى الموثوقين عند ذلك الخارجي الذي كان يصنع بهم كارادته وبهوا قلبه جا اليهم وهو لم ياتي بجيش عظيم يعتقنا[٢] . ولم يخرج من مجده العظيم . ولا ترك مجده خلفه ولا احد يقدر ينتزعه منه لكنه لبس السلاح الذي حارب[٣] به ذلك الخارجي . اعني هذا الجسد[٤] الذي اتحد به [١٩٣] مع اللاهوت[٥] كما علم هو وحده . وذلك الجسد من غير زرعة بشر . وعمل الاشيا كلها مثلنا ما خلا الخطيه[٦] هو لم يخطي قط . ولم يوجد فيه دجل . جسد والاله متحد به داخله وخارج فيه[٧] .

٦ – ابن ارملة نايين – اما القول ان الاله من داخل الجسد من اجل انه ليس يعاين احد مجده وهو لابس اللاهوت فيحيا . واما القول انه خارج الجسد فمن اجل ايهم كانوا ينظروه يصنع الشفا في السر .[٨] اليد الذي مدها ولمست ابن الارملة الذي في نايين . فعاش بعد ان قام ليله وهو ميت فعندما هم حاملوه مدّ يده

١ – في ح ٦ : « ايضاً » ونصنا اصح

٢ – وفي ح : « وهو لم يأتي بجيش عظيم يعتقنا لياخذ السبي ويقتله ويخلصه من ذلك الخارجي »

٣ – وفي ح ٧ : « يحارب »، ونصنا اصح

٤ – وردت هذه الفكرة حرفياً تقريباً في عظة القديس كيرلس الثانية عشرة ، كما نبهنا في المقدمة

٥ – هذا التصريح ينفي نسبة الميمر الى احد النساطرة المضادين للاريوسية، لانهم ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٦ – ينكر اليعاقبة ان في المسيح طبيعتين فلا يجوز نسبة هذا الميمر الى احدهم سواء كان من السريان ام من الاقباط

٧ – لعله يريد « خارجه » كما جاء في الفقرة الثانية . وهذا ايضاً يخالف مذهب النساطرة

٨ – وردت هذه الفكرة نفسها في عظة القديس كيرلس على المخلع وفي عظته الرابعة

الاله التجسد[1] ولمس النعش نعند ذالك وقفوا الـذي كانوا يحملوه . وبكلمه واحده اعطاه لوالدته وهو حي[2] . ومضت الى داخل المدينه وهي ماسكه له وهو يمشي معها . وكانوا المجموع يجروا[3] خلفهم لينظروا الذي قد كان. وايضا الناس الـذي اتو لينظروا ذالـك الميت المحمول لم يمضوا الى بيتهم حتى اتوا لينظروا هذه [١٩٤] الايات العظيمه . وكانت اللفايف الذي كان ملفوف بهم محموله على اعناق الناس وهم ماشيين معهم شهاده للغير مومنين . فلما رااو اهل المدينه هذه الاعجوبه العظيمه الذي صنعها يسوع ابن الله. امنوا به جموع كثير[4].

٧ – غضب الامم ــواما الكتبه والفريسيين لما رااو ذلك امتلوا غضباً[5]. واغتاظوا لانه اقام الموتا معطيهم الحياه يريدوا قتله[6]. هوذا قد كمل عليهم المكتوب. اذ يقول ملك الرب فلتغضب الامم[7]. الرب ملك لانه اقام الموتى غضبوا اليهود القليلي الايمان وارادوا قتله . الرب ملك واخرج الشيـاطين . فغضبوا وصرّوا باسنانهم . وافتروا عليه . وقالوا هذا يصنع هولاي بباعلزبوب . ملـك الرب وطهّر البرص . اغتاظوا هم وارادوا رجمه . الرب ملـك واقام العازر . اغتاظوا هم وجدّوا ليقتلوا يسوع والعازر ايضا. الرب ملك وابرا المخلّعين فحنقوا هولايك القليلين الشكر ودعوه ابن النجار.

٢ ــ اسحق السامري

١ – عين اورشليم ــ وهكذا يغتاظ [١٩٥] الشيطان من اجل خاطي واحد

١ – «الاله المتجسد» تعبير يلخص كل فكرة القديس كيرلس في الوهية المسيح وناسوته
٢ – هاتان الكلمتان ما كولتان في ب فرمناهما عن ح
٣ – اي يركضون، وهو تعبير خاص بالمصريين، ومن دلائل تعريب الميمر في القطر المصري . وله نفس المعنى في اللغة الفصحى
٤ – لاحظ ان اكثر هذه التفاصيل غير لازمة لبرهانه. انما جاء بها القديس عرضاً شأنه في كل مثل يورده شاهداً على كلامه . وهو من دلائل صحة نسبة هذا الميمر اليه، كما اشرنا في المقدمة وبعض هذه التفاصيل غير مذكورة في الانجيل اخذها عن التقليد
٥ – وفي ح : « غيرة » ، وهو اصح
٦ – اي انهم نووا قتل الذي كان يعطيهم الحياة . وهو تركيب يوناني محض
٧ – يعود هنا الى شرح الاية التي صدّر بها الميمر

اذا تلب. مثل هذا السامري اسحاق الذي من البلد الذي تدعا يافا. لما رآ الجمع قايلين بعضهم لبعض امضوا بنا الى اورشليم لنسجد للصليب لان العيد قد قرب[1]. فقال اسحق هو ايضا لاهل بيته وعبيده شدوا الدواب لنحمّل ذهبنا وفضّتنا . وجميع انيتنا ونمشي مع هولاي الجمع الماضين الى يورشليم[2] . لنمضي نحن ايضا الى العين[3] الذي في يورشليم لنطهّر انيتنا فيها . اسرعوا فينا[4] نمشي ونمضي مع هولاي الجمع الماضين الى يورشليم ليلا تتاخروا ويخطفوا اللصوص ما معنا . لان شعب السامره كانوا يمضوا بجميع ما عندهم من الانيه . من العزيز الى الحقير . فيغسلوهم في كل اسبوع . وان مات لهم ميت او امراه طامث او مولود يصنعوا به هكذا . وهم ينظرون جدا الى الغسل البراني . فعند ذلك مشى اسحاق السامري ليمضي الى عين يورشليم ليستحم فيها . ويطهّر انيته وتلك العين هي التي بنا عليها يشوع ابن نون [١٩٦] المذبح لما قسم الارض على بني اسرايل . وهو الذي ختنهم عليها[5] وكانوا السامريين يقولون كلمن يستحم في تلك العين او يغسل انيته فيها او شيأ له ليس يحتاج ان يغسلهم دفعه اخرى .

٣ ــ الماء المنتن ــ ولما مشوا في تلك الطريق غابت عليهم الشمس عند جب فيه مآ . فمضوا اليه ليشربوا ويسقوا دوابهم . لانــه كان في حقل حتى الطريق . فوجدوا الما قد دوّد ونتن . فلم يقدروا يشربوا منــه البته . فمسكوا الاطفال الذي معهم بالعطش هم ودوابهم . وكان ذلك السامري قد جب معه مآ في

---

١ – هذا يوافق ما جاء في التواريخ عن الجماهير التي كانت تقصد من كل جهة الى اورشليم، لحضور عيد ارتفاع الصليب

٢ – ورد اسم المدينة بهذه الصيغة اليونانية [illegible] في هذه الصفحة وفي كلتا النسختين . وورد فيهما ايضاً بالصيغة المعروفة [illegible] « اورشليم » . وهو من دلائل النقل عن اصل واحد، [illegible] ذكرنا

٣ – وردت « العيد » في ح وهو خطأ . [illegible] حرف النون وابداله بحرف الدال ، لان آثار الكشط ظاهرة

٤ – وفي ح : « اسرعوا بنا » ، وهو اصح

٥ – كل هذه التفاصيل عن عادات السامريين وعن مواقع الاماكن والآثار الفلسطينية تدل على ان صاحب السيرة والجمهور الذي يتوجه اليه فلسطينيون

وعا[١] من اجل اصحابه. فقال لرجل نصراني[٢] كان معهم . ما الذي يحوجكم الى هذا ان تمضوا الى اورشليم حتى تسجدوا لخشبه يابسه قد قتلوا عليها نبي . ولا يجب السجود له . هوذا الان انتم تموتون انتم وبنوكم من اجله . وها هوذا قد جعل الله هذا الما دوّد ونتن قدامكم . وكان هناك رجلا قساً ارثوذكسي[٣] محب لله في ذلك الوقت . اسمه [١٩٧] انبا[٤] وكس[٥]. لما سمع ذلك السامري يقول هذا القول من اجل صليب المسيح . وكان هو ايضا قد جا ليسجد في اورشليم[٦] . فاجاب وقال لذلك السامري ما هو اسمك . وما هي امانتك. فقال له اسمي اسحاق . وموسى ويشوع ابن نون هم الذين اعطوني الناموس[٧]. وهولايك هم كلموا الله . واما ابن مريم فهو نبي الله . وجآو اليهود ليصلبوه. لقولهم انه كان يحلّ ناموس السبت . ولكن سلمه الله من ايديهم ومضى الى احد الجبال . ولم يعلموا ما كان منه. فاخذوا اللصوص . وواحداً يدعا يسوع. كان هذا نبياً وقتلوه على الصليب[٨] . هذا الذي انتم تنالوا هذا التعب الان من اجله وتمضوا لتسجدوا له . وليس يجب ان نسجد لخشبه يابسه مصنوعه بالايادي. بل السجود لله وحده . كما قال لموسى . لا تسجد لاله غريب.

٣ – الحية النحاس — فلما سمع القس هذا القول . حنق جدا وقال لاسحاق السامري . نعم ان هذا الاسم الذي دعيت به حسن جدا لانه اسم اسحاق رئيس الابا[٩] . ولكن [١٩٨] امانتك زور . وليس الاسم هو الذي يخلص

---

١ – في ح: « اوعيته » وهو اصح

٢ – هذا يؤيد ما جاء في النشرات السريانية عن مسيحي فلسطين انهم كانوا يدعون « نصارى » منذ ذاك العهد

٣ – كان معناها قديماً مستقيم الايمان او الرأي ٤ – هذا اللقب خاص بالمصريين

٥ – مكتوبة هكذا في النسختين حسب اللفظ اليوناني بدلاً من « باخوس »

٦ – وردت في النسختين بهذا الشكل

٧ – لا يخفى ان السامريين لا يقبلون من التوراة سوى الاسفار الخمسة الاولى

٨ – ادعى باسيليوس ان اليهود صلبوا سمعان القيرواني بدلاً من المسيح، وتبعه المانوية والرفضيون. راجع مجموعة الاباء اليونان لمين، مج ٣٣، في تعليقه على العظة الرابعة للقديس كيرلس الاورشليمي ع ٤٧٠

٩ – في ح: « اسحاق البطريرك راس الاباء » راجعاً هنا اعطاء لقب بطريرك الى احد

الانسان وينجّيه . اذ لم يكون له الكمال الذي هو الامانه الارتدوكسيه . بالحقيقه هوذا انا اعطي الطوبا والغبطه غيرك واكثر منك . لان هولايك لم يكن لهم معرفه ولم يفتروا على الله مثلك . لانك تقول ان جميع الاثمار نجسه[1] . وهم الذي خلقهم ليتناولوا منهم المومنين بشكر . ولم تبحث باستقصا المكتوب . اذ يقول ان كل الاشيا الذي صنعها الله حسنه جدا وليس فيهم عيب . فاذا كانت الحيه النحاس الظاهره[2] التي صنعها موسى في البريه . في ذلك الزمان عجيبه . وكان اذا لسع شيئاً من الحيات المسمومه القاتوله انسان من بني اسرايل ياتوا به الى عند تلك الحيه النحاس فينظر اليها خيرا للوقت . وقيل ان تلك الحيات التي الله ارسلهم على بني اسرايل من اجل خطاياهم كانت شديده[3] جدا . حتى انهم اذا لسعوا واحد منهم تسقط اعضاه قطعه قطعه . ويعود جسده محرق من كل ناحيه[4] .

٤ – الصليب في العهد القديم — فاذا كانت [١٩٩] الحيّه التي كلّم الله موسى وامره ان يعملهـا تبري كل من ينظر اليها من الملسوعين[5] . فكم بالحري يكون خشبه[6] سيدي ايسوع[7] المسيح . الذي يبطّل سمّ الحيات . الذي جعلت انت له فيك موضع الخشبة الطاهره المجده التي صارت مسكن الله خشبة الصليب المقدس . الذي صار موضع راحة الله . في الاتضاع . الذي جا فيه من اجلنا[8] . عود الصليب الذي صار موضع راحة الله . لما امال راسه عليه

اجداد العبرانيين حسب اصطلاح اليونان المخالف لمادة السريان والموارنة كما سبق القول

١ – حسب اعتقاد السامريين

٢ – في الاصل: الناهره، بدون نقطة في بطن الطاء السريانية

٣ – في ح: سريرة لان الراء تشابه الدال السريانية في الكتابة

٤ – تقليد غير وارد في التوراة ٥ – هذه الجملة ساقطة في ح

٦ – لاحظ تذكيره للخشبة تبعاً لتذكيرها في السريانية ܩܝܣܐ

٧ – ايسوع حسب اللفظ اليوناني

٨ – لاحظ انه يستشهد ضد السامريين بالاسفار الخمسة فقط . وهذه طريقة القديس كيرلس . فقد قال لساميه في عظته ١٨ رقم ١١ ع ١٠٦:٥ اذ جادلتم السامريين الذين لا يعترفون الا بالاسفار الخمسة فافتحوا لهم الكتب التي في ايديهم٢٢، وفي العظة ١٣ رقم ٢٧

واسلم الروح . هو عود معطي حياه ونور القيامه الذي اشرقت لنا منه . هذه الخشبه هي الذي[1] قلعت الحجاب الذي كان مانعاً لنا . وازالة[2] العداوه الذي كان بيننا وبين الله . عود الصليب هو الذي حمل لاله الكل . السفينه في ذلك الزمان الذي كانت حامله لاناس وبهايم ووحوش وطيور وهوام وخلصتهم من مآ الطوفان . وانت ايضا يا ايها الصليب المقدس الممجد . حملت الذي امر نوح قايلاً . اصنع انت سفينه [٢٠٠] فصنعها واجتمع اليها من كل جنس كما امر الربّ . واتا لكل واحد منهم بقوته . الى داخل من هو قايم مهتم لهم[3] . واعطا تمام العالم[4] . وانت ايضا يا ايها الصليب المقدس جعلت العالم جديد دفعه اخرى . لما سفكوا عليك دم الحمل الطاهر الذي بلا خطيه .

٣ — تحلية الماء

١ – صلاة الانبا واكس – فلما سمع السامري ما قاله القس انبا واكس[5] اجاب وقال له هوذا قد قلت ان موسى[6] صنع هولاي العجايب هكذا وابطل سم الحيات ليلا يقتلوا الناس . اذا لسعوهم . اين هي الاعجوبة والبرهان الذي ظهر في الصليب . حتى اومن به . فاجاب القس انبا واكس وقال له . انت لم تبصر قط موسى . ولا رايت ايه[7] صنعها فقط . بل سمعت . وايضا اذا رايت قوه

ع ٨١١ يقول لهم «واذا نازلتم اليهود سدّوا افواههم باقوال الانبياء »، وفي العظة ١٢ رقم ٢٧ ع ٧٦٠ يقول : « واذا قصدتم اقناع الامم تسلحوا بالبراهين العقلية واوقفوهم ازاء قصصهم الخرافية ». ونرى ان هذه خطة صاحب الميمر مما يرجح نسبته الى القديس كيرلس

١ – يعود الى تذكير الخشبة

٢ – وردت هكذا في كلتا النسختين بدلاً من « أزالت »

٣ – تشبيه مأخوذ ايضاً من احد الاسفار الخمسة

٤ – اي ان الصليب جدد حياة العالم كسفينة نوح بعد الطوفان

٥ – وفي ح ١٤ هذه الزيادة : «وهذا القس كان مقيماً في دير صغير من حول عسقلان . وكان رييس ذلك الدير . وكانوا فيه قديسين وكان هو مدبرهم » ولا نظن انها خارجة من مخيلة معلمي الناسخ لانهم لبنانيون ، ولعلهم اخذوها عن ميمر آخر كان يسدهم كما اخذوا غيرها من الزيادات والمعلومات

٦ – في ج : « موسى صاحبي »　　٧ – آية

المسيح وصليبه انت تومن به في هذه الساعه . فقال له اسحاق السامري . لو ان موسى ويوشاع[١] قالا لي اوون بهذه الخشبه الذي[٢] انت تقول عنها . ما امنت حتى ابصر فيها قوه عظيمه تصنعها او برهان . فاجابه [٢٠١] القس انبا واكس وقال . ليس من اجلك انت وحدك . بل من اجل الذي ياتوا ايضا من بعدك ليسجدوا للصليب انا اصنع قوه عظيمه[٣] حتى لا يكون احد الا وهو مومن بيسوع المسيح ولا يشكّوا مثلك . وهوذا انا اصلي للذي ارتفع على الصليب ومات بارادته من اجل خلاصنا . وللوقت وقف على الجب الما وصلّا للرب قايلاً[٤] الذي جعل المياه المالحه عذبه . حتى شربوا[٥] منها الناس والبهايم . وكل جنس[٦] على الارض وليسقوا وجه الارض كلها لتعطي قوتاً للناس والبهايم . والبحر جعلته مرًا مالحاً والانهر تجري فيه . ولم تزل مالحه فيه الى الابد . من الذي يشاكل حكمتك يا الله محب البشر لانك في البدى جمت المياه الى موضع[٧] واحد . وقويت الارض حتى لا تضمحل من جرى المياه . وقسمت المياه على ثلاثة اقسام . فجعلت جزوًا منها في سما الفلك وجزوًا منها في البحار والانهار . [٢٠٢] وجزوًا منها في اسفل الارض . لان عظمتك هي التي صنعتهم عملاً حسناً[٨] . حتى الى كل كوره ليس فيها مآ . تحملهم الى فوق وتمضي بهم . وصلاحك هو الذي يسقيهم من مآ المطر ليشربوا الناس والبهايم[٩] والذي يحتاج الى الما الذي تحت الارض . اذا حفر وجده . الذي سمع النبي موسى[١٠] . وجعل

---

١ – يشوع بن نون . أورده حسب لفظه السرياني

٢ – يكرر تذكير الخشبة تبعاً لحكمها في السرياني

٣ – هذا تصنّع ظاهر ونرجح ان في هذه الحكاية بعض الحشو الدخيل

٤ – هذه الصلاة من اجمل ما قيل في هذا المعنى . ومما يزيدها جمالاً ان تشابيه كلها مأخوذة عن الاسفار المقدسة

٥ – في ح : « يشربوا »

٦ – وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين

٧ – جاءت هكذا ايضاً في ح

٨ – في ح : ١٥ « صنعه حسنة »

٩ – اي انه يحمل تبخر المياه الى الجو ليمطرها على المقاطعات التي لا ماء فيها

١٠ – وفي ح : ١٦ « للنبي موسى » ، وهو اصح

الما الذي في سالم يحلوا . وكانوا اثني عشر ينبوع . واعطيته في تلك الايام خشبه مثال صليبك المقدس . المزمع ان ياتي . الذي هوذا[١] . والان يا رب فان لك القوه ان تجعل هذا الما حلوا بغير تلك القطعه الخشبه التي مع موسى وجميع الشعوب . نعم الان يا رب لك القوه على كل شي . وانت ابتديت فاظهرت لنا هذا على يد موسى ليامنوا بك جميع الشعوب . وليعلم كل احدًا ان لك القدره على كلشي . وعظيما هو اسمك وممجد [٢٠٣] في القديسين . والان يا رب فلا تدع هولاي الامم يقولون اين هو الاههم لم يقدر يخلصهم من عطشهم.

٢ – اعجوبة تحلية الماء — فبينما هو يصلي جاه صوتاً[٢] قايلاً . من يومن بي يقول لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هاهنا فينتقل . ولا يعسر على الذي يومن بي شي . وايضا الذي يومن بصليبي . فان له الاستطاعه ان يصنع العجايب . وكل ما يطلب يجد . والان الذي طلبته يكون من اجل ايمانك . والمتمسك بالايمان الصحيح يكمل له كلشي[٣] . واخذ عودين وربطهم على مثال الصليب وطرحهم في الجب الما وصرخ قايلاً . هذا الما المسيح شفاه بصليبه ليكون حلوًا من الان ليشربوا منه بامانه كل المومنين بالمسيح . واما اعدا المسيح فهولاي الذي لا يومنون بالصليب . لا يقدرون يشربون من هذا الجب الما . بل يكون خلًا حادقًا مرًا.[٢٠٤]

فلما تم القديس انبا واكس قوله صرخ للجمع بصوت الانجيل قايلًا من كان عطشان فلياتي الي فليشرب . والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس فلياتوا الي ويشربوا . ومن الجموع للوقت مضوا الى الجب وتناولوا من الما[٤] فوجدوه حلوًا كالشهد ومذاقته حسنه جدا . ولما نظروا الذين شربون الما الى اسفل

---

١ – أكثر هذه التراكيب بعيدة عن العربية، لا بل يونانية محض
٢ - وردت هكذا ايضًا في ح ١٦
٣ – لا شك في هذه الفقرة دخيلة . لانه لا يعقل ان ينسب القديس كيرلس الى صوت جاء من السماء كل هذا الشرح الطويل
٤ – وفي ح ١٧ : «والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس مضوا الى الجب وتناولوا من الماء وشربوا بحذف « فلياتوا الي ويشربوا » المكررة وباضافة « وشربوا » ولعله أصح

الجب . راو الصليب الصغير يضي شبه مصباح نور[١] . فصرخوا باجمعهم قايلين واحد هو صليب ربنا يسوع المسيح[٢] .

٣ – دعوة اسحق الى الايمان — فلما سمع اسحاق السامري خاف ولم عاد ينطق من اجل الصليب المقدس . ومضى ليشرب من اوعيته فلما لم يجد شي[٣] تحير لانه عاد الذي فيهم منتن وعاد يغلي كالنار[٤] . ولم يعرف ما يصنع فاحترق بالعطش هو واصحابه . فلما ازداد به العطش وقلق . قام ومضى الى العين لياخذ منها هو والذين معه . ويشربوا . فتطلّع الى اسفل الجب . فراى ذلك الصليب يضي [٢٠٥] شبه مصباح نار . فنزع عنه الخوف وملا الما من البير وشربوه فوجدوه خلًا حادقاً جدا . فصرخ قايلًا بالحقيقه صنع المسيح وصليبه فينا اليوم اعاجيب . وللوقت جا الى انبا واكس وقال له انا اعطيك جميع مالي الذي اتيت به معي في الطريق تعطيه للمساكين وتعرفني مكان الصليب حتى امضي واقبّله . وان انت عرفتني موضعه . انا اعطيك نصف مالي[٥] . فقال له القس انبا واكس . يا ابني ليس يوخذ مال على موهبة روح القدس[٦] . لكن اذا اردت ان تكون كامل قوم وامضي الى اورشليم واسال عن كنيسة القيامه . فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللوس[٧] هو هناك وجموع كثير من المومنين الذين اتو من كل كوره ليعبدوا الصليب[٨] المقدس لانه يوم ظهوره[٩] . وانت اذا مضيت اليه هو يعرّفك

---

١ – كانت الشمس قد غابت كما مر ٢ – لعل ترجمة « واحد » غلط

٣ – وفي ح : « فلم يقدر يشرب شي » ، وهو اصح

٤ – وفي ح : « كالنار الموقود تحتهم » ، وهي زيادة لا مبرر لها

٥ – نظنه يقصد ان يعطيه نصف ماله كله ، اي خلاف ما معه في الطريق ، بعد ان يتحقق عن موضع الصليب

٦ – وفي ح ١٨ : « ليس يوخذ مال عن موهبة الله »

٧ – اكتفى بلقب « اب » مع انه رئيس اساقفة اورشليم ، وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس نفسه

٨ – وفي ح ١٩ : « ليسجدوا للصليب » ، ولعله أصح

٩ – هذا يدل على انّ الميمر قيل بعد أن اخذ عيد الصليب التقدم على عيد التدشين ، اي في النصف الاخير من القرن الرابع فاضطر الرؤساء الى ضم العيدين معاً كما شهدت السائحة اثيريا الاسبانيولية في اواخر هذا القرن

طريق الخلاص. وتعاين قوة المسيح وصليبه. وحينئذٍ[1] اراد القس[2] ان يطيب قلب السامري ويقوّي [٢٠٦] امانته. اخذ الما الذي ملوه من العين وهو مر. فرشم[3] عليه علامة الصليب فللوقت عاد حلوًا وشربوا منه كلهم بامانة وكانوا جموع كثير يانون الى القديس انبا واكس ليتباركون منه. فلما راا الجموع يزعجوه جدا مضى واختفى منهم وجا الى يورشليم. فتبعوه الجموع واسحاق السامري والذين معه الى يورشليم.

٤ – كنيسة العين – وهوذا ايضا لا يجب ان نخفي عنكم. ذكروا ان اللذين هم سكان حول تلك العين التي ذكرناها ان القس انبا واكس لما صلا عليها مضى منها الدود والنتن الذي فيها وعاد ماهـا حلوًا. ولما نزلوا اليها راو[4] علامة الصليب كمثل مصباح نار وهو يضي جدا. فلما شربوا منه وجدوه حلوًا جدا فتعجبون[5] من ما كان. لانهم كانوا يعرفون ان الما عطن ولم يعرفوا كيف عاد حلوًا. ولولا ان واحد منهم كان يعرف يكتب تطلع فوجد مكتوب فيها هكذا بخط القس انبا واكس. يقول من اجل الما. ان المسيح وصليبه جعله حلوًا لكي يشربوا منه المومنين بشكر. ويكون [٢٠٧] لهم شفا. واما اعدا المسيح الذين لا يومنون بصليبه المحيي المخاص. اذا شربوا منه يكون لهم خلًا حادقًا فلما سمعوا المومنين قول ذلك الذي قرا المكتوب اخذوا من ذلك الما وشربوا فوجدوه حلوًا جدا. وكانوا يتعجبون من علامة الصليب النور الذي كانوا يعاينوه اسفل الما. وهو مثل مصباح نار. واذا ما استحتوا المرضا فيه. بريوا من امراضهم. وهذا الجب كان في حقل ينـدوم من حدود فلسطين المدينه[6]. واذا عبرا اعدا المسيح وشربوا منه كان خلًا حادقًا منتنًا في افواههم.

---

١ – رُسم التنوين في اعلا الذال في النسختين، وهو من دلائل النسخ عن اصل واحد

٢ – وفي ح: « القس انبا واكس »

٣ – كلمة سريانية من آثار الترجمة عن هذه اللغة

٤ – وفي ح ٢٠: « لما نزلنا اليه راينا »

٥ – وردت على هذه الصيغة المغلوطة في كلتا النسختين

٦ – لم نتوصل الى معرفة هذا المكان. ولاحظ قوله « فلسطين المدينة » وهو اليوم اسم المقاطعة. ولعل اصل الكلمة « عين دوم » فنقلها المترجم السرياني كما وجدها في

واذ كانوا معترفين بالمسيح ويومنون بصليبه المقدس من كل قلوبهم فيعود حلوًا باردًا في افواههم . ويشربون منه[١] .

ومن اجل تلك الآية التي هي علامة الصليب التي ظهرت اسفل ذلك الجب وعاينوه كل الجموع يضي مثل لهيب النار ارتدّ جمًا كثيرٌ من المومنين الذي في ذلك الموضع . واجتمعوا[٢] الى بعضهم بعض [٢٠٨] بقلب[٣] واحد وبنوا كنيسه على جانب ذلك الجب . ودعوا اسمها كنيسة الصليب . وعرّفوا مسكنتي انا الحقير كيرللوس[٤] فكرزتها ونظرت انا ايضا بعيني تلك الايه التي ظهرت اسفل الجب[٥] .

٤ ــ شرف الصليب

١ ــ اهتداء اسحاق. ــ وهوذا قد شرحت لكم ذلك كله بمحبة الله . وقد صرنا نحن ككل الذي قد نسو القول[٦] . من اجل سيدنا يسوع المسيح ومن اجل المكتوب في المزامير . يقول ملك الرب فلتتهلّل جميع الارض[٧] . وايضا من اجل القول الذي قاله الرب لموسى . اصنع العيد ثلاثه مرات في السنه . وايضا من اجل اسحاق السامري الذي عمدته . هولاي نحن نقراهم لكم

اليونانية « يندوم » لان هذه اللغة خالية من حرف العين

١ ــ نعتقد ان هذه الفقرة دخيلة كلها ما عدا ما يختص بحقل يندوم . لان فيها من التكرار والاختلاق والمبالغة ما يجيز نبذها

٢ ــ وفي ح ٢١ : «وارتد جمع كثير الى معرفة الاله المسيح وان كثير من المومنين الذي في ذلك الموضع اجتمعوا »

٣ ــ وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين

٤ ــ يذكر نفسه للمرة الثانية مع لقب التواضع « مسكنتي انا الحقير ». وهو من دلائل نسبة الميمر اليه .

٥ ــ فانت ترى ان الداعي لسرد قصة اسحاق الطويلة هو التخبير عن اعجوبة تجلية اثار بصليب مركب من عودين وبنا . كنيسة الصليب على جب حقل يندوم . وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس الذي تعود الخروج عن الموضوع .

٦ ــ اعتذاره الى السامعين ينفي تزوير الميمر باسمه كما سبق القول

٧ ــ يعود الى ربط الكلام بالآية الاولى

ونكمّل لكم القول بارادة الله ومجد صليبه[١]. هذا الذي نحن نعيّد له اليوم[٢]. والذي ارتفع عليه يسوع المسيح .

فكان لما دخل اسحاق السامري الى يورشليم سال للوقت عن مسكنتي انا كيرللوس[٣] فعرفه رجل شماس اني في كنيسة [٢٠٩] الصليب[٤] اصنع العيد . فقال له اسحاق . هل تقدر تمضي بي اليه لاتبارك منه . لاني ليس انا نصراني بل سامري . ومن اجل اني رايت في الصليب قوات عظيمه وبرهان صنعت هذا . وللوقت جا ذاك الشماس وعرّفني . وامرته ان ياتي به اليّ . ثم قلت له[٥] امضي واتي بهذا الخروف الضال الذي وجدته الى الكنيسة ليسمع كلام الله . واذا ما ظهرت توبته لكل احد نحن نعمده . وان ذلك الشماس مضى اليه ودعاه قايلاً تعال وادخل الى الكنيسه لتعاين قوّة الصليب المقدس . فترك اصحابه في موضع داخل الكنيسه[٦] .وجا فراا مجد عظيم .وجميع الناس حاضرين بلباس حسن . فاضطرب واراد ان يهرب ويمضي من الكنيسه . لولا ان ذلك الشماس قوّا قلبه قايلاً لا تخاف فان يسوع يقبلك . ومكث يسمع كل الذي قاله له . وكان الاب انبا كيرللوس في ذلك الوقت يعظ الشعب . [٢١٠] وهو يقول القول الذي من كتاب حزقيال النبي اذ يقول . قال الرب الاله ضابط الكل . اني لا احب موت الخاطي حتى يرجع . وايضا من الانجيل ان فرحٌ عظيم[٧] يكون في السما بخاطياً واحد اذا تاب[٨] . فلما سمع اسحاق السامري هذا

١ – لعله يريد ان يقرأ آيتي الكتاب المقدس ويشرحها ويلحقها بقصة اهتداء اسحاق السامري من اعجوبة الصليب .وهو البرنامج الذي وضعه لهذه العظة

٢ – هذا ايضاً يثبت ان الميمر تلي في حفلة ارتفاع الصليب

٣ – يذكر نفسه للمرة الثالثة مع لقب التواضع « مسكنتي »

٤ – في معبد الصليب في كنيسة القيامة التي تضم مكان القبر والجلجلة

٥ – وفي ح ٣٢ :« واني بدّيت قايلاً له »، ولا داع لهذه الزيادة

٦ – اي انه جاء الى معبد الصليب حيث كان يعظ القديس كيرلس

٧ – وردت ايضاً في ح :« فرحاً عظيم »

٨ – هذه الفقرة ، من كلمة « وكان الاب » حتى هنا هي بلا شك حاشية دخيلة . بدليل الكلام عن القديس كيرلس كشخص ثالث

القول . تباعد عنه الخوف وتشجعت نفسه . وكان يتأمل الكلام الذي يسمعه ويفهمه جيداً ويقبله بحرقة قلب . وكان يعمل فيه مثل النار . ويقطع مثل السيف القاطع . كمثل ما قيل في النبي القايل . قال الرب هوذا اعطيك علامه فيك كمثل نار حتى تحرق في خشب .

٣ – التجسد والصلب – والان نكمل[1] تاويل الكلام من اجل المكتوب في مزامير داوود اذ يقول ملك الرب فلتتهلل جميع الارض. اما الملك وعظمة علوه. فهو الابن الوحيد الذي لله الاب . لكنه لبس الاتضاع وجا الينا واخضع العدو الذي كان قد تعظّم . ليس [٢١١] كمثل قاتله قتله[2] . بل تركه مربوط الى حين تمام فعله . فلما تم الحد الذي وضعه . والميعاد الذي جا بسببه كمثل ارادته مع ابيه . ليُصلَب من اجلنا ويموت ويقوم من بين الاموات في يوم الثالث . ويسبي الجحيم . ويصعد السبي معه الى عند ابيه . فصرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الرب في العود . ملك الرب فلتفرح السما وتبتهج الارض . لانه رحم شعبه وخلصهم من سبيهم . ملك الرب ولبس القوه . وتردّا بها . يعني هذا الجسد الذي اخذه من مريم العذرى ولبسه وجعله واحد مع لاهوته[3] . وصعد به معه الى السموات . وجلس عن يمين الله الاب على كرسي مجده . ولبس القوه وتجلّل بها . يعني الصليب المقدس . ومضى به معه الى العلا . وهو ايضا ياتي به معه في ظهوره الاتي . اذا جا ليدين الاحيا والاموات . والابرار والاشرار . فينظرون الذين يامنون [٢١٢] بالصليب وهم ماشين والملايكه حاملين الصليب كمثل العلام[4] قدام الملك

---

١ – يعود هنا الى ضمير المتكلم بدلاً من الغائب مما يرجح ان الكلام الذي سبقه تابع للفقرة الدخيلة لاسيما انه بمناها

٢ – وفي ح ٢٦ : « ليس كمثل قاتل قتله » ، وهو اصح . وهو يعني ، كما نظن ، ان المسيح لم يقتل الشيطان بل تركه مربوطاً

٣ – هذا يدل على ان الواعظ غير تابع لبدعة الساطرة الذين ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٤ – وفي ح ٢٥ : « العلم » ، وهو أصح . ولعله يشير الى العلم الذي رسم عليه قسطنطين حرفي اسم المسيح الاولين يلوحها صليب . وهو المعروف باسم labarum راجع كابرول ٣ :

فان قال قايل لماذا صلبوه ولماذا ياتوا بالصليب الى موضع الحكم . قيل له . انه من اجل اليهود[١] القليلين الايمان . الذين لا يومنون بصليب يسوع المسيح . ليلا يظنوا ويفكروا[٢] من هو الاتي ليدين الاحيا والاموات . هو حقاً ياتي بمجد ابيه وملايكته . وتظهر علامه الصليب.

٣ — خروف الجلجلة — وهو رجانا في كل اعمالنا. الصليب هو معموديتنا . واذا لم يرشم الانسان الما باصبعه[٣] مثل الصليب . ليس تحل عليه روح القدس . الصليب هو يطرد الارواح الارواح النجسة ويخرجهم من الناس . الصليب هو يجعل الانسان جديد دفعةً اخرى . اذا جعل رشم الصليب في جبهته بزيت المعموديه[٤]. الذي هو عربون[٥] لملكوت السموات . فيعود جديد دفعةً اخرى .

ولكن يا احباي . انا ارا الوقت قد اقترب[٦] . والجمع الذي اتوا [٢١٣] الى العيد يريدوا يسمعوا تمام القول الذي قاله الرب لموسى[٧] ان يعيّدوا[٨] له ثلاثه دفعات في السنه. اذ يقول له في الرابعشر من الشهر الجديد الذي هو برموده[٩]. في الرابعشر من الهلال امر موسى ان ياخذ الكبش كامل بلا عيب ابن سنه

[illegible]

١ — لاحظ اهتمامه الدائم بأمر اليهود الذين كانوا موضوع آمال الكنيسة في بدء نشأتها . وهو من دلائل اللقاء الميسر في فلسطين

٢ — لعل الاصل : « يشكوا »

٣ — في ح : « بيده » . وعادة تبريك الما والتبرك منه نشأت في اوائل الكنيسة . راجع معجم قا كان ٣ : ٥٦٦ و ٥٥٩

٤ — استعمل زيت المعمودية يرجع الى القرن الاول المسيحي . وقد كان سرّ التثبيت يجري على اثر التعميد كما هو جارٍ الآن عند اغلب الشرقيين. راجع معجم كبرول ٤ : ١٦٨٦ و ٦ : ٢١٧٠

٥ — وفي ح : « اركون »

٦ — يشير على الارجح الى ميعاد حفلة ارتفاع الصليب

٧ — يشير الى الحجاج الوافدين الى اورشليم لحضور حفلة ارتفاع الصليب . ولعل احدهم دعاه الى خروجه عن الموضوع وطلب اليه اتمام شرح الآية الخاصة بالعيد . وهو مما ينفي التزوير والتلفيق، كما قلنا

٨ — في ح : « ان عيّدوا »

٩ — شهر نيسان عند الاقباط

فيذبحه ويلطخ عتبات بيته[١] بدمه ليلا ياتي المفسد فيفسد ابكارهم . فاما نحن جميع النصارى . فقد ذُبح الخروف الذي بلا عيب يسوع المسيح سيدنا من اجلنا . هذا الذي ولدته السيده الطاهره العذرى مرت مريم[٢] . هذا ذُبح على الصليب في شهر برموده[٣] في الرابعشر من الهلال على حجر الجلجله . وطعن جنبه في حربه[٤] فخرج منه ما ودم . هو الذي لطخ دمه به . هوذا ملطّخ على حجر الجلجله . ولا يفنى ذلك الدم الى الابد . معيره وتوبيخ لليهود الغير مومنين بالله[٥] . واما نحن ايضا معشر النصارى اخذناه ولطخنا به عتبات بيوتنا الذي هي [٢١٤] افواهنا وشفاهنا . لما اخذنا من دم الخروف الكامل . الذي بلا عيب يسوع المسيح . وشربنا منه واكلنا من جسده نجونا من الفساد . وقدرنا ان نطا على الشيطان . وجميع افكاره الشريره .

٤ – القيامة والمقبرة – واين وضعوا جسد الرب . هوذا هو موضوع[٦] في قبره في هذه الكنيسة التي نحن نعيّد فيها اليوم[٧] . ومن هو الذي اقامه من بين الاموات . ليس يستطيع احد يفحص عن هذا السر ولا يعرفه . الا الاب وحده الذي اقامه من بين الاموات . كما قال في المزامير . استيقظ[٨] الرب كالنايم وكمثل الجبار الفايق من سكره . ومن الذي لقيه اولًا ولمن ظهر[٩] . الا لمريم المجدلانيه ومريم اختها التي هي امه[١٠] . التي ولدته بغير رجل . وطلقت به

---

١ – في ح : « يوخم » ، وهو أصح

٢ – ܡܪܬ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم وفي ح ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ بدلًا من ܡܪܬ ܡܪܝܡ اي «سيدتي مريم» وهو من آثار التعريب عن السريانية ودليل على ان المعرب سرياني وليس قبطيًا

٣ – في ح : « نيسان »

٤ – في ح ٢٧ : « بحربه »، وهو اصح

٥ – يعني دائمًا بامر اليهود مما يدل على ان الميمر أُلقي في فلسطين كما سبق القول

٦ – لعل الاصل « هو كان موضوعًا » فسقطت كلمة « كان »

٧ – اشارة صريحة الى كنيسة القيامة وعيد ارتفاع الصليب

٨ – في ح : قام

٩ – في ح : « من الذي لقيه اولًا ولمن ظهر اولًا »

١٠ – لعله يريد اختها بالاسم او ان هناك تحريفًا من احد السريان استنادًا الى تقليد بابي قديم

وولدته من غير عُسر الولاده . ورَبَّته بغير اهتمام[١] ولا تعب. واقام اربعين يوماً يظهر للرسل وياكل ويشرب معهم .وبعد ذلك اوعز اليهم[٢] قايـلًا امضوا الى العالم كله . وعلِّموا الامم كلهم [٢١٥] وعمِّـدوهم باسم الاب والابن وروح القدس.واوعدهم انه مرسل اليهم الفارقليط[٣] روح القدس. يوم البنطيقوسطي[٤] اخر الخمسين . اليوم الـذي قال الرب لموسى اخرج انت وامراتـك واولادك وبهايمك وعبيدك والمشترين بفضتك . وكل شيًا لك لان عيـد البنطيقوسطي هو عيد عظيم مكرَّم . وهو اليوم الذي حل فيه روح القدس على التـلاميذ كمثل انسان اخر حكيم ويمضي الى حقله وينقي منه السنط[٥] والشوك الـذي يطلع فيه . وبعد ذلك يزرع فيه الزرع بيد سمحه ويحرثه بالمحراث وينظر الى زمان الشتى لياتي المطر عليهم[٦] ويطلعوا وينموا ويعودوا زرعاً صالحاً من اجـل ريح الندا الذي نزل عليهم من السما . من عنـد الله . هـكذا سيـدنا يسوع المسيح مع هولاي الابا الاطهار . الذين هم الابا الرسل . طهَّرهم ونقاهم من كل دنس وكل غش الى البنطيقوسطي وارسل عليهم الفـارقليط روح القدس روح الحق . وملاهم بكل معرفة . ونطقوا بكل لغة[٧] غريبه لا يعرفوها . وصنعوا [٢١٦] قوات عظيمه وعجايب كثيرة مثل ما صنع الرب . فواحداً صنع مايه . وواحداً صنع ستين وواحداً صنع ثلاثين.

هذا هو الزمان الذي نفرح فيه يا احباي . كما امر الرب . وليس ذلـك

---

١ — لعله يريد « بغير همّ »

٢ — في ح ٢٨ : « اوما»، ونصنا اصح

٣ — حسب اللفظ اليوناني لان الفا في السريانية تعبّر عن الپا اليونانية المشددة. وفي ح : « البارقليط » حسب اللفظ العربي

٤ — عن اليونانية، وفي ح : « العنصره»

٥ — نبات خاص بالقطر المصري، وورود اسمه هنا دليل على ترجمة الميمر في هذا القطر

٦ — قلنا ان المطر نادر في وادي النيل ولا يعتمد عليه في الزراعة بل على مـاء النيل . وهذا ينفي تأليف الميمر في هـذا القطر وان تُرجم وعُرب فيه

٧ — وردت ايضاً على هذا الخطأ في ح ٢٩

بكثرة موكول ولا بكثرة مشروب . ولا بكثرة غنا[١] . الا بكثرة تسابيح وبكثرة مزامير نرتل قايلين[٢] لنتقدم له بالشكر ونهلّل لـه بالمزامير . لانه هو الاهنا . ونحن شعبه وغنم رعيته . ولما صعد ايضا الى ابيه وجلس عن يمينه[٣] . صرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الربّ على جميع الامم[٤] الله القدوس جلس على كرسيه . واما قول الرب لموسى عيِّد لي ثلاث دفعات في السنه . ايما هو العيد الذي يشاكل عظم منزلت هذا العيد يا احباي . هذا الـذي هو في اول شهر من شهور السنه . الذي هو عيد ظهور الصليب[٥] .

٥ – عجائب الصليب

١ – اخفاء الصليب – وهوذا نحن نوضع لكم السبب ونعرّفكم لماذا نعيِّد لكم الصليب المقدس[٦] . وذلك من اجل ان اليهود الـذي [لا] يومنون[٧] بالله كذبوا بقيامته[٨] . وقالوا انه لم يقوم من بين الاموات . لكن تلاميذه جاو ليلًا [٢١٧] وسرقوة ونحن نيام . ولم يقدروا بمؤامرتهم السو وافكارهم الرديه يخفوا مجد الصليب .

وهوذا ابيّن لكم القول كما عرَّفنا نيقوديموس ويوسف الرامي من اجل

---

١ – اشارة الى عادات الوثنيين التي كانت لا تزال قائمة في القرن الرابع

٢ – وفي ج ٢٨ : ولا بكثرة مزامير بي . . . . . وهو خطأ . ولعل اقتصاره على التسابيح والمزامير دلالة على اقدميته، لان المزامير كانت تؤلف في العصور الاولى القسم الاكبر من الصلوات اليومية جريًا على عادة اليهود

٣ – وفي ج : « نيجلس »

٤ – لاحظ رجوعه الى الآية الاولى ليربط اقسام ميمره بعضها ببعض وعد بشرحه في المقدمة عن التعييد ثلاثًا . ولعل اغفاله في تعظيم هذا العيد دليل على حداثته لانه كان جزءًا من عيد التقديسين فاستقل عنه في اواخر القرن الرابع . كما قد . . . يصبح دليلًا على عهد القاء الميمر

٥ – كانت السنة تبدأ بايلول ثم جعل بدء السنة الكنسية في شهر تشرين الاول وهو باقٍ في الكنائس السريانية . وهو من دلائل قدم الميمر

٦ – في ج ٣٠ : « ونعرفكم لماذا نعيد لكم اليوم عيد الصليب المقدس »، وهو اصح

٧ – اخذنا كلمة لا عن ج . وقد اهملت سهوًا في نسخة ب لان الناسخ ابقى لها بياضًا

٨ – وفي ج : « كذبوا قيامة الرب »، ولعلها اصح

غضب اليهود على تلاميذ المسيح . وصليبه المقدس . لانه كان في قلوب اليهود الذي صلبوا المسيح شرًّا عظيماً . من اجل خشبة الصليب يريدوا يحرقوها من بعد قيامته من بين الاموات . لانها كانت مغروسه في موضع كان صلب فيه[١] . فلما اهتدا ذلك السجس بقليل قليل لان تلاميذ الرب كانوا مختفين من اليهود. فقال يوسف لنيقوديموس قم الان لناخذ الصليب ونخفيه[٢] . ليلّا يصنعوا الذي قد توامروا به . فقاموا ليلًا ومضوا الي الجلجلة فوجدوا عود الصليب واللوح الذي كان بيلاطوس[٣] كتبه والمسامير الذي كانوا في يديه ورجليه[٤] اخذوهم سرًّا مع الذي كانوا للص[٥] فاخفوا الجميع ولم يقدروا يدخلوا بهم المدينة من اجل خوف اليهود[٦] . فقال يوسف لنيقاديموس ناخذ الان الخشبة [٢١٨] ونقطع من اسفل الصليب[٧] ; ونتركه داخل القبر الذي وضعنا[٨] جسد الرب فيه لانه لي . وانا لم اضع احد فيه قط غير جسد الرب يسوع . الذي قد قام من بين الاموات . وللوقت[٩] وضعوهم داخل القبر لانه كان قريب من الموضع الذي

---

١ – اي الجلجلة مما يفيدنا ان الصلبان لم ترفع منها حالًا بعد موت المسيح ودفنه

٢ – وفي ح ٣١ : « لان تلاميذ الرب كانوا مختفين من اجل اليهود . قام يوسف الرامي وجاء الى نيقوديموس وقال له هوذا اليوم قد توامروا من اجل صليب المسيح ليحرقوه قوم الان حتى ناخذه ونخفيه »

٣ – في ح : فيلاطوس حسب اللفظ اليوناني وطريقة كتابته بالسريانية

٤ – هذا يعني ان المسامير خبئت مع الصليب . انما لا يأتي الميمر بذكرها عندما يصف اكتشاف الصليب اما الاساطير السريانية فتدّعي انها اكتشفت بعدئذ في الجلجلة نفسها في النقطة التي عثر فيها على الصليب ، كما مر بك . وهذا يدلك على اختلاف رواية ميمرنا عن رواية الاساطير المذكورة

٥ – يعني للص اليمين والاصح « اللصين » كما جاء في صفحة ٢٤٢ في الكتابة التي تركها نيقوديموس ويوسف الرامي حيث يقولان « رفعنا صليب يسوع واللصين » .

٦ – كل ما جاء هنا معقول طبيعي لا مبالغة فيه ولا تناقض

٧ – كي يمكنهم ادخاله مع الصليبين الآخرين في مغارة القبر لا في التابوت نفسه لانه يضيق عنها

٨ – في ح : « وضعوا » ونصنا اصح لان يوسف ونيقوديموس توليا دفن المسيح

٩ – في ح : « جسد يسوع وهوذا قد انبعث من بين الأموات وللوقت . . .

كان صلب فيه ودحرجوا الحجر على فم القبر ومضوا وتركوه[١] . ولم يعلم احد ما صنعوا . الى زمان عظيم[٢] .

وكانوا التلاميذ يمضوا في كل يوم الى القبر في الليل يصلّوا في خفيه . وكانوا يمضوا بالمرضا فينالوا الشفا بيسوع المسيح . وصليبه المقدس . حتى ان الشياطين الذين في الناس اذا لمسوا القبر يصرخون قايلين يسوع ينتهرنا[٣] وهو في الجسد وهو ايضا لما صلب هوذا صليبه يعذبنا ويتعبنا . ويطردنا من الاجساد التي نحن ساكنيها .

٢ - أكلاوبا — واسمعوا ايضا هذه الاعجوبه الاخرى الّذي حدثنا بها ساداتنا الابا الاولين . كان في اورشليم في ذلك الزمان انساناً يهودياً اسمه اكلاوبا وكان موسراً جدا . وكان مقعداً . لم يمشي قط على رجليه . ولم [٢١٩] يقدر يركب دابه قط . وكانوا يرفعوه ويمضوا به الى المحمل الذي كانوا يحملوه فيه[٤] . ويمضوا به الى المكان الذي يريد يمضي اليه . وكان ذلك الرجل لم يمضي قط الى موضع موامرة اليهود المنافقين الذي صلبوا رب المجد من اجلنا . وهذا الرجل اكلاوبا كان اوصا عبيده قايلًا . لا تشتركوا مع اليهود قليلي الايمان في ما يعملوه . هولاي الذين يريدون ان يقتلون[٥] يسوع الناصري من اجل حسدهم وبغضهم[٦] . انا ايضا اعلم انه ابن الله على ما ثبتت به الانبيا . ومريم اختنا هي التي ولدته . بروح القدس تلك الذي تدعا ابنة يواكيم اخواني بالجسد[٧] .

---

١ - في ج ٣٢ : « تركوها »

٢ - هذا يبنى على انهما رفعا الصلبان الثلاثة معاً ليخفيا معالمها وبرفعا الشك عن التلاميذ في الغاية من اخفائها . لانهما لو اقتصرا على صليب المسيح لعرف اليهود ان تلاميذه قد اخفوه .

٣ - في ح : « كان ينتهرنا » وهو الصحيح

٤ - في ج : « الى المحمل الى الما ليحموه » وهي دخيلة لا محل لها . ولعلها خطأ وقع فيه الناسخ لسوء فهمه ما يُملى عليه لان كلمات « الى الما ليحموه » قريبة من كلمات « الى المحمل ليحملوه » وهذا يدل على ان معلمه الحبيس ميخائيل او غيره املى عليه ما كتب

٥ - وردت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

٦ - وفي ح : « وبغيهم »

٧ - وفي ح : « تلك الذي تدعا ابنة اكلاوبا الذي يسا يواقيم اخواني بالجسد »، ونرجح

وانا اومن انها لم تعرف رجلاً قط. بل روح القدس حلَّ عليها ببشارة الملاك لها.

٣ – موت ابنه – وكان لهذا الرجل الصديق اعني اكلاوبا ولد وحيد اسمه اهروقوس[1]. فمرض مرض موته. واقام ايام قليل ومات. فدعا اكلاوبا عبيده. وقال لهم امضوا فاتوني برجل ينحت الحجار حتى يصنع لولدي [٢٢٠] قبر من الحجر بجانب مقبره يسوع الناصري. لادفن ولدي فيه. واذا مُت انا ادفنوني فيه. فصنعوا كما امرهم اكلاوبا وجابوا الصانع وعمل القبر. وبينما اغرقوس[2] ابن اكلاوبا في الحياه تنيّح بعد يومين[3]. وكان ذلك يوم السبت. فلم يقدروا يضوا بجسده الى القبر لكيلا يحلّ السبت. فلما كان الغد الذي هو اخر السبوت خرجوا به الى القبر[4]. وهو محمول على نعش. ورفعوا ابوه على المحمل وهو خلفه يبكي وينوح. بحزن عظيم. فلما وصلوا الى مقبرة سيدنا يسوع المسيح وضعوا جسده على الارض واجلسوا والده بجنبه.

وكان ينوح عليه باكياً وهو يقول[5]. يا ولدي الحبيب ليت هذه الايام الذي كان يسوع الناصري على الارض يقيم الموتى. فكنت امضي اليه واسأله لياتي ويقيمك لي لانه قد اقام اخرين وهوذا هم معنا اليوم احيا. اقام حنه ابنه

ان روايتنا اصح. وقد اختلف الرواة في هوية اكلاوبا المذكور وذهب بعضهم الى انه اخو القديس يوسف خطيب مريم والدة المسيح. وهو حسب رواية ميمرنا عمها اي اخو والدها القديس يواكيم. والتقاليد كلها تتفق على انه من اقارب مريم العذراء. راجع هذا الاسم في معجم الكتاب المقدس للاب ڤيكورو

١ – وسيرد بعد قليل «اغرقوس» وكلاهما يونانيان. ولعلهما ترجمة اسمه العبراني فابقاه المترجم السرياني كما وجده في الاصل اليوناني الذي نقل عنه. وهو من دلائل الترجمة عن هذه اللغة

٢ – ܐܓܪܩܘܣ بنقطة فوق الجيم وفي ح ٣٦: ܐܓܪܩܘܣ أي اجرقوس بالجيم المصرية

٣ – يعني ان اكلاوبا اوصى بعمل القبر لما رأى ابنه مشرفاً على الموت

٤ – وفي ح: «فلما كان الغد الذي هو يوم الاحد». ونرجح انه الاصح وانه تصحيح المشرف على النسخة. لان كلام الميمر يعني ان اغرقوس توفي يوم الجمعة ولم يكن لهم متسع من الوقت ليدفنوه في ذلك اليوم لان السبت يبدأ مساء الجمعة. ولا يعقل ان يخرجوا به بعد مساء السبت

٥ – وفي ج: «نوحاً عظيماً ويقول»

يايرس رييس الجماعه . واخو والدتك[١] . واقام العازر ابونا من بين الاموات[٢] .
ولكن يا ولدي الرب يسوع المسيح يقبلك في ملكوة [٢٢١] السموات .

٤ – قيامة ابنه وشفاؤه – وبينما كان اكلاوبا يقول هذا بامانه قويه . فللوقت خرج من مقبرة يسوع المسيح رايحة بخور طيب . ورااا بعينه شبه صليب النور قد خرج من المقبره وحل على سرير ذلك الميت . فنهض للوقت جالساً . فلما علم ابيه[٣] ان ولده قد قام وثب من الفرح ونهض قايماً على رجليه . وعاد كمثل من لم يحزن قط . فوقع على اليهود للذي كانوا معه خوف عظيم . لانهم رااو الميت قام من الموت . ونهض جالساً . وابوه كان مقعداً فصار يمشي ويجري[٤] . ونزعوا عنه اللفايف فنهض قايماً بينهم . فقالوا له من هو الذي اقامك . فقال لهم رجل من نور خرج من هذه المقبره . وهو حامل صليب نور[٥] . ووقف علي واقامني . وهوذا أنا قد حييت دفعةً اخرى وانتم تروني . وكانوا ايضا يقولون لابوه كيف قدرت تمشي . ومن هو الذي ابراك . فصرخ بفرح عظيم قايـلاً الذي اقام ابني من الموت . هو الذي ابراني[٦]

٥ – اعتماده – ومسك بيد ابنه ودخلوا الى المدينة بفرح يسبّحوا [٢٢٢] الله ويباركوه[٧] . وهم يصرخوا قايلين عظيم هو مجدك وقوتك يا يسوع الناصري . وانت ايضا جعلت لك القوه والبرهان في الصليب المقدس المعطي الحياه لكل

---

١ – وفي ح : يزيد « وهوذا هو ايضاً اليوم في الجسد»
٢ – اذا كان يعني والده فيكون العازر جد مريم العذراء . ويكون باقياً على قيد الحياة في وقت هذه الاعجوبة
٣ – وردت ايضاً على هذه الصيغة الملوطة في ح ٣٥ : مع ان « ابوه » شائع في كلام العامة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن مصدر واحد
٤ – تعبير مصري يعني ركض كما قلنا وغير دارج في لبنان حيث نسخت المخطوطتان
٥ – تظهر هنا غاية القديس كيرلس من ايراد هذه الحكاية الطويلة اي وصف العجائب التي ظهرت على قبر المسيح لاخفاء الصليب فيه والتي حركت اليهود على رومة
٦ – في ح ٣٦ : « الذي اقام ابني من بين الاموات وهوذا اليوم الرابع من حيث مات هو الذي ابراني »
٧ – في ح : يزيد « ولابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا »

من يومن به . موضع حزن[١] اعطيتني فرحاً وتهليل . وصار لي في ذالك فرحين. قيامة ولدي وعطيّتي الشفا[٢] . وكان الشعب كلهم قيام يسمعوا قولهم وما كان منهم . وبقوا متعجبين من ذلك . لان اكلاوبا عُطي الشفا من مرضه . وابنه قام من بين الاموات.

فامر ان ياتوا الى منزله بالارامل والايتام . وصنع لهم وليمه عظيمه . وفرّق عليهم مال كثير في ذلك اليوم. وعتق عبيد . ومضى هو وولده واهل بيته الى الرسل فعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس . وعادوا مختارين يبشّروا بالمسيح وصليبه[٣] المقدس . واما اليهود لما عاينوا هذه الايه . امنوا بالرب يسوع المسيح.

١ – في ح: «حزننا»
٢ – تركيب يوناني ، وفي ح: «ووهب ايضاً لي الشفا»
٣ – سقطت من نسخة حلب الورقة الحاوية لحكاية ردم القبر اي من كلمة «المقدس» صفحة ٢٢٢ حتى قوله «ويسألون ان يشفق عليهم» من صفحة ٢٢٤

(له صلة)

الفنيقيون بين الفرس واليونان

بقلم الامير موريس حافظ شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

مصر وبابل

بعد ان سقطت نينوى في السنة ٦٠٨ ق.م. قُسمت المملكة الاشورية القديمة بين شعبين هما الميديون والبابليون.

وكان من نصيب سورية وفنيقية ان تتعلقا بمملكة البابليين. الّا ان نخاو، الفرعون المصري من الدولة السادسة والعشرين، رأى ان يغتنم تلك الفرصة فيعيد بسط السيادة المصرية على البلاد السورية. ومما دفعه الى ذلك تذكار المصايب التي انزلتها بمصر الغزوة الاشورية، فعزّز فيه النزعة الى الاخذ بتقليد الفراعنة السياسي الا وهو أن يجعل بين مصر والبلاد المجاورة حاجزًا قويًا تقوم به المناطق السورية والفنيقية.

وكان قد تقدم لنخاو علاقات متينة مع الفنيقيين، اذ كلّفهم ارتياد شواطئ افريقية. فسار الفنيقيون من البحر الاحمر، وداروا حول افريقية وعادوا مارّين بمضيق جبل طارق، فالبحر المتوسط. وقد اقاموا ثلاث سنوات في رحلتهم هذه، وقطعوا رأس الرجاء الصالح قبل فاسكو دي گاما بعشرين قرناً. ولكن، لسوء الحظ، لم يكن لهذه الرحلة الاستكشافية من نتيجة.

وكان لاحتلال المصريين سورية وفنيقية تأثير مقلق في بلاط ملك بابل. فعقد هذا لابنه نبختنصر المشهور على جيش عظيم وارسله لمهاجمة نخاو. فنشبت معركة بين الجيشين في شمالي سورية قرب كركميش، المدعوة اليوم جرابلس، على الفرات. فكسر المصريون شرّ كسرة وتراجعوا منخذلين تاركين سورية بين يدي نبختنصر.

---

*) مادة محاضرة من محاضرات «معهد الآداب الشرقية»، في فرع «علم الآثار القديمة».

فتحوّلت اذ ذاك سياسة الفرعون من الغزو الى الدسّ السياسي ، فاشتغل على اثارة ملوك فنيقية ويهوذا على الحكم البابلي . وقد نجح في عمله هـذا . على ان نجاحه لم يطل . فان نبختنصر لم يكد يرقى عرش بابل حتى اعاد الكرّة فاستعاد فنيقية ، وخلّد ذكر غزوته بنقش تلك الآثار التي لا تزال شاهدة حتى ايامنا في صخور نهر الكلب، وفي وادي بريصا قرب بحيرة حمص . واثر نبختنصّر في نهر الكلب هو الصخر المنقوش القائم على مستوى الطريق الحالية .

ثم ان نبختنصر سيّر احد قوّاده على صيدون فاحتلّها ، واقام الحصار على صور فضيّق عليها . وزحف على مملكة يهوذا فاحتلّ اورشليم سنة ٦٠٠ . على ان الاسرائيليين ثاروا على الحكم البابلي ، فدُفع نبختنصر الى اعـادة الكرّة مرّتين ، فجلاهم اخيرًا عن اورشليم وحملهم مع ملكهم الى بابل .

الّا ان سلطان بابل لم يدم طويلًا في بلادنا . فقام خليفة الفرعون نِخاو ، واسمه أبريس ، بمحاربة البابليين ، ولم يلبث ان ظهر على جيش نبختنصر ، فاحتلّ صيدون وجبيل وسائر المدن الساحلية .

وعليـه فاننا نرى فنيقية ، وصيدون خاصّة ، موضوع النزاع الـدائم بين المصريين والبابليين في النصف الاول من القرن السادس . فكان اسطولها يقوم تارةً بخدمة الاوّلين وطورًا بخدمة الآخرين .

ظهور الفرس

على ان المملكة البابلية لم تعش طويلًا بعد موت نبختنصر . فان الفرس زحفوا بقيادة احشورش فاجتاحوا مملكة الميديين ومملكة البابليين واحتلّوا عاصمة هؤلاء سنة ٥٣٨ . فكانت النتيجة ان جميع البلاد الخاضعة لهاتين المملكتين دخلت حتماً في حكم الفرس . ويذكر هيرودوتس ان الفنيقيين خضعوا للفرس بمل ارادتهم . وقد تجاوزت سلطة ملوك فارس هذه البلاد الى مصر فاحتلّها قمبيز بن احشورش . ثم شاء ان يحارب القرطاجيين » فامر جيشه البحري بالسير الى قرطاجـة . ولكنّ الفنيقيين أبوا القيام بهذا الامر لانهم كانوا متفقين مع القرطاجيين بالأيمـان المغلّظة ، فضلًا عن انهم كانوا يتعرّضون لاقـتراف الاثم

بحارتهم ابناءهم لانّ مؤسس قرطاجة من الفنيقيين. امّا وقد رفض الفنيقيون السير لمحاربة قرطاجة فلم يكن بمقدور ما تبقّى من الاسطول ان يقوم بهذه الغزوة البحرية ...ولم يرَ قمبيز من العدل ان يجبر الفنيقيين على ذلك لانهم كانوا قد خضعوا له بملء ارادتهم ، ولانهم كانوا يكوّنون قوة الجيش البحري بكامله . » (هيرودوتس ٣: ١٩) .

هذا ما يفيدنا اياه مؤرخ من اواخر القرن السادس ، واذًا فانه يكاد يكون معاصرًا للحوادث التي يرويها . ومنها نستخلص نتيجتين مهمّتين : اولاهما ان الفنيقيين خضعوا للسلطة الفارسية بملء ارادتهم ، وثانيتهما ان الفنيقيين كانوا يكوّنون قوة الجيش البحري الفارسي بكامله .

وهو معروف ان سلطة البحار في اوائل الالف الاول كانت في ايدي الفنيقيين ، وان اسطولهم كان اغنى اساطيل العالم ، اذ ذاك ، واجرأها واعظمها بطشًا .

ثم ان الفرس بتكوينهم بلادًا حسنة التنظيم ، وافرة الازدهار ، ميّالة الى مظاهر الترف وآثار الفنّ ، فتحوا امام حلفائهم الفنيقيين مجالًا واسعًا للتجارة البرّية في الداخلية ؛ كما انهم بدخولهم مصر وآسية الصغرى ، اوجدوا لهم طرقًا جديدة للتجارة البحرية في السواحل .

بين الفرس واليونان

عمل الاسطول الفنيقي

هـذا وان يكن من منفعة للفنيقيين في اتحادهم مع الفرس ، فقد كان لهؤلاء ايضًا منفعة في ذلك الاتحاد . كانت بلاد فارس الواسعة بحاجة ماسّة الى اسطول ، ولا سيما انه كان في هذه البلاد مناطق كثيرة يسكنها اليونان، فيقوم يونان البيلوبونيز واثينة وما اليها باثارة المشاكل والدسائس السياسية بين اخوانهم في بلاد فارس. واننا نرى اهمية الاسطول الفنيقي عندما يتّسع الخلاف بين الفرس واليونان فتبدأ تلك الحروب المشهورة في التاريخ «بالحروب الميديّة» ، عند ذلك يشعر الفرس بفضل الاسطول الفنيقي في مساعدتهم على نقل جيوشهم من منطقة

الى اخرى، وعلى معاونة جيش اليونان البحري.

وقد عرف له هذا الفضل داريوس اذ استعان به في نقل جيوشه الى بلاد اليونان. وذاك ان داريوس بعد ان احرق سارده في آسية الصغرى اراد الزحف على بلاد اليونان بطريق البرّ، ورأى ان يجتاز البوسفور ويسير حتى اثينة. ولكن الخطّة لم تفده سوى تكثير اعدائه. فان الشعوب التي كان يزعجها في مسيره كانت تتألب عليه متفقة مع خصومه الاصليين. فانصرف عن خطّته هـذه، ورغب الى الفنيقيين، سنة ٤٩٠، في نقل جيشه الضخم الى بلاد اليونان. ولكنه لم يُفلح هنا ايضاً. لان الجيش الاثيني اظهر، على قلّة عدده، من الشجاعـة والمهارة في الاعمال الحربية، ما جعله ينتصر على جيش داريوس الضخم في سهول ماراثون انتصاراً باهراً حتى لم يبقَ للفرس الّا الرجوع، كما اتوا، بطريق البحر.

وكان لأحشورش بن داريوس، ان يأخذ بثأر ابيه فيغسل العار الـذي علق بالجيوش الفارسية. فجمع جيشاً بحراً، واجتاز الهلسبنطس، او الدردنيل، على جسر من السفن، واكتسح تراقية حتى وصل الى مجاز ترموبيل حيث كان ينتظره لاونيداس الاسبرطي في عدد قليل من رجاله. وهنا يزعم المؤرّخون ان احشورش ارسل يقول للاونيداس: « اطرح سلاحك! » فاجـابه البطل الاسبرطي: « تقدّم فخذه! »

ثم نشبت المعركة فاظهر لاونيداس ورجاله شجاعة نادرة لم تقدهم الّا الذكرى الحسنة. لان احشورش انتصر عليهم فاجتاز ذاك المضيق الى اثينة فاحرقها. اما اليونان فاجتمعوا للشورى فنصحهم تميستوكل بانشاب معركة في مضيق سلامينوس، بين جزيرة سلامينوس والشاطئ الاثيني. فلم يسمع له بعض القوّاد من اليونان، واحتدم الجدال حتى ان احدهم رفع عصاه على تميستوكل يريد ضربه. عند ذاك اجاب هذا، على زعم المؤرخين، بتلك الكلمة المشهورة: « اضرب، ولكن اسمع! » ثم افاض في البراهين حتى اقنعهم.

وكان احشورش قد عقد مجلس الشورى في معسكره قبل المعركة البحرية. وقد وصف لنا هيرودوتس ذاك المجلس وصفاً يفيدنا من نواحٍ عدة قال (٨: ٦٧): « جلس احشورش على عرشه. وتقدّم المسلطون على الشعوب المختلفة،

وقوّاد المراكب الذين طلبهم ، فجلسوا كلٌّ في مركز يوافق الرتبة التي اعطاه اياها . وكان في مقدّمتهم ملك صيدون ، يأتي بعده ملك صور ، ثم الباقون . فسألهم احشورش ، بواسطة مردونيوس ، هل ينشب المعركة على البحر . فسألهم مردونيوس ذلك ، مبتدئاً بملك صيدون . . . »

نستنتج من هذا القول تأكيد الاولية التي اولاها ملك الفرس ملوك فنيقية . وها ان هيرودوتس يقول مرّتين بتقدّم ملك صيدون ، حتى على ملك صور ، في مركزه وصفّه في المشورة .

اما معركة سلامينوس فنشبت سنة ٤٨٠ . وكانت نتيجتها ان حيلة تميستوكل انتصرت على قوّة احشورش . فخرجت اثينة ظافرة من الحروب الميديّة ، فنالت مجداً عظيماً ضمن لها المركز الاول بين المدن اليونانية . فبدأ عصرها الذهبي منذ اوائل القرن الخامس ، بفضل ما تقدّم ، وبفضل تلك الادارة الحاذقة التي قام بها بريكليس ، فاتسعت اساليب الرفاهية ، وازدهرت الفنون والآداب ازدهاراً لا نزال مدينين له حتى اليوم . فقام فيدياس بتزيين البارتنون الذي بناه إكتينوس وكاليراتس ؛ ولمعت في افق الاداب والتاريخ والفلسفة والعلوم اسماء سوفوكل ، واوريبيد ، وارستوفان ، وسقراط ، وهيرودوتس ، وبقراط ، وتوسيديد ، فخلّدت العبقرية اليونانية مدى الاجيال .

التأثير اليوناني في فارس وفنيقية

اننا ، اذا ما ذكرنا الحروب الميدية التي اقامت آسية على اوربة المتمدنة اذ ذاك ، لا نعني ان مملكة الفرس اقفلت مطلقاً بوجه النفوذ اليوناني .

لم يكن بدّ للشعب الفارسي ، وهو حديث عهد بالرقي ، من ان يستمدّ من الشعوب المتمدّنة التي اخضعها او التي كان على اتصال بها ، عناصر ذلك الفنّ الذي دُعي فيما بعد « بالفنّ الفارسي » . وهو فنّ مركّب ، كالفنّ الفنيقي ، امتزجت فيه العناصر المصرية والاشورية واليونانية .

ثم ان هناك ما سهّل دخول النفوذ اليوناني في بلاد فارس ، على رغم

الحروب الميدية . وذلك ان المدن اليونانية لم تكن كلها على اتفاق دائم بعضها مع بعض . بل ان منها ما كان يقوم بالحروب الاهلية فتستنجد بالفرس على اخواتها . وكان من اليونان انفسهم جنود مأجورة في الجيش الفارسي . وكان التجار اليونان يضربون في مناطق مختلفة من المملكة الفارسية . فضلًا عن ان يونان آسية الصغرى ، او اليونيين ، كانوا من رعايا الدولة الفارسية . ثم ان الفنيقيين ، مع انهم كانوا يحاربون في جانب الفرس ، كانوا على اتصال وثيق باليونان .

وكان الفنانون من اليونان يشتغلون في معامل صيدون . فاخذ فنانو فنيقية ينصرفون شيئًا فشيئًا عن المذهب المصري في آثارهم الى المذهب اليوناني . وقد بنى الفنيقيون قصرًا على الطراز الفارسي يظهر لنا في تيجان اعمدته ، المحفوظة في متحف بيروت ، شاهد على ما تقدم . فان التأثير الفارسي بارز في هيئته فقط المثلة ثورين متصلين بظهريهما . الا انه لا يظهر فيها ارتعاش الفن الفارسي . فان عضلات الثورين مدروسة بتدقيق وهدوء . وتزدة اقرب الى المذهب اليوناني منها الى مذهب پرسيپوليس ، عاصمة الفرس .

تقرّب صيدون من اليونان

ولم يقتصر التأثير اليوناني في صيدون على المظاهر الفنية . فان المدينة بعد ان ظلّت في القرن الخامس حليفة فارس المخلصة فكانت قاعدة الولاية ، اخذت ، في القرن الرابع ، تغتنم الفرص لخلع النير الفارسي . فتقرّبت من اثينة ، منذ اواخر القرن الخامس . ولكن من الحقّ ان نقول ان الفرس انفسهم شجّعوا هذا التقرّب باتحادهم مع اثينة على اسبرطة .

وقد عزّز ذاك التقرّب ايضًا في صيدون ملك عشترتون الذي حكم من السنة ٣٧٤ الى ٣٦٢ فلم يدع فرصةً الّا اظهر فيها ميله الى اليونان حتى لُقّب « فيلهيلين » اي « صديق اليونان » . وكان من اعزّ مقاصده ان يتجاوز في بلاطه مظاهر الترف اليوناني البارزة في بلاطات ملوك قبرص . حتى ان ذكر مآدبه وقصوره واضاحيه ، وحرمه بما فيه من المغنيات اليونية والمحظيات

البيلوبونزية ، كان منتشراً في بلاد اليونان من اقصاها الى اقصاها .

وكان من دلائل ميله الى اليونان انه كان عوناً لوفد اثيني ذاهب الى بلاد فارس ، حتى اتمّ مهمته . فعرف له الاثينيون هذا الفضل واصدروا قراراً يشكرونه فيه ، ومنحوا التجار الصيدونيين الذين يتعاملون مع البيره،مرفأ اثينة، امتيازات جمركية .

على ان صداقة هذا الملك لليونانيين جعلت الدولة الفارسية تنظر اليه بعين الغضب ، حتى اتّهمته بموالاة اعدائها ، فسيّرت جيشاً على صيدون لقتله . فخاف كثيراً عند وصول الجيش ، ولم يشأ ان يقع حياً في قبضة الفرس ، ولم يجسر على قتل نفسه ، فرجا امرأته فقتلته ثم انتحرت بعده.

أمّا اسم عشترتون فانه ، عـلى رغم مظهره اليوناني ، سامي مصحّف اصله «بدعشتَرْت» .وهو اسم نعرفه بفضل رقم مختلفة في قرطاجة وغيرها من المستعمرات الفنيقية .وهو تصغير «عبد عشتَرْت».ومن هذا النوع في التصغير اسم «حيرام» ملك صور ، وهو تصغير أحيرام .

وفضلًا عن ذلك فقد كشفت الحفريات ايضاً في صيدون ، هيكلًا فنيقياً على ضفة الأولي . يشتمل على ساحة واسعة يحدّها جدار في مؤخرها ، وتدعمها عدّة جدران . وقد ظهر في احدها رقم مختلفة افادتنا اسم مرمّم هذا الهيكل فاذا هو ملك من ملوك صيدون يُـدعى بدعشتَرْت حفيد اشمونعزَر الاول ، وافادتنا ايضاً ان بدعشتَرْت هذا رمّم الهيكل في سبيل الاله أشمون .واذاً فان اسم بدعشتَرْت من الاسماء المألوفة في صيدون .

ويظهر جلياً ان عصر عشترتون - بدعشتَرْت هذا كان في صيدون عصر مجد ورخاء قلّما ادركت مثله . فازداد عدد سكّانها وتجاوز عدد سفنها الحربية المائة. تشهد بذلك نقودها وقد نُقش فيها ، دلالةً على عظمة المدينة وقوّتها البحرية ، رسم سفينة مجهّزة للحرب . وقد أُخذت صورة هذه السفينة فنقشت على قطعة الخمسة القروش من نقدنا اللبناني .

عودة مصر الى الميدان

اما مصر فانها ، على رغم ما وصلت اليه من الانحطاط ، ما زالت تحلم باخذ ثارها ، وبالحصول ، ان لم يكن عـلى سيطرتها السابقة ، فعلى استقلالها وطمأنينتها الداخلية .

فكان ان الفرعون نكتانيبو الاول استدعى اليه شبرياس الاثيني فكلفه ان يعزز كل ما يراه ضعيفاً من مواقع الدلتا ، اي الوجهة البحرية من بلاد مصر .

ثم قام خلفه الفرعون تاخوس بالدسّ على الفرس لدى ملوك يهوذا وملوك فنيقية . فتألفت عصبة ثوار على السلطة الفارسية رئسها تنّيس ملك صيدون ، الذي كان الفرس قد اجلسوه على عرش عشترتون سنة ٣٦٢. وكان في اول امره مخلصاً للدولة المسيطرة الّا انه اغترّ بازدهار مدينته وقوتها من جهة ، واشمأزّت نفسه من همجية عمّال الفرس الذين كانوا يهتمون باعداد العدد لمحاربة مصر ، فتحالف سرّاً والملوك النافرين من الفرس . ثم عقد ملوك فنيقية كلهم اجتماعاً عاماً في طرابلس عهدوا فيه الى تنّيس بادارة الثورة على العاملين مزايوس وبليزيس . وقـد بدأت هذه الثورة سنة ٣٥١ ، وكانت شديدة حارب فيها الفريقان بعنف وثبات . واسفرت المناوشات الاولى عن انتصار الثوار . حتى ان ارتحششتا الثالث أوخوس قلق وخاف نتيجة الثورة ، فقدم بنفسه على رأس جيش ضخم .

ولما شعر تنّيس بالفشل القريب ، رأى ان يستعيد ثقة ملك الفرس ، فخان وطنه واسلم الى الملك بعض الوجهاء من صيدون . اما ارتحششتا فاظهر ارتياحه بادئ بدء لعمل تنّيس حتى اذا مكّنته الفرصة ، اكتسح صيدون فاحرقها بجيشه بكاملها ، ثم قتل تنّيس نحو السنة ٣٥٠ . ولا تزال الآثار البـاقية من قصر صيدون الفارسي ، كبعض اقسام القواعد ، وقطع تيجان الاعمدة ، المحفوظة في متحف بيروت ، شاهدةً على ما اتاه المهاجمون من اعمال التخريب والتدمير .

وبعد هذه الحوادث بثماني عشرة سنة وصل الاسكندر الكبير ، منتصراً

على داريوس في معركة ايسوس ، فاحتل مختلف الممالك الفنيقية ، واقام الحصار على صور [1] .

ملوك صيدون

ان الحفريات التي أُجريت في صيدا كشفت لنا عن قبور ملوك صيدون على العهد الفارسي . وكان اهمها ما اكتشف في ايّاعة قرب صيدا .

ايّاعة اسم ارض مستطيلة الشكل تقريباً لا تتجاوز مساحتها ٢٥٠ متراً في ١٠٠ متر . وهي تقع اليوم على ١٥٠٠ متر من البحر، غربي الطريق القديمة بين بيروت وصيدا ، عند مفرق طريق جزين . وتبعد عن مدينة صيدا نحو كيلومترين . يعلوها طبقة من التراب الزراعي ضئيلة حتى ان المزروعات لا تعيش فيها الا بصعوبة . وتحت هذه الطبقة طبقة من الصخر ذي المسامّ المعروف « بالرملي » .

في هذه الأرض اكتشف مدفنان كبيران ، وكان الاكتشاف الاول نتيجة الصدفة كما يأتي :

في ٢ اذار سنة ١٨٨٧ ، انهى صاحب تلك الارض ، محمد شريف افندي ، الى السلطة المحلية خبر اكتشاف بئر في ارضه قد يكون في اسفلها بعض القبور . فارسل قائمقام صيدا فاورغ البئر مما كان فيها من التراب والحصى . فظهر ان في البئر ممرّاً الى سبعة قبور تحتوي كلها على نواويس . وقد كُلّف هذه الاعمال المرحوم بشاره المهندس . فرفع تقريراً مفصّلاً الى القسطنطينية . فاهتم السلطان بالامر وارسل الى صيدا لاجراء الحفريات مدير الآثار القديمة نفسه حمدي بك . ووضع تحت تصرفه الباخرة « عبير » لتقل ما يكتشفه من النواويس الى القسطنطينية .

وبينما كان حمدي بك يقوم بكل دقة بدرس المدفن الاول والتفتيش فيه ، اكتشف الى قربه مدفناً ثانياً ظهر في ما بعد انه اقدم من المدفن الاول . ولهذا

---

١) راجع تفصيل ذلك في مشرق هذه السنة ، ص ٢٤-٣٢

فاننا نبدأ بدرسه ، فنكون قد تبعنا التسلسل التاريخي :

ان المدفن الثاني محفور كالاول في الصخر الرملي . وهو يتألف من بئر مستطيلة القطع تبلغ احدى جهتيها ؛ امتار والثانية ٣٫٢٠ امتار . ويبلغ عمقها ٧٫٥٠ امتار . وها اننا نرى في صيدون تأثير العادة المصرية في جعل القبور ضمن آبار ، وهي تلك العادة التي نتحقق العمل بها في بيبلوس في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ق.م. وقد ظلّ قياس البئر هو هو تقريباً . وفُتح في جهتيه المتوازيتين مدخلان يقودان الى قبرين . اما القبر الاول ، وهو الآخذ جهة الجنوب ، فلا يدلّ حفره على كبير عناية. وهو مفتوح المدخل على قياس ١٫٩٠ علواً في مثله عرضاً . اما مساحة القبر فتبلغ ٤٫٢٠ امتار في ٣٫٩٠ امتار . وقد حفر في ارضه قبران متشابهان متعارضان ، ووضع على افخمها بلاطتان وجد تحتها عدد من الآثار الذهبية منها عصابة من ورقة ذهبية مطرّقة ، وعقد ، وعدد من الخرز ، وسواران احدهما مزدان بالحجارة الكريمة ، في وسطه عين هرّ بين زهرتين من البَشنين ، ووجد كذلك عينان رمزيّتان من الذهب والعقيق ، ومرآة من البرونز ، وغير ذلك من الحلى الفضية والبرونزية .

ومجموع هذه الآثار يدلّ على التأثير المصري العميق البادي بازهار البَشنين والمرآة وغيرها . وكان الميت قد رُبط الى قطعة من الخشب بليت مع عظام الميت كلّها ، فلم يبقَ الّا حلق البرونز الذي استعمل في ربط الميت الى الخشبة المذكورة . وهذا ما قادنا الى القول بوجود هذه العادة المدفنية .

والى جانب القبر هذا وجد قبر آخر على اتصال به . اما مساحة القبر الجديد فلا تتجاوز ٢٫٨٠ . واما ما فيه هو فقبران آخران لم يوجد فيهما الّا بعض العظام .

وقد وجد في البئر اثناء الحفر اسرجة خزفية من الطراز المعروف بالاسرائيلي . اي ان السراج منها يبدو على شكل صحن دون قاعدة ، محنيّ الجوانب الى الداخل .

اما في جهة البئر الشمالية ، اي تجاه القبر الموصوف آنفاً ، فقد ظهر قبر آخر يبلغ علوّ مدخله الذي كان محكم السدّ ٢٫٢٠ في مترين ، وتبلغ

مساحته الداخلية ٢،٦٠ في ٣،٤٠ ، وعلوه ٢،٦٠ وحيطانه مطلية بالكلس وجد في هذا القبر اربعة اسرجة خزفية كالمتقدم ذكرها ، وميبرجتان من البرونز لكل منها ساق تنتهي بثلاث قوائم ، وقد زين اعلاها باشكال الزهور.

وبعد ان نُظف هذا القبر وُجد انه مُبلط بست بلاطات لا غير تبلغ الواحدة منها ٢،٦٠ مترين طولاً ومن ٥٠ الى ٨٠ سنتيمترًا عرضاً . وتحت هذا البلاط قطعة واحدة ضخمة من الحجر تبلغ ٣،٤٢ امتار في ١،٧٠ محكمة الوضع ضمن الجدران الاربعة ، وقد ظهرت في اعلاها خطوط بيضوية الشكل كان من شأنها ان تمكن من استعمال الحبال في تنزيل ذاك الصخر الضخم وتركيزه ضمن جدران البلاط . وعلى كل ذلك دلائل الاتقان في العمل . ولما كُسر هذا الحجر ورُفع من مكانه ، بدا القبر الجديد وعلى مدخله خط محفور يقع عليه الحجر الضخم السابق الذكر فيحكم قفل القبر تماماً . اما سعة القبر فتبلغ ٢،٦٠ طولاً في ١،٢٠ عرضاً في ١،٥٠ عمقاً .

ناووس تبنيت

وكان في القبر صاحبه نائماً في ناووس من الامفيوليت الاسود ، وقد رُبطت ومياؤه الى خشبة من الجميز ووصلت الربائط بحلق من الفضة.

ويظهر ان الملك الراقد كان متقدماً في السن بدليل ان شعره الابيض خضب بالحناء . وكان على جبهته عصابة بسيطة من الذهب طولها ٢٥ سنتيمترًا وعرضها ٥ سنتيمترات في الوسط و٣ في الطرفين . وهذا كل ما اكتشف ضمن الناووس .

ومما يستحق الذكر هيئة الناووس فانه بدا على شكل صندوق المومياء، مستدير القمة ، عمودي الجانبين ، مخصور الاسفل قليلاً كما لو شاء صانعه ان يجعله يوافق شكل الميت . وعلى اعلى الناووس خط حُفر بالهيروغليف يحتوي نصاً مأخوذاً من « كتاب الاموات ».

امـا الغطاء فيوافق تحدبات الناووس نفسه وفي اعلاه رأس كامل النحت بارز على جسد مبسوط لا يبرز منه الا طرفا القدمين على وسادة مُثلث بقطعة مبسوطة كذلك.

وهذا الرأس يبدو مصريا خالصاً كما يستدل من قسماته كلها . ومن اللحية المستعارة والجبة التي يسقط طرفاها من عن الكتفين حتى الصدر . وقد جعل في عنق الميت وعلى صدره عقد عريض مُثلث فيه انواع مختلفة من الزهور واللآلئ وانتهى برأسي بازيين يقفان به على الكتفين.

وعلى جسم الغطاء نفسه تسعة اعمدة من الهيروغليف يفصل بينها وبين العقد الالهة المصرية نيت مبسوطة الجناحين ، وابناء هوروس الاربعة اثنين في كل جهة .

كل ما في هذا الناووس يدلّ على الاصل المصري : مظهره الجاري المعروف في العصر السيتي ، ومادته المستخرجة من مقالع الحامات التي ذاعت شهرتها منذ السنة ٦٠٠ تقريباً على عهد الدولة السادسة والعشرين ، والنصّ الهيروغليفي المستخرج من مجموعة الطقوس المدفنية المصرية المعروفة باسم « كتاب الاموات » ، فضلًا عن اسم صاحب الناووس المدعوّ : بنفتاح رئيس العسكر .

ولكنّ هناك ، لحسن الحظّ ، في اسفل الناووس ، كتابة فنيقية ليس من شك في انها حُفرت بعد عمل الناووس . ويظهر من نصّها ان المسجى في الناووس ليس بنفتاح المصري ، بل الفنيقي تبنيت ملك صيدون . وهو يعدد الادعية على كلّ من يتجاسر ويدخل قبره . الا انه لم يتراجع عن دخول قبر غيره ونزع هذا الناووس وتحويله الى ناووس له . ولعلّه اشتراه ممن سرقه او نقله في غزوة على ارض مصر . وهو يقول في كتابته ان ليس في قبره كنوز لا من الذهب ولا من الفضة ؛ وقد صدق . فان قبره ، على كونه لم يُسرق ، كان خالياً من كلّ أثر للمال . فهو متقن الصنعة ولكنه فقير المظهر ، ولا سيما اذا قسناه بقبور ملوك بيبلوس في القرن التاسع عشر والثامن عشر ق . م . ولعلّ عادة دفن كنوز الملك في قبره كانت قد حالت في عصر تبنيت .

ناووس اشمونعزر

واذا ما ذكرنا ناووس تبنيت ، فلا يمكن ان نضرب صفحاً عن ناووس آخر يشبهه كل الشبه ، وقد وُجد في صيدا كذلك في منتصف القرن الفائت ،

ونال شهرة بعيدة في عالم الآثار القديمة ، الا وهو ناووس ابن تبنيت ، الملك اشمونعزر .

هذا الناووس اكبر من الاول قليلاً ؛ الّا انه من المادّة نفسها والشكل نفسه . وان اختلف عن ناووس تبنيت فانه يختلف بظهر غطائه . فقد محا اشمونعزر الكتابة الهيروغليفية المصرية كلّها وابدلها بكتابة فنيقية طويلة نورد ترجمتها في ما يلي :

في شهر بول ، في السنة الرابعة عشرة من ملك الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ابن الملك تبنيت ، ملك الصيدونيين ، اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، تكلّم قائلاً : « لقد أُخذت

قبل الاوان ، وانا ابن ايام قليلة ، يتيم ، ابن ارملة . وها اني استريح في هذا التابوت وفي هذا القبر

في المكان الذي بنيته لنفسي . واني اناشد كل امير وكل رجل الّا يفتحوا هذا المدفن وان

لا يفتشوا عن الكنوز ، فليس هنا كنوز ، وان لا يرفعوا التابوت عن مدفني ، وان لا يبنوا فوق هذا المدفن قبراً لمدفن آخر . واذا اثار الناس عليك بذلك فلا تصغ لاقوالهم . فان كلّ امير

وكل رجل يفتح قبو هذا المدفن ، او يرفع التابوت من مدفني ، او يبني فوق هذا المدفن ، فلا يكن لهم مدفن لدى الرفاييم ، ولا يُدفنوا في قبر ، ولا يكن لهم ابناء ولا ذرّية بعدهم ، ويسلّمهم الآلهة القديسون الى ملك قوي يتسلّط عليهم ، فتُستأصل شأفة

اي كان من الملوك او غيرهم من الناس الذين يفتحون قبو هذا المدفن او يأخذون هذا الناووس ، وذرّية هذا الامير او هؤلاء الرجال . فلا يكن لهم جذر من اسفل ، ولا

ثمر من اعلى ، ولا شرف بين الاحياء تحت الشمس . لانني انا البريء قد أُخذت من قبل الاوان ، وانا ابن

ايام قليلة ، يتيم ، ابن ارملة . لأنني انا اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، ابن الملك تبنيت ، ملك الصيدونيين ، حفيد الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، وامي امشترت

كاهنة عشترت سيّدتنا ؛ الملكة ، ابنة الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين بنينا هياكل الالهة : هيكل عشترت في صيدون ، المدينة البحرية ، واقمنا فيه عشترت باحتفال ؛ ونحن

الذين بنينا هيكل اشمون ، والحرج المقدس في يدلل في الجبل ، واقمناه فيه باحتفال ؛ ونحن الذين بنينا هياكل

لآلهة صيدون في صيدون المدينة البحرية : هيكل بعل صيدون ، وهيكل عشترت في بعل . وقد اعطانا ملك الملوك

دور ويوفه ، اراضي الحنطة ، اراض ممتازة في سهل سَمْرون ، وذلك مقابلة للمآثر التي تمت بها ، وقد
زادها الى حدود البلاد لتكون ملك الصيدونيين دائماً . واني اناشد كل امير وكل رجل الّا يفتحوا قبوي
والّا يفرغوا قبوي ، والّا يبنوا فوق هذا المدفن ، والّا يأخذوا تابوت مدفني ؛ وذلك خوفاً من ان يسلمهم
الآلهة القديسون ، والّا يستأصلوا هؤلاء الامراء وهؤلاء الرجال وذرّياتهم الى الابد .»

عصر هؤلاء الملوك

اننا نعرف بفضل هذه الكتابة اسماء ثلاثة من ملوك صيدون : اشمونعزر الاول ، وتبنيت ، واشمونعزر الثاني . وهناك اسم اميرة تولّت الوصاية ، وهي ملقبة بملكة ، وقد عاشت على الارجح بعد وفاة ابنها اشمونعزر الثاني . هذه الملكة او الوصيّة هي امعشترت ابنة اشمونعزر الاول وامرأة اخيها تبنيت ، اذ هي ام اشمونعزر الثاني ابن تبنيت . ولا غرابة في هذه الطريقة في زواج الاخ باخته فانها كانت جارية اذ ذاك ، ولنا عليها في التاريخ المصري القديم شواهد عدّة .

والكتابة المذكورة تشير الى بناء هيكل للاله اشمون في بدلل . وقد اكتشفت آثار هذا الهيكل قرب الجسر على طريق صيدا القديمة في مكان اسمه « بستان الشيخ » . فاذا هو يشتمل على ساحة فسيحة تتصل بالجبل ، وتقوم من جهة الوادي على جدران قويّة . ويحدّها من جهة الجنوب حائط مرتفع .

وقد رمّم الجدار الذي تستند اليه هذه الساحة وقوّاه احد ملوك صيدون المدعو بدعشترت القائل عن نفسه انه حفيد اشمونعزر الاول ؛ كما تفيدنا الرقم المكتشفة على هذا الجدار والمحفوظ بعضها في متحف بيروت . وتفيدنا هذه الرقم ايضاً اسم ولي العهد اذ ذاك وهو يتنملك .

واذاً فان لدينا اسرة من ملوك صيدون تتألف من الاربعة ملوك ، وملكة ، ووليّ عهد قد يكون ملك في ما بعد .

الّا اننا لا نعرف شيئاً عن موت الملك اشمونعزر الاول . اما خليفته تبنيت

فقد مات طاعناً في السن. فخلفه ابنه اشمونعزر الثاني مدة اربعة عشر عاماً. ثم مات في شبابه فخلفه بدعشترت، وملك لا اقل من اربعة عشر عاماً، لأن لدينا رقيماً مؤرخاً من السنة الرابعة عشرة لملكه. وقد يُنشر قريباً. وعليه فيمكننا ان نجعل لهذه الأسرة نحو نصف قرن من الحكم، لأن ملكين من افرادها، احدهما مات في شبابه، حكما مدة ٢٨ عاماً على الاقل.

بقي علينا ان نفتش عن زمن نضع فيه هذا الحكم، وهو حكم يدلّ على عهد ازدهار سياسي بما يظهر فيه من البناء واتساع الحدود.

لقد رأى بعض العلماء ان يعيّنوا حكم هذا الاسرة بعد فتوح الاسكندر. على اننا نرى ترك هذه النظرية، على فضل القائمين بها وشهرتهم وفيهم مثل الاستاذ كليرمون — غانو. وحجتهم ان لقب «سيّد الملوك»: ادون ملكيم الوارد في كتابة اشمونعزر، لُقّب به بعض ملوك البطالسة. على ان هذا اللقب ليس فيه ما يختصّ بعصر دون غيره. فان «سيّد الملوك» يمكن اطلاقه على كل ملك عظيم يكون تحت حكمه عدة ملوك. ولا يخفى ان ملك الفرس يسمي نفسه «ملك الملوك» وكذلك سلطان الترك حتى العهد المتأخر كما يظهر في نشيد محمد الخامس العثماني.

وفضلاً عن ذلك فليس من المعقول ان مدافن متأخرة عن عصر الاسكندر لا يظهر فيها الطراز اليوناني الذي كان ممتد الاثر في صيدون منذ القرن الخامس، فلا يبدو شيء من ذلك لا في انث المدفن ولا في الطقس المدفني.

ثم ان لدينا اليوم دلائل رقمية تصرفنا عن قبول هذه النظرية. وهي ان خطّ اشمونعزر اقدم من الرقم الفنيقية الراقية الى القرن الرابع والموجودة على قطع النقود وعلى ناووس بتنمم المكتشف في بيبلوس.

هذا وان ناووسي تبنيت واشمونعزر لا يمكن ان يكونا من القرن الرابع لأننا نعرف اسماء ملوك صيدون منذ السنة ٣٧٢ حتى فتوح الاسكندر.

ولا يمكن كذلك ان يكونا من عهد السنة ٣٨٠، وهي السنة التي جرت فيها معركة سلامينوس؛ لأن هيرودوتس المؤرخ يذكر اسم ملك صيدون الذي حضر المعركة الى جنب احشورش ملك الفرس، وهو تترامنيستوس ابن أنيزوس.

فان لم يكن اخطأ هيرودوتس ، وهو معاصر تقريباً لتلك الحوادث ، في اسم ترامنيستوس ، فلا يبقى لنا لتعيين زمن حكم هذه الأسرة الّا عصران هما : النصف الثاني من القرن الخامس واوائل الرابع ، او النصف الثاني من القرن السادس .

بيد ان هناك بعض العقبات تعترض وضع هذه الاسرة في القرن الخامس . اولاها خلوّ هذه الآثار من ايّ تأثير يوناني ، على رغم الاتصال الوثيق الذي كان ، تلك المدة ، بين فنيقية وبلاد اليونان . وثانيتها انه وجد في صيدا نواويس مصنوعة اغطيتها على شكل بشري ترقى الى القرن الخامس متأثرة كثيراً بالفن اليوناني .

وهذه النواويس تؤلف القسم الاكبر من مجموعة فورد المعروضة الان في المتحف الجديد . ولذلك فقد تكون اسرة اشمونعزر ، على الاغلب ، من اواخر القرن السادس ومطلع القرن الخامس ق. م.

بغداد عاصمة الادب العباسي

تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين *

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

تقدّم لنا كلام واسع في تأسيس بغداد وازدهـارها ، وما تقلّب عليها من الحوادث [1] . فبقي ان ندرس بشيء من التفصيل احوال تلك الشعوب المتنوّعة التي كانت تعيش في بغداد ، فتتنازع وتتطاحن في سبيل الحياة ، ولكل منها طريقه الخاصّ ، فيكمل لنا درس البيئة الجغرافي.

لقـد كان في بغداد العرب ارباب الخلافة ، والدين ، والوزارة احياناً .

والفرس اصحاب الوزارة والادارة ، والجيش ، والولايات ، ورجال الحساب والتنجيم ، والعلوم والصناعات على اختلاف انواعها.

ثم التُرك ضبّاط العساكر ، ومادّة الحروب.

وهناك الاراميون نَقلة العلوم ، واساتذة المنطق والفلسفة والطب.

---

*) مادة المحاضرتين الثالثة والرابعة من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « الفلسفة والآداب السامية ».

1) اطلب الجزء الاول من «مشرق» هذه السنة ص ٦٥ –١٠٩ ، وقـد نشرنا في آخر البحث جدولاً بالمآخذ من عربية واجنبية . ولما كانت هي نفسها تمدّنا ايضاً في بحثنا الحاضر ، لم نرَ من حاجة الى اعادة ذكرها في هـذا المقال . اما ما نستند اليه من المآخذ الجديدة ، فنذكره في الحواشي .

والهنود اصحاب الطبّ ايضاً ، والحساب والتنجيم .

واليهود قادة المتاجر ، وارباب بيوت الصرف .

والسنديون للصناعات المتنوّعة .

والزنج للخدمة والملاهي .

والزُطّ للسؤال والتلصّص .

وهناك الجواري ، من جميع هذه العناصر الاجنبية عن العرب ، المتغلغلات في التأثير حتى الى بلاط الخليفة .

هـذا من حيث الاجناس . اما الاديان في بغداد فلم تكن اقلّ تنوّعاً واختلافاً . فهناك المسلم السنّي ، والشيعي ، والنصراني اليعقوبي ، والنسطوري ، والملكاني ، ومكرّم الايقونات ومحاربها ، واليهودي ، والصابي ، والمجوسي ، والبوذي ، والزنديق . هـذا عدا تباع البدع الناشئة عن التفلسف في الاديان كالمعتزلة والمشبهة وما الى ذلك مما يطول تعداده .

كل هذه العناصر كانت تتعايش في بغداد ، فتتعاون وتتنافس ، وتتصارع وتتطاحن ، وتتزاوج . فينشأ عن كل ذلك امتزاج بل امتزاجات متنوّعة تصبغ هـذه الثقافة المتّسمة المظاهر التي ندعوها بالثقافة العباسية والتي لا يهمنا منها ، هذه السنة ، الّا مظهر واحد ، هو الادب العباسي .

على انه لا يُتاح لنا درس صفات هذا الادب الّا اذا شاهدنا عن قرب تفاعل العناصر المتنوّعة في تلك البوتقة الهائلة ، بغداد .

العرب

جاء في سفر التكوين (١٦ : ١٢) في وصف اسماعيل جدّ العرب : « ويكون رجلاً وحشياً يده على الكل ويد الكل عليه ، وامام جميع اخوته ينصب مضربه » . هكذا كان اسماعيل . وهكذا ظلّ حفيده العربي في عزلته وانفراده [1] . لا يرتفع فوق فكرة الفرد والبيت . واذا سما الى مدلول اجتماعي

---

١) اطلب بحثاً دقيقاً في الموضوع للاب لامنس : نفسية البدو قبل الاسلام في «المشرق» ٣٠ [١٩٣٢] ١٠١ – ١١١) .

فانه يصل الى فكرة القبيلة . اما ما فوق ذلك من معنى الامة او الوطن فعبثاً نفتش عنه في عقلية البدو. وما ذنبهم ؟ وهم لم يعرفوا الاستقرار ولا شعروا بالاطمئنان الى ارض ثابتة !

حتى ان الإسلام الذي وحّد صفوفهم ، في اول عهده ، اذ دفعهم الى الخروج من جزيرتهم، لم يقوَ الّا قليلًا على توحيد نزعاتهم القبيلية اذ لم يقوَ الّا قليلًا على تغيير طبيعة بلادهم ؛ وذلك بفضل ما بذله معاوية الكبير وبعض خلفائه من العمل الدائب على تحضير الحجاز وتوطين البدو. فكانت تلك الدولة العربية حقًّا بكل ما فيها من دين وعلم وسياسة وادب.

على ان طبيعة البدو كانت تنفر من الاقامة في المدن والقرى . فلا تبدو لهم فرصة الّا اغتنموها للعود الى صحرائهم الفسيحة ، يهيمون فيها شأنهم منذ عهد اسماعيل ، وشأنهم في ايامنا ، وشأنهم الى ما شاء الله . فكانوا يرجعون منحدرين من فكرة الشعب والوطن الى فكرة الفرد والقبيلة.

وقد عزّز هذه الحركة انتقال الخلافة الى العباسيين ، فولّى هؤلاء وجوههم شطر فارس ، وأهملوا الحجاز اهمالًا تامًّا ، الّا في موسم الحجّ ، حتى بارت تلك الواحات المزدهرة على عهد الامويين ، واضمحلّ بعضها من الوجود تمامًا كقرية « فَدَك » التي لا نرى لها ذكرًا بعد عصر بني امية . وانصرف الخلفاء الجدد الى تولية الفُرس ، على الغالب ، بعد ان كان الامويون يحتقرون الموالي.

فلم يبقَ للعرب الّا التفاخر بعزّهم الماضي ، في صدر الإسلام او قبله ، فعادوا الى شِنْشِنَتِهم الازلية من التعصّب كلّ لقبيلته في القول والعمل، حتى كان الولاة منهم — وقد اصبحوا اقلية في عصر بني العبّاس — لا يبالون المزاحمة الفارسية ، ولا يكادون يفتكرون ، اذا ما نالوا الولاية ، الّا بالتنكيل باعداء قبيلتهم من العرب . فنرى معن بن زائدة ، اذا تولّى اليمن ، في اوائل العصر العباسي ، ينكّل باهلها تعصّبًا لقومه من نزار . فيثأر منه عُقبة بن سالم ، والي عمان والبحرين ، فينكّل بالقيسيين تعصّبًا لقومه من قحطان [1].

---

[1] المسعودي : مروج الذهب (طبعة Barbier de Meynard) ٦ : ٤٥-٤٦ .

وهناك الشعراء واي قبيلة سلمت من هجائهم !

بل ان هذه النزعة القبلية الفردية تجاوزت مظاهر الاجتماع الى الصلاة والعبادة ، وشملت جميع العرب من كبيرهم الى اديبهم الى سوقتهم على السواء . فقد روى المبرّد عن «شيخ من الأزد ثقة ، عن رجل منهم ، ان كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه . فقيل له : ألا تدعو لأمك ؟ فقال : إنها تميمية »[١].

هـذا وكل ما يمكن ان نعدده من الأمثلة ضئيل في تمثيل هذه العصبية الداخلية التي كانت تقسم العرب قبيلةً على قبيلة وناحية عـلى ناحية . وكان اشدّهـا ذاك النزاع بين الشمال والجنوب ، بين النزارية والقحطانية ، حتى ان اهل اليمن لم يغفروا لله — على قول الجاحظ — انه ارسل نبيّهم من مضر .

على ان بعض العقلاء جرّبوا ان يجمعوا بـين هذه النزعات العربية لمقاومة الاعاجم فقالوا :

« العرب كلهم شيء واحد لان الدار والجزيرة واحدة ، والاخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق في الاخلاق وفي الاعراق من جهـة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم في ذلك شيء واحـد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل والمراعي والراية والصناعة والشهوة . فاذا بعث الله عز وجلّ نبيًا من العرب فقد بعثه الى جميع العرب وكلهم قومـه ، ولانهم جميعا يد على العجم . . . »[٢]

وقد كان يجمع بينهم الفخر بصفة العرب والتشامخ عـلى من سواهم من الشعوب وان كانوا مسلمين . يظهر ذلـك باحتقارهم للموالي من فرس وقبط وروم . حتى اصبح من العقائد ، على عهد الامويين ، ان « لا يصلح القضاء الا لعربي » ، فضلًا عن الخلافة والإمامة وما الى ذلك من المراتب والمراكز .

وعندما اخذ بنو العباس في تولية الموالي ، جارين على عكس سياسة

---

١) المبرّد : الكامل (طبعة مصر) ١ : ١٠٨ .

٢) الجاحظ : البيان والتبيين (طبعة السندوبي) ٣ : ١٦٩ .

الامويين، كانوا ابعد من ان يمحوا هذا الشعور بسمو العنصر العربي. بل انهم عملوا على تعزيزه في صدور العرب اذ جرحوهم بتنحيتهم عن مراتب الدولة، كما جرحوهم بابادة معالم تلك الدولة العربية القحة، بفظاعتهم الماثلة في تنكيلهم بالامويين تنكيلًا شديدًا تجاوز الاحياء الى الموتى.

فقد روى عمرو بن هاني الطائي قال: «خرجت مع عبدالله بن علي — وهو عم السفاح والمنصور — لنبش قبور بني أمية في ايام ابي العباس السفاح. فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحاً لم يسقط منه الا خورمة انفه. فضربه عبدالله ثمانين سوطاً ثم احرقه. واستخرجنا سليمان من ارض دابق فلم نجد منه شيئاً الا صلبه واضلاعه وراسه، فاحرقناه. وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية. وكانت قبورهم بقنسرين. ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلًا ولا كثيرًا. واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون راسه. ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظماً واحداً... ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم.»[1]

فاصبح العرب الخُلّص وقد نمت في صدورهم عاطفة سمو العنصر الى عاطفة الشعور بالظلم اللاحق بهذا العنصر، بسبب الموالي عامة والفرس خاصة، يبغضون كل من ينتمي الى غير العرب حتى وان كان ابوه عربياً، بل نقول: وخصوصاً من كان ابوه عربياً، وأمه مولاة. كما كانت الحال في اكثر خلفاء بني العباس، وهم يسمون هذا الوليد «هجيناً». والهجين في الاصل غير العتيق من الخيل بان يكون ابوه جواداً عربياً وامه برذونة، ثم اللئيم. قال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان فصيحاً مفوّهاً: «أيسرك ان تكون هجيناً ولك الف جريب؟» قال: «لا احب اللؤم بشيء.» قلت: «فان امير المؤمنين ابن امة.» قال: «اخزى الله من اطاعه.» وانشد الرياشي:

ان اولاد السراري كثروا، يا رب، فينا
رب، أدخلني بلاداً لا ارى فيها هجينا

(١) المسعودي: الكتاب المذكور ٥: ٤٧١-٤٧٢

ولكن كان من العسير على الرياشي ان يدخل في العراق ، بلدة لا يرى فيها هجيناً . لان هؤلاء كانوا قد كثروا كثرةً عجيبة ، ولا سيا في بغداد ، لما كان من اقبال العرب على الزواج من العجميات ، وعلى شراء الجواري . يقولون بترفعهم على سائر الشعوب ويعلنون كرههم للموالي ، ولا يملكون انفسهم عن الزواج ببناتهم ، ولا يملكون شهوتهم عن شراء الجواري . وذلك لانهم كانوا يرون في اولئك النساء جمالًا لا يرونه في العرب . بل انهم كانوا يرون اولئك النساء، ولا يرون نساء العرب، بفضل الحجاب . وهو ما اشار اليه الجاحظ ، اذ اراد ان يعلّل تلك الظاهرة الاجتماعية التي جعلت العرب يرغبون في الاماء عن العربيات ، فقال : « ان الرجل قبل ان يملك الامة قد (تأملها) . . . والحرة انما يُستشار في جمالها النساء ، والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهنّ قليلًا ولا كثيرًا والرجال بالنساء ابصر . . . وقد تُحسن المرأة ان تقول : كأنّ انفها السيف ، وكأن عينها عين غزال ، وكأن عنقها ابريق فضة . . . وهناك اسباب أُخر بها يكون الحب والبغض ! »

يبدو من كل هذا ان الجيل الذي نشأ عن هذا الامتزاج كان اقرب الى العصبيّة الاجنبية منه الى العرب ، اي انه كان يميل الى اخواله بدل ان يتعصّب لاعمامه . وذلك انه رأى من العرب احتقاراً هو غير جدير به اذ كان احدّ ذكاء واحكم للامور على اختلاف انواعها ، لفضل ما فيه من تنوّع الدم وتجدّد العناصر . والتاريخ شاهد على صحة هذا الرأي . فلنأخذ اشهر خلفاء بني العباس ولنفتّش عن امهاتهم . اليس افضلهم حزماً وادارةً وعلماً المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل . فالمنصور امه بربرية اسمها سلامة ؛ والرشيد امه رومية من خرشنة على الفرات اسمها الخيزران ؛ والمأمون امه فارسية من خراسان اسمها مراجل ؛ والمعتصم والواثق والمتوكل ابناء اماء ثلاث اسم الاولى ماردة ، والثانية قراطيس ، والثالثة شجاع . بل لنقابل بين المأمون والامين وهما ابنا رجل واحد الّا ان ام الاول امة فارسية ، وام الثاني سيدة عربية هي زبيدة .

وكان من الطبيعي ان هؤلاء الهجناء ، ابناء الإماء ، اذ يرون انفسهم

موضع الاحتقار تجاه العرب الخُلّص ، يعملون مع سائر الشعوب على الحطّ من شأن العرب ، فتقوى تلك الحركة التي بدأت على عهد بني اميّة وظلّت تعمل في الخفاء حتى وجدت لها المجال واسعاً في عهد العباسيين فظهرت كاعظم ما يكون قوةً واندفاعاً وكأشد ما يكون وطأة على العرب ، وهي الحركة الشعوبية المنسوبة الى الشعوب ، والمستندة خاصّة الى الفرس.

الفرس

الفرس قوم ذوو مدنية عريقة ، وملك قديم ، وعصبية وطنيـة قومية لم تكن لاهل البادية . فكانوا من هذه الناحية لا يخافون التفرق والتشعُّب ولا يخشون قتل النزعة القومية بالنزعات الفردية ، كما رأينا في الكلام على العرب.

ثم كان ان غُزي الفرس في عقر دارهم ، وغُلبوا عـلى امرهم في بلادهم لاسباب لا يتسع المجال لذكرها. غلبتهم هذه الشراذم المحتقَرة في نظرهم. فدخلوا الاسلام ظانّين ان الدين الجديد يضمن لهم المساواة عـلى الاقل ، وهو المعلِّم التسوية في كثير من الآيات القرآنية . على انهم لم يلبثوا ان شعروا بان عقلية البدو كانت اقوى من دينهم . وكان ما كان من احتقار العرب لهم مما ذكرنا شيئاً منـه ، في ما تقدّم . وكانوا يزدادون تأثراً وانفعالاً اذ يقابلون بين آدابهم ومدنيتهم وتاريخهم ومجمل ثقافتهم ، ونصيب العرب من ذلك كلّه . ويهمّون بالثورة فيجدون اليد الاموية ثقيلة الوطأة عليهم وعـلى جميع الشعوب امثالهم . فينقلبون الى الحركة الصامتة المنتظرة اولى الفرص للوثوب والخروج: حتى اذا تسنّت قـاموا بالحركة العبّاسية وهي في مرمـاها النهائي شعوبية بل فارسية.

الشعوبية

ويجدر بنا هنا ان نقول ان الشعوبية كانت في اول امرها لا ترمي الى ابعد من المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب الاسلاميـة ، فتطالب بالحقوق التي خوّلها اياها القرآن ، ليس غير . بيد انها تجاه التصلّب العربي والشموخ البدوي ،

دُفعت الى ان تبادل الاحتقار بالمثل بل تزيد ، وهي سنة طبيعية ، فالضغط يولّد الانفجار ، وبالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم ويُزاد .

وسهّل العباسيون بسياستهم مجال العمل للفرس ، فاندفعوا لا يقفون عند حدّ في « تفريس » الخلافة ، اذا صحّ لنا هذا التعبير . فلم يكن العرب ليقفوا مكتوفين او ليندحروا مخذولين . فنشأ العراك الشديد بين عنصري المملكة المهمّين . وهو عراك لا نجازف اذا قلنا انه اقوى عراك داخلي عرفته الدولة الاسلامية ، واقوى عراك ثقافي عرفته الآداب العربية : هو عراك في السياسة ، والدين ، واللغة ، والادب ، والعلم ، والاخلاق .

عراك في السياسة بين الملك الاعجمي والخلافة العربية .

وعراك في الدين اولًا بين المجوسية والاسلام ، ثم عراك في الفقه والتفسير ، بعد ان اطمأن الفرس الى الاسلام ، بين الاخذ بالرأي والقياس والاخذ بالتقليد عن السلف الصالح .

وعراك في اللغة بين الفارسية والعربية .

وعراك في الادب بين الشعر الجاهلي ، او الادب العربي المحض ، والشعر المولّد او الطريقة المستحدثة بتأثير الفرس .

وعراك في العلم بين التقليد العربي المتناقل ، الذي ان لم يفد كثيرًا فانه لا يضرّ ، والعلم الاجنبي المنقول عن المدنيات القديمة مما لم يكن للعرب به عهد .

وعراك في الاخلاق بين تلك الشهوة البدوية الساذجة واللذة المنهومة نهمًا التي كثيرًا ما تمتزج بحسن القصد وصدق السريرة ، وهذه اللذة الفارسية الفنّية الموطّأ لها بالاستعداد ، الآخذة بطرق المدنية على اختلاف مظاهرها .

وقد يفيدنا قبل ان نذكر نتيجة هذا العراك ان نطّلع ، وان سطحيًا ، على اسلحة المتعاركين فنقدرها ونقدر نتيجة المعركة [1] :

---

(1) من المصادر الاساسية لهذا البحث اقوال الجاحظ في البيان والتبيين ، والحيوان ، والرسائل ، وروايات ابن قتيبة في كتاب العرب وعلومها ، وابن عبد ربه في العقد ، والاصبهاني في الاغاني ، واشعار الكثيرين من الشعراء العباسيين . وقد استغلّ كل هذه الشواهد احمد امين في فصل ممتع من « ضحى الاسلام » (ص ٤٩-٧٩) رجعنا اليه فاستفدنا منه . — ومن المفيد

اسلحة العرب

كان العرب يحاربون واسلحتهم الآتية :

١ ــ انهم افضل الناس ، لأن النبي منهم ، وهم الذين هــدوا الشعوب الى الحق.

٢ ــ انهم اكرم الناس اخلاقاً ، ينحرون الضيف، ويحافظون على انسابهم.

٣ ــ انهم اشد الناس انفة من العــار وبعداً عن الاستعباد لأنهم لم يخضعوا لاحد قبل الاسلام ، بل انهم اخضعوا الناس بعده.

٤ ــ انهم اشعر الناس ، بل ان الشعر وُلد فيهم فلم يتجاوزهم الى غيرهم.

اسلحة الفرس

اما اسلحة الفرس خاصة ، والشعوبية عامة ، فهذه هي. وفي كلها ردّ لمزاعم العرب :

١ ــ ان يكن النبي من العرب فاكثر الانبياء كانوا من غيرهم . ولا يجوز فخر العرب بالاسلام ؛ لان الاسلام ، في زعم العرب انفسهم ، غير مقصور على العرب.

٢ ــ اما كرم الاخلاق فاين هو ؟ وليس مجالًا للفخر ان يضيف البدوي نزيله في تلك الصحراء ، وكل بدويّ عرضة لان يصبح ضيفاً يوماً ما . ثم انها لمكرمة صغيرة ، ان كانت مكرمــة ، لا تستحق ان يطبّل بها الشعراء ويتيهون بذلك فخرًا . اما الحرص على الانساب فهو من نوع التضليل ، واي انساب لهم ؟ وقد كانوا في جاهليتهم لا يتقيّدون بنوع الزواج المعروف.

٣ ــ اما عدم خضوعهم لسلطان الروم والفرس في جزيرتهم فلا ينتج من شجاعتهم ولا من انفتهم . انما ذلك لان الروم والفرس لم يروا مــا يصلح في جزيرة العرب لان يسيروا اليها ، وهم لو ارادوا لمــا وقف البدو في وجوههم . ثم ان الفوضى لا تصلح مادة للفخر، فاذا شاؤوا فليفتخروا بتلك كملك القراءة

كذلك ان يُراجع فصل مكدونالد في « الشعوبية » واستنادها الى النزعات القومية :
D. B. Macdonald, *Shuʿūbiya* [Encyclop. de l'Islām V, 410]

والعمالقة والقياصرة والاكاسرة.

٤ — وهنا يفيض الفرس في تبيان مزاياهم من الحضارة والادب والتاريخ...

٥ — اما الشعر فلم ينفرد به العرب، فللفرس، ولليونان، وللروم شعر وخطب وبيان ساحر. فضلًا عن ان ذاك الشعر الجاهلي اصبح مما يكرهه العصر والمدنية.

هذه بالاختصار اهم اسلحة المتعاركين.

ثم ساروا يتقارعون، وهم في صراعهم يستخدمون كل شيء من القرآن، الى الحديث، الى الشعر:

يستغلون القرآن. فيقول العرب انما عنانا، اذ قال: «كنتم خيرَ امةٍ أُخرجت للناس»...[1]

فيقول الفرس وقد قال: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»[2]... وانما معنى الشعوب: بطون العجم، والقبائل: قبائل العرب، والمقدّم افضل من المؤخر.

ثم يستغلون الحديث فيضع العرب على النبي احاديث عديدة من امثال:

«من غشَّ العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودّتي.»

«اذا اختلف الناس فالحقُّ في مضر.»

«احبوا العرب لثلاث: لاني عربي، والقرآن عربي، ولسان اهل الجنة في الجنة عربي.»

فيضع الفرس احاديث وروايات تقاومها من مثل:

«لا تسبّوا فارساً، فما سبَّه احد الّا انتقم منه عاجلًا او آجلًا.»

«قد ذكرت الاعاجم عند الرسول فقال: «لأنا بهم اوثقُ مني بكم!»

و«رأى النبي كأنه رَدِفَه غنمٌ سود، فردِفته غنمٌ بيض حتى ما يرى السود فيها لكثرتها. فاخبر النبي بذلك ابا بكر، فقال: «السود العرب ويسلمون، والبيض العجم يسلمون بعدهم حتى ما يرى فيهم العرب لكثرتهم

١) ٣ [آل عمران] ١٠٦

٢) ٤٩ [الحجرات] ١٣

ثم يستغلّون الشعر .

فيجري العرب على طريقتهم من الفخر بانفسهم ويهجون العجم . ومن هذا شيء كثير مشهور نكتفي منه بالقليل، ونتبسّط في سرد اجوبة شعراء الفرس، لانها اقل شهرةً :

فيقول العربي :

اَنا من النفر الذين جيادهم طلعت على عادٍ بريحٍ صَرْصَر
وسلبنَ تاجَي مُلك قيصر بالقنا واجترنَ باب الدرب لابن الاصفر

ويهجون ائمة الفرس ، والبرامكة في مقدّمتهم ، فيقولون :

اذا ذُكر الشرك في مجلسٍ ، انارت وجوه بني بَرْمَكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ ، اتوا بالاحاديث عن مَزْدَك

ويقول رجل من اهل الشام يقابل بين البرامكة والامويين :

ابعد مروان وبعد مَسْلَمه وبعد اسحق الذي كان لِمَه
صار على الثغر فرنجُ الرَّخمه ، ان لنا بفعل يحيى نقمه
مهلكةٌ مبيرةٌ منتقمه ، اكل بني برمكَ اكل الحُطمه
ان هذا الاكل يوماً تخمه أيسر شيء فيه حزُّ الغلصمه

فيجيبهم شعراء الفرس قائلين :

فلستُ بتاركٍ ايوان كسرى لتوضحَ ، او لحومَلَ ، فالدخول
وضبٍّ في الفلا ساعٍ ، وذئبٍ بها يعوي ، وليثٍ وسط غيلِ

ويقول الخُرَيمي مقابلًا الفخر بالعرب بالفخر بالفرس :

ونادبت من مروٍ وبلخٍ فوارساً لهم حسبٌ في الاكرمين حسيبُ
وان ابي ساسان كسرى بن هرمزٍ ، وخاقانُ لي ، لو تعلمين ، نسيبُ
ملكنا رقاب الناس في الشرك، كلّهم لنا تابعٌ طوع القياد جنيبُ
نسومكم خسفاً ، ونقضي عليكم بما شاء منّا مخطئٌ ومصيبُ

ويقول بشّار :

من خراسان ، وبيتي في الذرى ؛ ولدى المسعاة ، فرعي قد سبق

وله ايضاً :

واني لمن قوم خُراسانُ دارُهم كرامٍ ، وفرعي فيهم ناضرٌ بسقُ

ويقول المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه :

... ولولاكم الملك آباؤنا فما ان وفيتم بشكر النعم
فعودوا الى ارضكم بالحجاز ، لاكل الضباب ، ورعي الغنم
فاني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم

وكثيرًا ما كان يتجاوز هذا الى التهكم باساليب شعراء العرب انفسهم في الفخر، كما قال مخلد الموصلي يتهكم على من كان كثير الافتخار بعربيته:

انت عندي عربيٌّ ليس في ذاك كلام !
عربيٌّ ، عربيٌّ ، عربي ، والسلام .
شَعرُ اجفانك قيصومٌ ، وشيحٌ ، وثُمام .

وهذا ، وقد قال له احد شعراء العرب: ما للموالي والشعر ؟ فقال :

احين كُسيتَ ، بعد العُري ، خزًّا ، ونادمت الكرامَ على العُقارِ ؟
تفاخر ، يا ابن راعية وراعٍ ، بني الاحرار ؟ حسبُك من خسارِ !
تريغ بخطبةٍ كسرَ الموالي وُينسيك المكارمَ صيدُ فارِ
وكنتَ ، اذا ظمئت الى قراحٍ ، شركتَ الكلب في ولغ الإطارِ
وتندو للتنافذ تدّريها ، ولم تغفل لدُرّاج الديارِ ،
وتتّشحُ الشمال للابسيها ، وترعى الضأن بالبلدِ القفارِ .

وقد ولّد هذا النزاع فنًّا جديدًا في الشعر قائمًا على التهكم بمطالع المتقدمين والدعوة الى اختطاط اسلوب جديد في الشعر العربي ؛ فكان ، من هذه الناحية، حسن الثمرة لذيذ الانتاج . وكان بشّار وابو نواس اشهر الداعين اليه مما نتبسط فيه اذا وُفقنا الى الكلام على الادب . وقد يمكننا مذ الآن ان نشير الى شيء من هذه الابيات التي تمثل ، بازاء النزعة الادبية الجديدة ، نزعةً عنصرية تمتّ الى الشعوبية بسببٍ قوي ؛ كابيات ابي نُواس :

قل لمن يبكي على رسمٍ درس واقفًا : ما ضرّ لو كان جلس !

عاج الشقي على رسم يسائله ، وعجت اسأل عن خمّارة البلدِ
يبكي على طلل الماضين من اسدٍ ؛ لا درّ درّك ! قل لي : من بنو أسدٍ ؟
ومن تميم ، ومن قيس ، ولفّهما ؟ ليس الاعاريب عند الله من احد !
لا جفّ دمع الذي يبكي على حجرٍ ، ولا صفا قلب من يصبو الى وتدِ !

اعدل عن الطلل المحيل ، وعن هوى نعت الديار ، ووصف قدح الأزنُد

ودع العُريبَ ، وخلّها في بؤسها لمحارفِ إلفِ الشقاء مُزَنّد

وقد استغلَّ المتعاركون ايضاً طرق التأليف فكثرت الكتب من جهة في مناقب العرب وفضائلها ، ومن جهة في مثالب العرب ومناقب الفرس. وكان من ممثلي الحزب الاول الاصمعي ، والثاني ابو عبيدة . الا ان اكثر الكتب من الفئة الثانية لم تصل الينا لأن المسلمين ، بعد هذا العصر ، رأوا في الدعوة الشعوبية خروجاً على الاسلام ، فاتلفوها .

موقف الخلفاء

وقد يتساءل الباحث عن موقف الخلفاء من كل هذا ، فنقول انه يكفينا ذكر بعض شواهد تجيب عن هذا السؤال افصح جواب :

قال السيوطي ان المنصور « اول من استعمل مواليه على الاعمال وقدّمهم على العرب. وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها . »[١]

وقال الطبري: « كان للمنصور خادم اصفر الى الأدمة ، ماهر لا بأس به. فقال المنصور يوماً : ما جنسك ؟ قال: عربي ، يا امير المؤمنين . قال : ومن اي العرب انت ؟ قال من خولان سُبيت من اليمن فاخذني عدوٌ لنا . . . فاسترقّني فصرت الى بعض بني امية ثم صرت اليك. قال : أما انك نعم الغلام. ولكن لا يدخل قصري عربي يخدم حرمي. اخرج، عافاك الله ، فاذهب حيث شئت. »[٢]

وتأثير البرامكة مشهور على عهد الرشيد . وكذلك تأثير الفرس على عهد المأمون ، ومن بعده حتى المتوكل الذي قدّم الترك ، فقضوا على النفوذ الفارسي والعربي معاً. ولم يكن يتراجع كبار رجال الدولة من الفرس عن التبجح بتسلطهم على الدولة باجمعها ، ومنهم على الخلفاء . بنصرهم اياهم . فكان الخراسانيون يقولون : « نحن اهل هذه الدولة ، واصحاب هذه الدعوة ، ومنبت هذه الشجرة ، ومن عندنا هبّت هذه الريح. والانصار انصاران: الأوس والخزرج نصروا النبي في اول الزمان . واهل خُراسان نصروا ورثته في آخر الزمان. »[٣]

---

١) تاريخ الخلفاء (طبعة مصر) ، ١٠٥

٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (طبعة de Goeje) ٣ : ٤٢٩

٣) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٨

وكان الابناء يقولون : « ولنا بغداد بأسرها تسكن ما سكنّا ، وتحرّك ما تحرّكنا . والدنيا كلها معلّقة بها وصائرة الى معناها . . . » [١]

من الحق ان النزعة العربية كان لها تقدّم وانتصار بعض الاحيان، كما حصل اذ قتل المنصور ابا مسلم ، واذ اوقع الرشيد بالبرامكة ، واذ خلع الامين بيعة المأمون . . . انما هو انتصار موقت ، لا يظهر الا تراجع امام النفوذ الفارسي ، حتى يمكننا ، وقد عرضنا لجميع مظاهر هذا العراك ، ان نستنتج قائلين :

ان يكن الفرس فشلوا في الدين فلم يتمكنوا من وضع المجوسية موضع الاسلام ، فقد وُفّقوا بعض الشيء في اللغة اذ طبّعوها وذلّلوها لهم وتسلّطوا عليها . ووفّقوا في الادب كذلك فحوّلوه وأدخلوا فيه عاداتهم واخلاقهم وعملوا ، بمعاونة باقي العناصر الشعوبية ، على قتل الادب العربي الصميم . بيد انهم وفّقوا كل التوفيق في محيط السياسة والادارة فحوّلوا الخلافة العربية الى مملكة فارسية باكثر مظاهرها . . . حتى امكن الجاحظ ان يقول : « دولة بني العباس اعجمية خُراسانية . » [٢]

الترك

كانوا في اول امرهم خدّاماً عند الخلفاء . اول من اتخذهم ، على قول القلقشندي ، ابو جعفر المنصور، اتخذ حمّاداً التركي . ثم اتخذ المهدي بعده مباركاً التركي . ثم اكثر الخلفاء من الاتراك بعد ذلك . وكان ان المعتصم اراد ان يتخلّص من الرقابة الفارسية فعزّز الترك ، حتى بلغ جنده منهم ٧٠ الفاً ، فخرج بهم عن بغداد الى سامرا [٣] .

وكان هذا الانتقال انتصاراً للترك على الفرس في نظره ، وانتصاراً للترك على الفرس ، وعلى العرب ، وعلى الخليفة نفسه في نظر الحقيقة .

ثم اخذ عددهم يزداد في بطانة الخليفة . ووافتهم ان المتوكل كان يبغض

١) الجاحظ : الكتاب المذكور ، ص١٦

٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ : ٢٠٦

٣) اطلب بحثنا السابق في « مشرق » هذه السنة ، ص٩٤

الفرس ايضاً ، فعزّزهم ليدافعوا عنه . ومن ثم بدأ استبدادهم بالخلفاء ، وهم اجرأ من الفرس واقرب الى اراقة الدم لقربهم من الفطرة، وبعدهم عن الحضارة والرقي . فكان اولى ضحاياهم من الخلفاء المتوكل نفسه، قتلوه سنة ٨٦١، وولوا ابنه المنتصر . فزاد استبدادهم . ومما يروي المؤرخون انه لما تولى المعتز بالله سنة ٨٦٦ قعد خواصه واحضروا المنجّمين وقالوا لهم: « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة ؟ » . وكان في المجلس بعض الظرفاء . فقال: « انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » . فقالوا له: « فكم تقول انه يعيش وكم يملك ؟ » قال : « مهما اراد الاتراك . » فلم يبقَ في المجلس الا من ضحك[1] .

ولم يرد الاتراك ان يعيش الا ثلاث سنوات فقتلوه سنة ٨٦٩ شرَّ قتلة كما ذكر ابن الاثير قائلاً انهم « جرّوه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه، واقاموه في الشمس في الدار . فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحرّ، وبعضهم يلطمه ... ثم ادخلوه سرداباً وجصّصوا عليه فمات . »[2] ويطول بنا الشرح لو شئنا ان نستقصي افاعيلهم بالخلفاء .

وقد كانت سلطتهم المطلقة على الجيش يسيّرونه كيف شاؤوا لانهم كانوا فيه اكثرية . ذكر الجاحظ ان جند الخلافة ، على عهد المتوكل، كان خمسة اقسام: « خراساني، وتركي ، ومولى ، وعربي ، وبنوي » . ثم لم يرضَ الفتح بن خاقان، وزير المتوكل ، ان يميّز بين التركي والخراساني « لانهما اخوان » ، كما قال . وكذلك قال : « ان البنوي خراساني » . واذاً فان اربعة اخماس الجيش ، من حيث تركيب العناصر كانت متحدةً على العرب . اما من حيث العدد فكان اكثرهم الاتراك . وهو ما سوّل للجاحظ ان يقول : « فصاروا للاسلام مادّة ، وجنداً كثيفاً ، وللخلفاء وقايةً ومولئلاً وجُنّةً حصينةً وشعاراً دون الدثار . »[3]

---

١) ابن الطقطقى . الفخري في الآداب السلطانية (طبعة مصر) ص ١٨١

٢) ابن الاثير : الكامل ٧ : ٦٦

٣) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٤٦

وللجاحظ رسالة في « مناقب الترك » ارسلها الى الفتح بن خاقان وعدّد فيها فضائلهم ، وكلها حربية اشهرها صبرهم على احتمال الشدائد من تعب وجوع وعطش ، ومقاساة عراك . ورشاقتهم في الرمي والطعن بالرمح القصير الاجوف، واستعمال الوهق . ومنها انهم يصنعون اسلحتهم بايديهم ويحاربون فرساناً على البراذين لا يركبون غيرها . وهي صورة كذلك على المشاقّ تقنع قناعتهم وتقاسي مقاساتهم ، فلا يكلفون الدولة كثيرًا . فالتركي على حدّ قول الجاحظ ، « هو الراعي ، وهو السائس ، وهو الرائض ، وهو النخّاس ، وهو البيطار ، وهو الفارس . فالتركي الواحد امّة على حدة . »[1]

وله كلمة تدلّ على نفور التركي من النظام الاجتماعي المقرَّر ، وميله الفطري الى الغزو والغارات ، لا بأس بايرادها قال :

« وكذلك الترك اصحاب عمد وسكان فيافٍ وارباب مواشٍ . وهم اعراب العجم ، كما ان هذيلاً اكراد العرب . فحين لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ولا بنيان ولا بثق انهار ولا جباية غلات ؛ ولم تكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان ، وكانت هممهم الى ذلك مصروفة ، وكانت لهذه المعاني والاسباب مسخَّرة ومقصورة عليها وموصولة بها ، احكموا ذلك الامر بأسره واتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذّتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم . فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة ، واهل الصين في الصناعات ، والاعراب في ما عددنا ونزلنا، وكآل ساسان في الملك والسياسة . »[2]

اما العلوم والآداب فكان من الطبيعي ان لا يهتم بها الترك اهتمام الفرس، لانهم كانوا ، على حدة اذهانهم ، قليلي الاضطلاع بالثقافة العقلية ، لم يتعوّدوا الاستقرار والتفكير . ولم نعرف نابغةً منهم يُذكر قبل العصر العباسي الثالث، اي قبل ان يمرّ عليهم في الدولة الجديدة اكثر من مائتي سنة .

---

١) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٢١

٢) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٤٥-٤٦

الآراميون

وبعد الترك ، من حيث الاثر العقلي والثقافي ، كان الآراميون ، نقلة العلوم واساتذة المنطق والطب.

كانوا في تلك البقعة من قبل وصول الاسلام . كما يدل اسم الكرخ ، قبل بناء بغداد ، واسم الشامية السريانيين[1] . والآراميون قسمان : شرقيون ، وعنهم تفرّع النساطرة او الكلدان . وغربيون ، وعنهم تفرّع اليعاقبة او السريان. وكانت لهم الديورة والمناسك والمدارس المهتمة تنشر ثقافتهم اليونانية الاصل والسريانية اللغة . وقد اشتهر من تلك المدارس مدرسة جنديسابور في خوزستان. وجنديسابور من بناء سابور الاول ملك الفرس ، اتخذها مركزاً لاسرى الروم. فكان لهم يد في نشر الثقافة اليونانية . ثم قام النساطرة واليعاقبة فنشروا ، بلغتهم السريانية ، تلك الفلسفة اليونانية المنصّرة بطريق مدرسة الاسكندرية ، ثم مدرسة الرُّها او اديسا . وكان لهم بجنديسابور بيمارستان تُعالج فيه المرضى ، ويدرَّس الطب والعلوم اليونانية باللغة السريانية ايضاً . وقد نشروا تلك الفلسفة باللغة الفارسية بين الفرس اولاً ، ثم بين العرب . وبها تأثر المسلمون في مجادلاتهم الدينية وفي مناقشات فرقهم كالمعتزلة وما اليها ، وذلك قبل ان تُنقل الكتب اليونانية الى العربية نقلاً منظماً على عهد المأمون . فكان اثر الآراميين سابقاً للترجمة عن اليونانية ، كما كانوا البادئين بهذه الترجمات ، فاخذوها اولاً عن السريانية ثم عن اليونانية رأساً ، واتصلوا بالعرب اتصالاً وثيقاً في بغداد . ولا يخفى ان الكلام عن مجالس النقلة والمناطقة وارباب الكلام من النساطرة واليعاقبة يتطلب بحثاً على حدة . على اننا نكتفي الآن بذكر اشهرهم نقلةً كانوا ام منجمين ، ام اطباء[2] .

١) راجع بحثنا السابق ص ٦٩ وما يليها

٢) اخذنا اكثر المعلومات عن اطباء الآراميين ونقلتهم وسائر علمائهم عن القفطي : تاريخ الحكماء ، وابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء (طبعة مصر) ، وخصوصاً ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (طبعة صالحاني) . ولما كان بحثنا هذا ملخصاً لا يكاد يتجاوز سرد اسماء الاعلام ، لم نرَ من حاجة لذكر صفحات المآخذ .

وكان اول اتصال الآراميين بالخلفاء عن طريق الطب ، ثم التنجيم . فقد ذكر القفطي ، ومن تبعه من المؤرخين ، ان ابا جعفر المنصور أصيب بمرض في معدته لم يستطع اطباؤه معالجته ، فدلّوه على جيورجيس بن بختيشوع ، رئيس اطباء جنديسابور . فعالجه وشفاه . ومن ثم اتصلت هذه الاسرة النسطورية الشهيرة بخلفاء العباسيين على مدة ثلاثة قرون . فكان منها بختيشوع بن جيورجيس ، طبيب الرشيد ، وجبريل بن بختيشوع ، طبيب المأمون وجعفر ، وبختيشوع بن جبريل ، طبيب المعتصم والواثق والمتوكل ، وعبيد الله بن بختيشوع طبيب المقتدر ، وجبريل بن عبيد الله ، طبيب ملوك آل بويه ، وعبيد الله بن جبريل الذي نبغ في عصر بعد العصر الذي يهمّنا . وقد امر الرشيد احدهم جبريل بن بختيشوع ان يبني ببغداد بيمارستاناً على شكل بيمارستان جنديسابور فبناه . وكانت ادارته وقفاً على اطباء جنديسابور وتلامذتهم .

ولقد كان الطب في ذلك الحين يمثّل اعلى درجة من الثقافة ، لان الطبيب كان يقرن بعلمه معرفة المنطق والفلسفة ، والالهيات ، والحساب ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى احياناً . واشهر من نعرف من فلاسفة العرب ، كانوا اطباء كالكندي وابن سينا وابن رشد وغيرهم كثير .

وهكذا كان اطباء النساطرة واليعاقبة يشتغلون بالفلسفة والمنطق . فمنهم من يغلب عليه الطب كآل بختيشوع ، وعيسى بن شهلانا ، وعيسى الصيدلاني طبيب المهدي ، وجبريل الكحّال ، اي طبيب العيون ، من اطباء المأمون . ويوسف الساهر المعروف بالقسّ ، النابغ في ايام المكتفي ، سمي الساهر لانه كان لا ينام في الليل الا ربعه او ازيد . وابن المطار عيسى بن يوسف ، طبيب القاهر . ومنهم من تغلب عليه الفلسفة والمنطق كيوحنا بن البطريق . وقد كان هؤلاء يعنون بترجمة الكتب اليونانية اما رأساً واما بطريق السريانية . واشهرهم في ذلك يوحنا بن ماسويه السرياني ، طبيب المعتصم ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وتلميذه حنين بن اسحق البارع باليونانية ، وابنه اسحق بن حنين المترجم الفيلسوف ، واخوه داود طبيب العامة ، وابن عمتهما حبيش بن الاعسم . ومتى بن يونس المنطقي النسطوري تلميذ «اسكول مار ماري» على

قول ابن العبري ، المتعلم على يدي الراهبين اليعقوبيين روفيل وبنيامين . «وقد انتهت اليه رئاسة المنطقيين في عصره ومصره.» ومرجيس الراسعيني اليعقوبي.

ومن مشاهير النصارى الآراميين في المنطق والفلسفة والترجمة قسطا بن لوقا البعلبكي ، ويحيى بن عدي اليعقوبي التكريتي.

وقد كان لهؤلاء ثقافة واسعة تستند الى الادب استنادها الى العلم . فكانوا في مجتمعاتهم يتذاكرون الشعر السرياني واليوناني ، فضلاً عن العربي . وقد اشار ابن العبري الى انهم كانوا يتناشدون المقاطع من شعر هوميروس باللغة السريانية.

ونحن نعرف ان الالياذة والاوديسية كانتا مترجمتين الى السريانية شعراً . ترجمها تيوفيل الرهاوي رئيس منجمي المهدي . «وكان تيوفيل هذا ، في قول ابن العبري ، على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى . وله كتاب تاريخ حسن . ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة .»[1]

وقد اشتغل الآراميون كذلك بالتنجيم كما عرفنا في ذكر تيوفيل . جرّهم الى اتقان ذلك معرفتهم بالامور الفلكية ، واهتمام الخلفاء العباسيين بالتنجيم او معرفة المستقبل بواسطة النجوم. فقد ذُكر عن المنصور انه استشار المنجمين في زمن الابتداء ببناء بغداد ، والواثق ، لما اشتدّ مرضه ، احضر المنجمين فاستشارهم في تاريخ موته فانبأوه انه يعيش خمسين سنة ، فلم يعش بعد قولهم الا عشرة ايام . وكان الخلفاء غالبهم يستشيرون المنجمين قبل الخروج بالغزو ، او قبل حصار

---

١) ابن العبري : الكتاب المذكور ، ص٢١٩–٢٢٠

اما ترجمة الرهاوي لملحمتي هوميروس فلم يعثر عليها ، رغم تنقيب العلماء وابحاثهم . وقد ذكر معرّب الالياذة « ان العلامة السمعاني الماروني عثر على نسخة منها فحملها في ما حمل الى رومية من نفائس المخطوطات في اواسط القرن الثامن عشر . واصابته عاصفة في البحر فطغت على السفينة ، فعطّلت كثيراً من تلك النفائس . ومن جملتها منظومات الرهاوي. » (سليمان البستاني : الياذة هوميروس معرّبة نظماً ، ص٢٦٦) . وقد تنوقل من ترجمة الالياذة ' من النشيد الثاني ، شطران سريانيان اوردهما معرّب الالياذة ' في الصفحة ٢٦٤ ، بمناسبة المعنى الذي اشارا اليه وهو :

لا يستقيم الامر ' الا إن يكن فردٌ يُخوّل صولجان الصولة

المدن، كما حصل للمعتصم في فتح عمورية، فلم يسمع قولهم وهجم عليها ففتحها.
وقد كان من فضل هذا التنجيم ان وفّق ابا تمام الى مطلع بائيته الجميل :

السيف اصدقُ انباء من الكتب في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعب

ولعلّ اكثر الخلفاء اهتماماً بهذا العلم كان المهدي، فاكثر من المنجمين وجعل رئيساً عليهم تيوفيل الماروني السابق الذكر.

وقد اشتهر من الآراميين ايضاً بهذا العلم وبالحساب اللاحق به يحيى بن ابي المنصور، وكان من اقدر فلكيي عصره على رصد الكواكب حتى ان المأمون، لما عزم على التدقيق في حسابات الرصد، « تقدّم اليه والى جماعة من العلماء بالرصد واصلاح آلاته ففعلوا ذلك بالشماسية ببغداد، وجبل قاسيون بدمشق. »[1]

الا ان الآراميين لم ينجحوا، على الغالب، بالنجوم والتنجيم نجاح الفرس، ومنهم آل نوبخت، وابو معشر البلخي، وحبش الحاسب، واحمد بن كثير الفرغاني، وابناء موسى الخوارزمي الاصل. ولم يبلغوا خاصة شأو الحرّانيين. وهم سكان مدينة حرّان في الجزيرة العليا بين الرها وراس العين. واشهرهم ثابت بن قُرّة الرياضي الكبير منجم المعتضد، وسنان بن ثابت الطبيب، وثابت ابن سنان مدير بيمارستان بغداد، ومحمد بن جابر بن سنان، وهلال الصابئ. وقد غلبت الرياضيات والنجوم والتنجيم على اهل حرّان، كما غلبت الفلسفة والطب على الآراميين.

وهناك قوم من نصارى بغداد غير الآراميين، كان لهم أثر في تلك المدينة وهم مَن كانوا يدعونهم بالروم. وشاهدنا على وجودهم اسم الحي المعروف « بدار الروم »، جنوبي الشماسيّة، على الشاطئ الشرقي من دجلة. وكان هؤلاء، إمّا من تجار البزنطيين يأتون من بلادهم آن السلم، فيقيمون المدة بعد المدة وقد يستوطنون بغداد. واما من الاسرى يقودهم المسلمون على اثر الحروب فيبيعونهم، او يُسلمون فيصبحون من الموالي. وقد كان من الروم

1) ابن العبري: الكتاب المذكور، ص ٢٣٧

جوار كثيرات اشتهرنَ بفنون الادب والغناء والموسيقى الوترية . وان من يطالع كتاب الاغاني يرى ان اكثر المغنيات المشهورات كنّ من الفرس او من الروم او من المولدات ، كما ان اكثر المغنين واشهرهم كانوا من الفرس كذلك .

والفرس والروم واليهود كادوا يحتكرون بيع الخمر وادارة بيوت الشرب واللهو، حتى روى الجاحظ عن ابراهيم بن هاني — وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرّداً — قال : « ومن تمام آلة الخمّار ان يكون ذمّياً ويكون اسمه اذين او مازيار او ازدانقاذار ، او ميشا او شلوما . » وهي اسماء فارسية ونصرانية ويهودية .

اليهود

وكذلك اورد الجاحظ ان مما «عظّم النصارى في قلوب العوام وحبّبهم الى الطغام أن منهم كتّاب السلاطين ، وفراش الملوك ، واطباء الاشراف ، والعطارين ، والصيارفة . ولا تجد اليهودي الا صبّاغاً او دبّاغاً او حجّاماً او قصّاباً او شعّاباً»[1]

هذه الصناعات كانت لليهود على عهد الجاحظ . بيد ان هؤلاء لم يلبثوا ان عظم شأنهم فنزلوا حيّاً خاصاً في بغداد دُعي « درب اليهود »[2] . واخذوا يتوسّعون بالاعمال التجارية ، حتى توصلوا الى الاخذ بالاساليب المالية الكبرى كفتح المصارف المهمة وضمان حاجات الجيوش ، بل كانوا اول من فتح المصارف الدولية في العالم[3] . فكان لهم في بغداد الادارات المركزية ، وفي سائر المدن الكبرى الشعب الثنوية . ثم تقدّموا حتى انهم كانوا يكوّنون النقود لحساب

١) شعّاباً : مصلح الشعب اي الصدع . الجاحظ : الردّ على النصارى (في مجموعة ثلاث رسائل ، طبعة J. Finkel ، ص ١٧)

٢) نسب الى هذا الحيّ المحدّث ابو محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحيى اليهودي . راجع ياقوت : معجم البلدان ٤: ١٠٤٥ ، مادة يهودية .

٣) اطلب في هذا بحثاً جامعاً لماسينيون :

L. Massignon, *L'influence de l'Islam au Moyen âge sur la fondation et l'essor des banques juives.* [*Bull. d'études orientales* de l'Institut français de Damas, t. I]

وقد استفدنا منه في ما يلي

الخلافة . وكان الخليفة يضع بين ايديهم جواهر المملكة ، ويعطيهم اسرى الحرب. فكانوا يحتكرون الغلّة،ويضمنون الغزوات والجهاد،فيقدّمون للجيوش المؤن والذخائر ويأخذون الاسرى والسبايا والاسلاب.

وكذلك كانوا يحتكرون الصياغة ، او سوق الصرف ، والقيسارية او سوق الانسجة الاجنبية الفاخرة.

ومما يجدر بالذكر ان وزارة الدولة على عهد المقتدر (٩٠٨-٩٣٢) منحت بعض صيارفة بغداد من اليهود لقب « جهابذة الحضرة » — والجهبذ في الاصل الناقد ، العارف بتمييز الجيّد من الردي — ويراد به الصيرفي الرسمي تضع السلطة بين يديه بعض وارداتها وتطلب منه ما تحتاج اليه من المال للنفقات المختلفة . اما هؤلاء الجهابذة فكانوا يوسف بن فنحاس او بنحاس — وقد ورد في تاريخ الوزراء للصابي : ابن فيحاس[١] — وهرون بن عمران ، وزكريا ابن يوحنا . وقد يكون هذا الاخير نصرانيًا، كما لاحظ ماسينيون[٢] . فكانت السلطة تُغدق عليهم نعمها تارةً ، وطورًا تصادرهم وتضيّق عليهم في طلب المال[٣] . واحيانًا تتفق معهم اتفاقًا يكون في مصلحة الجميع كالاتفاق الذي عقده الوزير ابو الحسن علي بن عيسى مع يوسف بن فنحاس وهرون بن عمران ، وملخّص شروطه ان الوزير قال للجهبذين المذكورين :

« انني احتاج في مستهلّ كل شهر الى مال اطلقه في ستة ايام منه للرّجالة ما مبلغه ثلاثون الف درهم . وربما لم يتّجه لي في اول يوم من الشهر ولا في ثانيه . واريد ان تُقرضاني في اول كل شهر مائة وخمسين الف درهم . وترتجعانها من مال الاهواز في مدة ايامه ، فان جهبذة الاهواز اليكما. ويكون هذا المال سلفًا واقفًا لكما ابدًا . وأُضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد وتَرِد في كل شهر وهي عشرون الف دينار . فيكون ذلك بازاء مال القسط

١) هلال الصابي: تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة Amedroz) ص ٧٩و١٥٨

٢) Massignon, *loc. cit.* p. 5, note 5.

٣) الصابي: الكتاب المذكور ٧٩-٨٠

الاول .» [١]

وقد حمل الوزير على عقد هذا الاتفاق لانه كثيراً ما كان يحلّ موعد دفع مرتبات الموظفين ، ولا مال لديه ، فيُدفع الى الاستسلاف من التجار على سفاتج « بربح دانق ونصف فضة في كل دينار يلزمه في كل شهر . » [١] اي ما يعادل ٣٠ بالمائة في السنة ، وهي فائدة باهظة . فرأى في هذا الاتفاق المذكور ، على ما فيه من الشروط الموافقة للصيرفيّين ، مخرجاً من ذاك المأزق . وهو افضل لسمعة السلطة من الاستسلاف ، كما انه افضل من الالتجاء الى اعادة سكّ النقود وانقاص عيارها . وظلّ الاتفاق جارياً مدة ستة عشر عاماً على يوسف بن فنحاس وهرون بن عمران « ومن قام مقامهما » [١]

وكان الصيارفة اليهود يحفظون لحساب الدولة محصول « ديوان المصادرات » اي مجموعة الغرامات التي كانت الحكومة تفرضها على من كان يرتشي من الموظفين ، فيستغلونها ويقتسمون الفوائد بينهم وبين الوزراء . وذلك بناء على اتفاق سرّي بين الصيرفي والوزير ، كما يستخلص من تاريخ الوزراء للصابي في المواطن المذكورة سابقاً . وقد يكون الخليفة عارفاً بهذا الاتفاق فيستفيد منه ايضاً . يدفعنا الى هذا الرأي ما وُجد في دفاتر ابن فنحاس وشريكه عندما صادرهما الوزير علي بن عيسى ، وكانا قد اتفقا اتفاقاً سرياً مع الوزير السابق ابن الفرات على الكثير من المضاربات المالية . فلما نُكب ابن الفرات ، اراد علي بن عيسى محاسبتهما فلم يجد في الحساب الا إحالات على « حُمل الى الخليفة والسادة . وشيء انصرف في خاصّ نفقات ابن الفرات . » [٢]

وهكذا فانهم كانوا يربحون الخليفة ، والوزراء ايضاً ، دون ان تأثم الدولة باستعمال الربا . وكانت هذه الفوائد تسدّ عجز الميزانية في الدولة الذي كان يبلغ احياناً نحو المليونين من الدنانير ، كما يظهر من ارقام موازنة السنة ٩١٨ ، على عهد المقتدر ، وقد بلغت دخلاً ١٤,٨٢٩,١٨٨ ديناراً (اي اكثر من ٩

١) الصابي : ك . م . ص ٨١

٢) الصابي : ك . م . ص ٨٠

ملايين ليرة ذهبية فرنسوية[1] وخرجاً ١٦,٩١٩,٠٨٢ ديناراً[2].

ومن اعمال اليهود المالية انهم كانوا يؤلفون شركات مساهمة لتجهيز القوافل الكبيرة بين مدن العالم الاسلامي ، بل لتجهيز الغزوات البحرية ، في سنابك الخليج العجمي ، على افريقية لسبي العبيد او لشراء البضائع الثمينة في الهند والصين ، وكذلك كانوا يجهزون الغزوات البرية حتى اواسط آسية وبلاد السودان الشرقية.

وكثيراً ما ضمنوا جباية الضرائب في المقاطعات السحيقة.

وكانوا ، فوق ذلك ، يستعملون المضاربة بالاسعار ، وباسعار العملة خاصة ، يسهل عليهم ذلك وجود عملتين في تلك الدولة : العملة الفضية ووحدتها الدرهم ، والعملة الذهبية ووحدتها الدينار . وقد قدمنا[3] ان النسبة الاصلية بين الدرهم والدينار كانت من واحد الى عشرة ، اي ان الدينار كان في اصله يعادل العشرة الدراهم . فاخذوا يتلاعبون بذلك ويتفقون مع عملائهم او فروع مصارفهم في القاهرة وغيرها من العواصم ، حتى اصبحت الاسعار تصعد وتهبط وتأتيهم بالارباح الوافرة . ونظرة واحدة نلقيها على اضطراب سعر الدرهم بالنسبة الى الدينار تكفي لتحقق هذا الامر :

في الاصل	دينار واحد	=	١٠ دراهم
على عهد الرشيد	« «	=	٢٠ الى ٢٢ درهماً
على عهد المتوكل	« «	=	٢٥ درهماً
بعد المتوكل	« «	=	١٤ الى ١٥ درهماً
على عهد المقتدر	« «	=	٢٠ درهماً

ويجدر بنا الا ننسى ما قام به اليهود من تسهيل المعاملات المالية في العصر الذي ندرسه . وهو امر قلما اشار اليه المؤرخون ، حتى انتبه له مؤخراً الاستاذ

---

١) راجع ، في قيمة الدينار، ما اوردناه في القسم الاول من هذا البحث ، مشرق السنة الحالية ص ٨٢-٨٤

٢) Massignon, *loc. cit.*, p. 5, note 1.

٣) مشرق هذه السنة ، ص ٨٤

ماسينيون في درسه نشأة المصارف اليهودية الدولية المذكور آنفاً. وتفصيله ان ارباب المصارف، في تلك الايام، اجتناباً لنقل الاموال بعينيّاتها مما كان يكلفهم النفقات الكثيرة ويعرّضها للاخطار الجمّة، رأوا ان يستعملوا الحوالات المالية (lettres de change)، والسفاتج (lettres de crédit) والصكوك (billets à ordre)[1]

هذا ملخص موجز عن اهم اعمال اليهود المالية. ومن ثم فلا نرى ضرورة للتبسّط في نفوذهم وتأثيرهم.

وقد كان منهم كذلك العلماء باللغة والادب كابي عبيدة، وبالطب والعلوم الدخيلة كما شاء الله اليهودي، فاثروا في الادب العربي تأثيرهم في المضاربات المالية والمصارف.

الهنود

ومن الشعوب التي تركت اثرًا بعيدًا في الادب العباسي الشعب الهندي. على ان هذا الاثر كان في اكثره عن طريق الكتب الهندية في الحكمة والحساب، ولا نزال الى اليوم ننسب ارقامنا الى الهند فنقول «الارقام الهندية». اما الافراد الهنديون العائشون في بغداد فكان غالبهم من المنجّمين والاطباء. وقد عرفنا، عن طريق الجاحظ، ان «يحيى بن خالد البرمكي اجتلب اطباء الهند مثل منكة، وبازيكر، وقلبرقل، وسندباذ» وممن يُذكر ايضاً بهلة الهندي. وهناك مجال واسع لدرس النزاع والمنافسة بين الطب الهندي والطب الآرامي. ثم ان اللغة الهندية كانت معروفة في بغداد يترجم عنهم المترجمون[2]. وقد لخص الجاحظ صفات اهل الهند كما عرفهم في بغداد. وهي:

«واما الهند فوجدناهم يُقدِّمون في النجوم الحساب. ولهم الخطّ الهندي خاصّة ويُقدِّمون في الطب. ولهم اسرار الطب وعلاج فاحش الادواء خاصّة.

١) ويرى ماسينيون ان كلمة chèque الفرنسوية اتت من كلمة صك، بطريق الانكليزية، عن الفارسية - الهندية «تشيك»

٢) الجاحظ: البيان والتبيين ١: ٧١.

ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالاصابغ ... واشباه ذلك . ولهم الشطرنج وهي اشرف لعبة واكثرها تدبيراً وفطنة . ولهم السيوف القلعية ، وهم العب الناس بها ... ولهم الرقى النافذة في السموم وفي الاوجاع . ولهم غناء معجب . ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام اوتار العود والصنج . ولهم ضروب الرقص والخفة . ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة . ولهم معرفة المناصفة . ولهم السحر والتدخين والدمازكية (؟) . ولهم خط جامع لحروف اللغات ، وخطوط ايضاً كثيرة . ولهم شعر كثير وخطب طوال وطب في الفلسفة والادب . وعنهم اخذ كتاب كليلة ودمنة . ولهم راي ونجدة ... »[1]

الهنديون والصينيون والسودان

وكان في المجتمع العباسي عدد لا بأس به من اهل السند والصينيين والسودان وكلهم اختصوا بشيء من المرافق والصنائع .

فكان السنديون من حذّاق الطهاة ، ومشهوري صنّاع الاحذية ، حتى غدت النعال السندية مضرب المثل . وقد اتصفوا بالدهاء والنفوذ في المعاملات والامانة ، مما جعل ارباب بيوت الصرف يستخدمونهم في اعمالهم ، على حدّ قول الجاحظ : « ومن مفاخرهم ان الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صرفهم الا السند واولاد السند لانهم وجدوهم انفذ في امور الصرف واحفظ وآمن . »[2]

« فاما سكان الصين فهم اصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة ، واصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه . وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه . فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل ، وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل . لان اولئك حكماء وهؤلاء فعلة . »[3]

اما السودان فاشتهروا في العاصمة العباسية بحسن الخدمة خاصة . وقد عرفوا

---

١) الجاحظ : فضل السودان على البيضان ، ص ٨٤

٢) الجاحظ : فضل السودان على البيضان ، ص ٨٥

٣) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٤٤

بالشجاعة، وشدة الابدان، والسخاء والامانة حتى ان الجاحظ ألف فيهم رسالة سماها «فضل السودان على البيضان».

وكان ارباب الملاهي ومدراء بيوت الغناء يتنافسون بالزنجيات في استعمال المزمار حتى قيل: «من تمام آلة الزمر، ان تكون الزامرة سوداء.» والزنجيات من اشهر الراقصات كذلك، والزنجيون من نوابغ المهرة في الهاء العامة. عرف منهم، في العصر الذي يهمنا، ابو دُبوبة الزنجي، ذكره الجاحظ وقال عنه:

«ولقد كان ابو دُبوبة الزنجي، مولى آل زياد، يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق، فلا يبقى حمار مريض، ولا هرم حسير، ولا متعب بهير، الا نهق. وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منك متحرك حتى كان ابو دُبوبة يحركه. وكأنه قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد. وكذلك في نباح الكلاب. ولذلك زعمت الاوائل ان الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة، ويحكي بفمه كل حكاية، ولانه يأكل النبات كما تأكل البهائم، ويأكل الحيوان كما تأكل السباع، وان فيه من اخلاق جميع اجناس الحيوان اشكالاً.»[1]

الزط

وهناك الزُط، وهم قوم من اخلاط الناس — ولعلهم اقرب الى «النَوَر» في عصرنا — كانوا يجولون في الاحياء فيسرقون كل ما يغفل عنه اصحابه، ويستعملون الكدية وهي سؤال الناس بمهارة وتفنن. وقد تقوى شوكتهم فيقطعون الطريق بين البصرة وبغداد حتى يُدفع الخليفة الى تسيير جيش لمحاربتهم، فيقتل منهم مقتلة عظيمة.

ولا يخفى ان مهنة الكدية تركت اثراً عميقاً في ادبنا يتحققه كل من يقرأ مقامات الهمذاني والحريري ومن اليهما.

***

١) الجاحظ: البيان والتبيين ١: ٦٥.

اثر هذا التمازج

من الطبيعي ان هذه العناصر المتنوعة يؤثر بعضها في بعض اثرًا يختلف عمقه باختلاف المخالطة والمعاشرة . ولسنا اليوم لنتقصى جميع هذه الآثار . انما يهمنا منها ما اختصّ بالادب واللغة .

اما الاثر في الادب فيتطلّب سلسلة ابحاث قد نفرد لها مجالًا خاصًا.

واما الاثر في اللغة فكان على انواع :

منها ان اللغة العربية لم تكن وحدها لغة هذا الشعب. كانت اللغة الرسمية السائدة في الدولة والدين . ولكن كان الى جنبها كلّ هذه اللغات يتكلّمها اربابها ومن يتعاملون معهم . ولقد كان من العجب العجيب ان يجول الانسان جولة في انحاء بغداد فيسمع اللغات المتباينة واللهجات المتنوعة . وكان اوسع هذه اللغات انتشارًا بين العامة اللغة الفارسية ، حتى قال ابراهيم بن هانئ في ما نقل الجاحظ : « ومن تمام آلة الحارس ان يكون زميتًا قطوبًا ، ابيض اللحية اقنى اجنى ، وصاحب تكلّم بالفارسية »[1]. وقال الاصمعي متأسّفًا : ان من الدناءة التكلّم في مصر عربي بالفارسية.[2] ولم يقتصر انتشار الفارسية على البيئة العامية ، بل كانت متفشية بين الكتّاب والشعراء . وكفى بذكر اسماء ابن المقفع وسهل بن هرون والخريمي والعُماني والعتّابي شاهدًا مقنعًا . وكان الشعراء خاصة ، اذا ما ارادوا الابتكار والخروج من التقليد القديم الى المعاني المصرية، لا يرون مندوحة عن قراءة الادب الفارسي، بدليل ما ذكر طيفور عن العتابي ، وهو عربي الاصل من نسل عمرو بن كلثوم ، قال :

« حدث يحيى بن الحسن بن علي بن مُعاذ بن مُسلم قال : اني بالرقة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام لي فكلّمته بالفارسية. فدخل العتّابي وكان حاضرًا في كلامنا . فتكلم معي بالفارسية . فقلت له : « ابا عمرو ، مالك وهذه الرطانة. » (قال) فقال لي: «قدمت بلدتكم هذه ثلث

١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ٨٠.

٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار (طبعة دار الكتب المصرية) ١ : ٢٩٦

قدمات. وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو . . . كتبت منها حاجتي. ثم قدمت نيسابور وجُزتُها بعشر فراسخ الى قرية يُقال لها ذِوَدَر فذكرت كتاباً لم اقض حاجتي منه فرجعت الى مرو فاقمت اشهراً.» (قال): قلت: «ابا عمرو، لِمَ كتبت كتب العجم.» فقال لي: «وهل المعاني الا في كتب العجم والبلاغة اللغة لنا والمعاني لهم». ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيراً.»[1]

وفي «بيان» الجاحظ[2] كثير من الشعر العربي ادخلت فيه الالفاظ والمقاطع الفارسية تملحاً وتقرباً من الخلفاء.

وقد ذكر الجاحظ اديباً من القصاص اسمه موسى الاسواري، فقال عنه:

«وكان من اعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية. وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحوّل وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدرى باي لسان هو ابين. واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها، الا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الاسواري»[3]

ومنها ان اللغة العربية الفصحى اكتسبت كثيراً من الكلمات الجديدة دخلت عليها من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية بواسطة التراجم. واكتسبت كذلك معاني جديدة لكلماتها القديمة حدثت بفضل تآليف الفقه والكلام والفلسفة والنحو والعلوم الدخيلة على انواعها، مما لا يتسع المجال لتعداده في هذا البحث. واكتسبت ايضاً مرونة في التعبير لم تعرفها في عهدها السالف.

على انها تأثرت بفساد ادخلته عليها لهجات الشعوب. وهذا الفساد على نوعين:

نوع حوّر في الالفاظ والتعابير والتراكيب العربية، ولاسيما بعض قواعد

---

١) طيفور: كتاب بغداد ٦: ١٥٧–١٥٨

٢) البيان والتبيين ١: ١٠٨–١١٠

٣) 〃 〃 ١: ٣٢٤

الاعراب ، كالمذكر والمؤنث والعدد ، فولّد ما يُعرف باللغة العامية او الدارجة . حتى اضطُر الكسائي ، على عهد الرشيد ، الى وضع رسالة في « لحن العامّة » .

ومن امثال هذا اللحن عدم مراعاة التراكيب العربية، كما ذكر الجاحظ عن غلامه نفيس السندي الاصل من انه تشاجر وغلاماً آخر فقال له : «الناس، ويلك ، انت حياء كلهم اقل » يريد : « ويلك ، انت اقل الناس كلهم حياء » فاجرى الالفاظ العربية على طريقة التركيب في لغته . ومن هذا النوع جواب من قال اذ سُئل عن اي صنعة يجب ان يعلّم الغلام الفلاني ، فقال : «اسلموه (اي ضعوه) في اصحاب سند نعال » يريد « اصحاب النعال السندية »[1]

ومن الامثلة على تلك اللغة العامية ما نقله صاحب الاغاني عن ان احدهم خاطب ابا العبر (وهو رجل غريب الاطوار فكه فيه دعابة) وقد رآه على بعض الحالات المضحكة فقال : « خرب بيتك أيش هذا العمل ؟ »[2]

وقد تفشّى هذا الخطأ في جميع المدن العراقية اذ ذاك ، حتى زعم ابو العاصي « انه لم يرَ قروياً قط لا يلحن في حديثه . »[3] وحتى كان النحويون « اذا وجدوا اعرابياً يفهم هذا اللحن المتفشي في المدن بهرجوه، اي زيّفوه ، ولم يسمعوا منه »[4] لعدم خلوص ملكته العربية .

اما موقف البدو من هذه اللغة فكان عجيباً . يستغربون هذا الامر ، ويستغربون فوقه ان هؤلاء الجماعة اللحّانين ، اي الذين يخطئون ، يتاجرون ويربحون . وقد مرّ احدهم في اسواق بغداد فبهر بحركتها، فلم يتمالك ان صاح : «هم يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحَن ولا نربح . »

وهناك لحن آخر كان يقوم باللفظ ، او الخطأ في بعض مواقع الاعراب ، وذلك في الكلام الفصيح والخطابة ، وهو خاص بالعلماء وارباب الثقافة على الغالب .

---

١) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ : ٢٢٦

٢) الاغاني ٢٠ : ٦٢

٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٢٢

٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٢٢

من ذلك الخلط في اللفظ بين بعض الحروف كالجيم والزاي ، والقاف والكاف ، والحاء والخاء والهاء ، والشين والسين ، والزاي والسين ، مما لا تزال نتحققه اليوم في من يتعلم اللغة العربية من الاجانب على تقدمه في السن . والعرب تسمي هذا الخطأ في اللفظ اللُكنة . قال الجاحظ :

« وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيّرًا فاخرًا ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك اذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فانك تعرف ، مع إعرابه وتخير الفاظه في مخرج كلامه ، انه خراساني . وكذلك ان كان من كتاب الاهواز . ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والحبشي »[1] .

وقال ايضاً :

« الا ترى ان السندي، اذا جُلب كبيرًا ، فانه لا يستطيع الا ان يجعل الجيم زاياً ولو اقام في عليا تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً ؟ وكذلك النبطي القح ، خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لان النبطي القح يجعل الزاي سيناً . . . والنخاس يتحن الجارية اذا ظنّ انها رومية ، واهلها يزعمون انها مولدة ، بان تقول : « ناعمة » وتقول : « شمس » ثلاث مرات متواليات . »[1]

ومن مشاهير اصحاب اللُكنة هذه : ابو مسلم الخراساني ، كان جيّد المعاني ، وكان اذا اراد ان يقول : قلت له ، قال : كلت له ، يحوّل القاف كافاً . ومنهم زياد الاعجم كان يجعل السين شيناً ، والطاء تاء ، والحاء هاء ، وكان شاعرًا مجيدًا . ولكنه لم يكن يحسن الالقاء . وقد مدح المهلّب بن المغيرة فانشده :

فتى زاده الشلتان في الحمد رغبة اذا غيّر الشلتان كل جليل

---

١) البيان والتبيين ١ : ٦٤-٦٦

يريد : السلطان والحمد . وكان منهم اكثر الاطباء والمناطقة من آراميين وروم وفرس وهنود .

وهناك ايضاً خطأ العلماء الناتج من اهمالهم تطبيق القواعد ، على معرفتهم اياها . فقد روي عن ابي عبيدة انه كان ، مع غزارة علمه ، لا يقيم اعراب جملة ولا وزن بيتٍ يُنشده .

ومن هؤلاء ابو حنيفة الفقيه الكبير . وابن ضحيان الازدي ، وكان يقرأ القرآن فيقول : « يا ايها الكافرين . » فقيل له في ذلك . فتخلّص قائلاً : « قد عرفت القراءة في ذلك . ولكني لا اجلّ امر الكفرة » (اي لا ارفعهم) .
وقد كثر انتقاد العلماء على هذه الاخطاء حتى اخذ بعضهم يهابون الكلام المحرَّك فيتجنبون الاعراب . وقد روى الجاحظ عن مهدي بن مهلهل انه كان يقول : « حدّثنا هشامْ (مجزومة) ثم يقول : ابنْ ، ويجزمه . ثم يقول : حسانْ ، ويجزمه . لانه حين لم يكن نحوياً رأى ان السلامة في الوقف »[1]

***

هذا جلّ ما يُقال ، بالاختصار ، عن تمازج الشعوب والثقافات في تلك المدينة العظيمة . اما التبسُّط في درس هذه الثقافات المختلفة وتأثير بعضها في البعض الآخر ، وتساوقها جميعاً الى توليد الادب العباسي ، فيتطلّب البحث في اصول الثقافات ، واضطلاع الادباء والشعراء والعلماء بها ، ودرس مجالسهم وحلقاتهم الخاصة والعامة ، كل فريق منهم على حدة . مما قد نوفق اليه في المستقبل ، ان شاء الله .

١) البيان والتبيين ٢ : ١٦٢

اخبار
سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت
الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه

نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني

٣

١٣ استطراد

وكان بعض المسلمين والارمن يأتون اليَّ ويطلبون زيارة المونسنيور . ولما كنتُ ادقّ عليه الباب كان يقول لي اصبر مقدار كذا وكذا وارجع . وهكذا كان يعمل دائماً . وكان كثيرون يرغبون ان يتفقّدوه بهدية مثل نبيذ او فواكه . ولكنّه لم يكن يقبل شيئاً من احد . وذات يوم جاء واحد ارمني كان له وجع في أذنيه وخسر مقدار دراهم ولم يُشفَ . وكان هذا الارمني هرطوقياً . [١٠٣] فلما سمع عن فضائل المونسنيور جاب[١] معه قنينة نبيذ وجاء اليَّ فقلت له ماذا تريد ؟ قال اريد ان اتبارك من المونسنيور . قلتُ لماذا اجبت النبيذ ؟ فانه لا يقبل هديّة . فتوسّل اليَّ ان اطلب منه حتى يقبلها . فدخلتُ وقلتُ له عن الرجل والهدية وطلبت منه ان يقبلها لخاطري . وادخلته اليه . فجثا على ركبتيه قدّام المونسنيور طالباً البركة فباركه وصلى على رأسه . ثم اشتكى اليه من وجع اذنيه . فقال له الرب يشفيك . ثم طلب صليب

١) أحضر

الذهب الذي كان معلقاً على صدر المونسنيور فاعطاه اياه واخذه [١٠٤] بامانة وراح ربطه في رأسه ونام . وثاني يوم جابه شاكرًا وقال للمونسنيور ان هذه الليلة لم تغل اذني . ولما رجعت انا الى تبريز بعد سنتين نظرتُ هذا الرجل واول ما أبصرني وقع على يديَّ يبوسهما . فقلت له من تكون ؟ قال اما تعرفني ؟ قلتُ لا . قال انا ذاك الرجل الذى شفى المونسنيور اذني وانا اليوم قاتوليقي اشكر الله .

فلنرجع الآن الى حكايتنا . بعد كم يوم رحنا ثاني مرّة عند مرزا ابرهيم وتغدّينا عنده ورجعنا . اما المونسنيور فعمل ضيافة شريفة وصاح المطران اسهاك واكابر الارمن واضافهم .

١٤ سفر المونسنيور يكبت من تبريز الى اصبهان

[١٠٥] وبعد ما اهتمّ المونسنيور في مصالح السفر اوصاني ان اعمل له تختروانا[١] يحتلونه على جملَين مثل الماهيجا (؟) ولكن اكبر واطول حتى ينام فيه في الدرب . فعملت تختروانا كبيرًا مليحاً وغطّيته بجوخ احمر وخسرتُ عليه ثلاثين قرشاً . ثم فتّشت عن جمال واستكريت خمسة عشر جملًا اثنين للتختروان والباقي للاحمال . وعملت ايضاً محافّتين . والمحافة هي صندوقان يحتلان على جمل يجلس في كل منهما من كان مريضاً او من لا يقدر يركب. ثم اشتريتُ فرساً آخر واشتريت خيمةً كبيرة بخمسة وعشرين [١٠٦] قرشاً كلّها صابان . وعملنا مشكان زبنو (ܡܫܟܢ ܙܒܢܐ)[٢] حتى يقدّس فيه المونسنيور في الدرب . واشتريتُ كل ما نعتاز اليه في سفرنا وثياباً للخادمين. واعطانا حاكم تبريز مكتوباً يسمّونه « حُكم » يوصي فيه جميع القرى التي نجوز فيها ان يعطونا حقّ الذخيرة كل يوم اربعين عبّاسي وهي احد عشر سكوتاً . وأرسل معنا المهمندار واحداً من رجاله ليوصلنا الى اصبهان.

وبعد ما مكثنا في تبريز سبعة وعشرين يوماً ارتحلنا الى اصبهان ورافقنا

١) هودجاً

٢) لفظ سرياني يراد به تابوت العهد ، وقد اطلقه الكاتب على المذبح المتنقل

بعض [١٠٧] اصحاب من الارمن . فسافرنا ونزلنا خارج تبريز في بستان حاكم البلد بعيد عنه نحو ميلين . وثاني يوم مكثنا هناك لان التختروان كانوا عملوه قصيرًا على الجمل الخلفاني . فرجعت ثاني يوم الى البلد وجبت النجار فوصله وعدَّله . وثالث يوم رحلنا ورافقنا ناس كثيرون من التجار الى اصفهان . اما المهمندار الذي بعثه الحاكم فلم يرافقنا بل ارسل معنا واحدًا آخر قائلًا انه بعد يومين يلحقنا . وهذا الذي جاء معنا صاحه المونسنيور وقال له : دِر بالك اياك تظلم احدًا او تاخذ شيئًا خلاف ما هو مكتوب . [١٠٨] وان ما اعطوك شيئًا فاتركهم ولا تغصبهم . ولكن هذا الخائن كان ينفرق منا ويروح قدامنا فنقول له الى اين انت رائح فيقول اروح اهيئ لكم المكان . وكان يمرّ بالضياع ويرتشي من الاهالي.

ولما قرب المساء قصدنا ضيعةً حتى ننزل فلقينا اهلها خارجين امامنا . وانا كنتُ قدّام الكل . فظنيتُ انهم طلعوا ليستقبلونا. فلمّا قربتُ منهم نظرت الحجارة والعصي في ايديهم مستعدّين للقتال فرمتُ عليهم التفنكة التي معي حتى اخوّفهم . فلمّا نظروني فعلتُ ذلك اخذوا الحجارة حتى [١٠٩] يرجموني . فلحقني المونسنيور لانه كان قريبًا مني . ولما نظرهم على هذا الحال قال لهم ما هو الخبر ؟ قالوا لا تنزلوا عندنا . قلتُ لهم لماذا ؟ قالوا لان المهمندار جاء الينا واخذ منا اربعين عباسي حقّ الذخيرة وراح . وانتم الآن جئتم تنزلون عندنا ونحن ناس فقراء فما لنا الا ان نقاتلكم . فقال لهم المونسنيور لا تخافوا طيّبوا خاطركم لاننا ما نأخذ منكم شيئًا بغير ثمن وان اردتم بيعونا الماء بفلوس . بس(١) اعطونا مكانًا حتى ننزل . فلمّا سمعوا كلامه المعقول رموا [١١٠] الحجارة من ايديهم واستحوا. ثم قالوا له ما عندنا مكان يسع احمالك وناسك. قال الاحمال والخدّام ينزلون في الخيم وانا اريد مكانًا يكفي لي ولبعض ناسي. فاعطونا بيتًا واسعًا نزلنا فيه . ونزل الخدام والاحمال في الخيم . وبعد ساعة جاء رئيس الضيعة يعتذر من المونسنيور ويقول لا تؤاخذنا بما فعلوا لان قلبهم محروق لسبب ان الحرامية قبل يومين اخذوا دوابّ الضيعة كلها . فقال له المونسنيور

١) فقط

هل حقيقةً اعطيتم دراهم للمهمندار قال نعم [١١١] وهذا تمسّكهُ[١] . قال المونسنيور اكتب لي ورقة انكم اعطيتم .

وثاني يوم قمنا من بكرة وحملنا . ولما بعدنا من الضيعة لقينا ناساً رائحين . فقال بعضنا نريد ان نمسك هؤلاء الرجال لانهم ارادوا ان يقاتلونا فمنعهم المونسنيور . ووصلنا ذلك اليوم الى ضيعة كبيرة تُسمّى ميانا فرأينا سوقها مسكّرًا وليس فيها انسان . فحطينا جانب الضيعة ونصبنا الخيم ورحتُ حتى اشتري الاشياء اللازمة فما لقيتُ احدًا . فسألت بعض النساء [١١٢] عن السبب فقلن قد هربوا لخوفهم منكم . قلتُ رأي الله عليهم[٢] لا يخافوا بل يأتون يبيعونا ويأخذون دراهم . لان هذا الالجي[٣] ما هو مثل باقي القصّاد . هذا رجل صالح يخاف الله وما يظلم احدًا . ثم جاء واحد وتقوّى وفتح دكانه وباعنا الذي كان عنده . فلمّا نظر البقيّة اني اشتري وادفع دراهم جاؤوا الى السوق وفتحوا دكاكينهم وباعونا رزقهم بالليل . فسألتهم عن المهمندار فاراني احدهم المكان النازل فيه فرجعتُ الى الخيم واعلمت [١١٣] المونسنيور بوجود المهمندار . فقال لي غدًا باكرًا تقوم وتأخذ معك مسيو كازمو وعازريا وهذا المكتوب وتروح الى بيته تأخذه وتودّيه الى القاضي وتدّعي عليه بالدراهم التي اخذ من الضياع ولكن بالمعقول بغير ضرر .

وباكرًا اخذت معي المذكورين وثلاثة خدام ورحت الى البيت الذي اروني فدقّ الخادم الباب فطلع خادمه وقال ما هو هونا . فنزلت عن الفرس ودخلنا كلنا فوجدتهُ نائمًا في الحوش مغطى فدنوتُ وكشفتُ اللحاف وقلت لـه صباح الخير . فلمّا نظرني [١١٤] ارتبط لسانه . فقلت لـه قم البس ثيابك وتعال معي . فقام ونظر الخدّام وفي ايديهم العصي فتوسل اليّ قائلًا لاجل الله لا تأخذني عند الالجي . فقلتُ البس ولا تخف لانك ما تبصر اكثر من فعلك . فلبس ثيابه واراد ان يركب فمنعته وسلّمته في ايدي الخدّام وركبت انا ورفاقي

---

١) التمسّك : التوصّل بقبض الدراهم

٢) عبارة تأمين يستعملها الى هذا العهد اهل ماردين بمثابة قسم تأييدًا لمن يخاطبونه فيقولون : « رأي الله أمان الله عليك »

٣) السفير

وأخذناه الى القاضي وسجلنا عليه كل ما اخذ من الضياع جبرًا وحصّلناه ويخشت قرشين للقاضي فبقي يدعو للاجي . ثم رجعت وحكيت المونسنيور بكل ما جرى فشكرني .

[١١٥] ثم قدّس المونسنيور وجاء القاضي بعد القداس مع ناس الضيعة وجابوا هدية الى المونسنيور وهم يعتذرون ويقولون اننا حسبناك مثل باقي الالجية الذين يجون يظلمونا ويتعدّون علينا . فاغفر لنا لاجل الله . ثم اعطوني الاربعين عباسية[1] وسقيناهم قهوة ورجعوا راضين مستحين . ولما كان المساء جاء مهمندارنا من تبريز فصاحه المونسنيور وحكاه كل ما صار وقال له دِرْ بالك تعمل هكذا . فان كنتَ تعمل هكذا ارجع الى تبريز وانا ما اريد [١١٦] مهمندارًا . فحلف له اني ما اركني من احد شيئاً .

وثاني يوم رحلنا . وكنّا نحتل نصف الليل . وكان المونسنيور يدخل التختروان وينام . وانا دائماً كنتُ اروح جانب التختروان مع الجتال لعلّه يطلب شيئاً لان الجتالين ما يفهمون لسانه . وكنا ننزل قبل نصف النهار وننصب الخيمة والمذبح . وكان المونسنيور يقدّس والبادري وميو كازمو يخدمان قداسه . وانا كنت اروح افتّش عن الذخيرة لنا وللدوابّ . ويبقى الخدام كل واحد في شغل . هكذا كان شغلنا دائماً . ويوم الاحد كنا نجتمع تحت الخيمة ونسمع القداس . ولما كنا ننزل في ضيعة [١١٧] كان يقدّس في البيت الذي ينزل فيه . اما باقي الالجية فلما كانوا يجتازون بالقرى كان الناس يهربون امامهم . ولكن لما سمعوا ان المونسنيور لا يظلم احدًا لم يعودوا يهربون . بل كان كبار الضيعة يأتون عند المونسنيور ويزورونه ويطيب لهم كلامُهُ .

ولما كنا في مدينة اب بهر[2] تقاتلنا مع عازريا لاني انا كنتُ وكيل المصرف وهو كان يريد يتفاضل عليّ في المصرف . فلما سمع المونسنيور صاحنا

---

١) العباسية كانت خمس عشرة بارة ، وكل اربع عباسيات كانت تساوي نحو سكوت واحد روماني .

٢) تُدعى اليوم اهار او ابهر

اثنينا واخذ احدنا بيده اليمين والآخر بيده الشمال وباوسنا مع بعضنا وهو يبكي ويقول يا اخوتي انا [١١٨] ما اريد ان يكون احد في رفقتي الا بالمحبة. ثم احتضننا واوصانا بالمحبة.

١٥ شهامة القس سفر وشجاعته

ولما كنا رائحين ليلةً من الليالي غلب عليّ النوم لاني ما كنت اقدر انام بالنهار لشغلي . وبالليل كنا نرحل . فتركتُ الجمال لانها تمشي مشياً ثقيلاً ورحت مع بعض الخيّالة الى قدام حتى بعُدنا عن الجمال ثلاثة اميال ووصلنا الى جانب نهر صغير فقلت لهم انزلوا ههنا حتى ننام قليلاً . فنزلنا وكل واحد اخذ فرسه بيده ونمنا . وكان على هذا النهر جسرٌ من خشب وعليه تراب . ثم جازت الجمال وجاز [١١٩] ايضاً جمل التختروان القدامي . وكان الجمّال يسحب جمل التختروان ولكنه لم يسحبه عاجلاً بل عوج الجمل الى الجانب فانعرج التختروان ووقع الجمل الخلفاني في الماء مع نصف التختروان وكان المونسنيور نائماً فيه . وعند وقوع التختروان والجمل سمعتُ حساً[1] قوياً ففقتُ من نومي ورأيت نصف التختروان في الماء. وسمعت المونسنيور يصيحني فرميت روحي في الماء بثيابي وفتحت باب التختروان . فقال لي المونسنيور ابني انا ? قلت له لا تخف تعال الى ظهري . ثم حملته واخرجته خارج النهر وألبسته فروتي [١٢٠] لان ثيابه كانت داخل التختروان من الجمل الساقط وأخرجناه الى خارج واقمنا الجمل ايضاً واخرجناه من الماء . وهذا العجب انه مع هذه السقطة العظيمة لم يحدث ضرر لا للجمل ولا للتختروان . وبعد ذلك استدعى المونسنيور الجمالين ليأتوا ولا يخافوا . فجأوا وحمّلنا التختروان وركب المونسنيور . اما الجمّال الذي كان يسحب الجمل فلم نعد نراه ابداً لانه هرب لخوفه . اما الجمالون فبقوا متحيّرين من ان الجمل لم ينكسر . لان الجمل اذا وقع [١٢١] غير ممكن ان يقوم سالماً لضعف عظامه ولاسيما اذا وقع وقعةً مثل هذه تحت التختروان. ونحن لما كنا نحمّل اول مساء لم يكن المونسنيور يدخل التختروان

[1] دوياً

لينام بل كان له فرسان مسروجان يصحبونهما دائماً فكان يركب ويقول معنا الليتانية بالترتيل ثم يدخل ينام . واذا كنا نحتل نصف الليل لم يكن يركب بل كان يدخل ينام.

١٦ وصول المونسنيور پيكيت الى قوم وكاشان ومرض القس سفر

وبعد اربعة وثلاثين يوماً وصلنا الى مدينة قوم فوقعت انا مريضاً . فقال لي المونسنيور ادخل في المحافة التي على الجمل لانها لاجل المرضى [١٢٢] فقلت بل اركب فرسي. وبعد يومين وصلنا الى مدينة كاشان واشتد مرضي كثيراً. فاستدعيت المونسنيور وسلمته الدفتر والدراهم التي كنت اجمع من القرى لاجل المصرف . وبقينا ثاني يوم قاعدين ولم يرفع[1] المونسنيور بل انتظر حتى استريح وانا كنت ازداد مرضاً . وبعد يومين حملنا وادخلوني المحافة وكان قبالي من الجانب الآخر البادري ياسينتو لانه كان مريضاً ايضاً . وكان المونسنيور يسوق فرسه ويجيء دائماً قريب الجمل ويسأل عن حالي . واذا حططنا في محلّ بالنهار كان يجعلني في مكان [١٢٣] مليح ويجيء مع مسيو كازمو يزورني ويجعل عندي خادماً يخدمني . اما الحكيم فلم يقدر يعالجني لاننا كنا راحلين غير مستقرين.

ولما كان اليوم الحادي والاربعون وصلنا قرب اصبهان بمرحلة وتزلنا في ضيعة في السراي . وقدّس المونسنيور وكان نهار الاحد . فقمت تمشيت وحضرت القداس . وبعد خلوص القداس جثوت امامه ليباركني فباركني واقامني وسأل عن حالي فقلت أشكر الله لاني لما نظرت وجهك الشريف واخذتُ بركتك رجعت روحي اليّ . فقال لي رُحْ الى فرشتك استرح ولا تأكل فاكهة ولا تشرب ماء لان ذلك [١٢٤] يضرّك . فقلت له يا سيدي ما يشتهي قلبي الا الفاكهة والماء . فقال دِرْ بالك منها لانهما سمّ المريض . ثم رجعت الى مكاني.

وثاني يوم من بكرة جاء جميع الفرنساويين وغيرهم الى استقبال المونسنيور

---

١) يحمّل

ونزلوا وفرحوا به . اما المهمندار فكان راح الى اصبهان منذ ثلاثة ايام ليهيئ لنا مكاناً ويُعلم المهمندار الكبير بوصولنا . ثم رجع وقتنا حمّلنا . فلما نظرت كلّ الناس راكبين خيلهم قلت اسحبوا فرسي حتى اركب . فقال لي المونسنيور انت مريض ابقَ في مكانك . قلتُ بدّي[1] اركب . ثم لبست ثيابي المليحة[2] وركبت فرسي.

١٧ وصول المونسنيور يكيت الى اصبهان واشتداد مرض القس سفر وشفاؤه

ووقت العصر دخلنا الى [١٢٥] اصبهان فانزلونا في بيت صغير بتنا هناك ليلتنا . وثاني يوم اخذونا الى بيت كبير بحوش واسع ونهر ماء جارٍ وبستان . وفيه خمس عشرة حجرة ومطبخ واسطبل فنزلنا . ثم جابوا لنا طنفستين كبيرتين حتى نفرشهما في الديوانخانة واستقرّ كل واحد في حجرته . والحجرة الواحدة خصّصها المونسنيور للكنيسة يتقدّس فيها كل يوم هو ومسيو كازو . والحجرة التي كانت تحت الكنيسة كان يسكنها المونسنيور وينام فيها . واذا جاء احد يزوره يستقبله [١٢٦] في الديوانخانة . وانا انزلوني في احدى الحجر وبقيت اصحّ شيئاً فشيئاً . وبعد يومين جاء مهمندار الشاه ليزور المونسنيور مع باقي ناسه . وبما اني كنت مريضاً كان عازريا يترجم عوضي . ثم سأل المهمندار المونسنيور قائلاً : هل انت راضٍ من سفرك ؟ قال انا راضٍ ولكن نصف القرى ما اعطوني حقّ الذخيرة المكتوب عليهم مثل الامر . فقال له لماذا لم تحصّل منهم بالدكوس[3] مثل باقي الالجية ؟ قال ما يحقّ لنا ان نأخذ مال الناس بالجبر . فبقي المهمندار حيران من كلامه . وبعد كم يوم اهدى المونسنيور فرسي مع شيء آخر الى المهمندار.

ثم ان المونسنيور [١٢٧] امر واحداً فرنجيّاً تاجراً من مرسيليا كان في

١) بودّي اي اريد ٢) الجيّدة ٣) قسراً وجبراً

اصبهان حتى يعمل قبوة[١] قماش لخدّامه ولي انا ايضاً ولكل ناسه . وحضّرنا جميع اشغالنا وقلنا ربما يطلبنا الشاه . واما انا فبعد ما كنت نصحت[٢] قليلاً مرضت ثاني مرة ومرض ايضاً مسيو كازمو . وكنّا كلانا نازلين في حجرتين الواحدة قبال الاخرى . وكان المونسنيور يجي، يزورنا ودموعه تجري من عينيه لاجل الحنوّ الذي في قلبه . وبعدكم يوم مات مسيو كازمو ودفنّاه في جولفة وبقيت انا في مرض شديد . وكان المونسنيور يجي، كل يوم من بكرة يزورني . وبعد [١٢٨] القدّاس ايضاً يجي، يزورني وقبل الغدا وبعد الغدا ايضاً . وكذا قبل العشا وبعد العشا . وكان كل مرة من حنوّه يجسّ نبضي ويحط يده على قلبي فكنت أمسكها وأبوسها وأشمّها وأستنشق منها رائحة كرائحة الفردوس . وكنت أبكي واطلب منه البركة . فكان يباركني ويقول أما تريد ان تموت وتروح حالاً الى الفردوس ؟ فكنت اسكت . فيقول لماذا لا تجاوب ؟ فكنت اقول يا سيدي ما اقبل ان اموت الآن بل اريد ان ارجع الى اهلي واخوتي . ثمّ كان يجلس قبالي على كرسي ويسلّيني بكلامه الطيّب الروحاني [١٢٩] والدموع تجري من عينيه . ثم يودّعني ويرجع . وكان مرضي يشتدّ حتى قاربت الموت . وكان يزورني كل يوم اربع خمس مرّات واحياناً يجي، ومعه الحكيم .

وفي ذات ليلة اشتدّ عليّ المرض فجاء المونسنيور والحكيم واحضر من معجون الياقوت والجواهر (؟) وسقاني اياه بخمر - ودهن الحكيم بطني بدهن ثم غطاني وبعد قليل نمت وكان لي خمس عشرة ليلة ويوم لم اكن انام ولم اذق شيئاً بل كنت اشرب ماء فقط . وبعد ما غفيت مقدار ربع ساعة استيقظت ونظرت المونسنيور جالساً قبالي [١٣٠] فسلّاني ثم رجع الى مكانه . وانا ابتدأت انصح يوماً فيوماً حتى نصحتُ بالكلية . وعلّمني خدمة القداس وبقيت اخدم القداس مقدار سنة وشهرين حتى جاء القسّيسان مسيو ريك ومسيو صنصون من باريس .

وبعض ايام كان يبدأ يلبس البدلة ليقدّس فكان يجي، اليه المهمندار ام

١) قباء واراد به الرداء ٢) تعافيت

ناس آخرون ليزوروه . فكنت اقول لـه عنهم فلم يكن يلتفت لذلـك ولم يكن يغيّر عادته لسببهم اي انه لم يكن يقـدّس بعجلة بل كان يتموّق دائمًا في القداس مقدار ساعة [١٣١] في صلاة الفكر[1] ثم يرجع يكلم الآتين اليه. واذا لم يكن احد يطلبه فكان يسمع قداساً آخر بعد قداسه ثم يرجع الى حجرته ويجثو امام الصلبوت مقدار ساعة وازيد. ثم يطلع الى البستان ويتمشى قليلًا . ثم يرجع الى حجرته يقرأ او يكتب . ثم يصلي صلاة نصف النهار . ثم يأمر بوضع المائدة . وكان الخـدام واقفين دائمًا على باب حجرته حتى اذا احتاج اليّ او الى غيري يهزّ الجرس الصغـير الذي عنده فيجيء اليه الخادم فيأمره بما يريد .

واما انا فبعد خلوص القداس [١٣٢] كنت افطر واركب فرسي وآخـذ معي خادماً وأروح الى السوق اشتري كل ما نحتاج اليه . وكنت اعمل هكذا كل يوم . ولما كنـا نتعشى كان المونسنيور يأمر بان يجتمع كل ناس البيت والخدام في الديوانخانة فيدخل ويقول الليتانية . وبعض الليالي كان يكرز على الخدام بالايطاليـاني وانا كنت افسّره بالتركي . ويوم الاحد كان يبعث فرساً مع احد الخدام الى جولفة ويُحضر البـادري سبيريتو اليسوعي فيجيء يتغدى عندنا . وبعد الغدا يدخل الى كنيستنا فيجتمع كل الخدام ويدخل المونسنيور ايضاً يحضر ويبدأ البادري يكرز باللسان الارمني .

١٨ زيارة المونسنيور يكيت لعباس شاه العجم — وصف بلاط الشاه

[١٣٣] وبعد دخولنا الى اصبهان بمدة شهرين او ازيد صار عيد المسلمين . وعمل الشاه (عباس) ضيافة ودعا جميع الالجية والمونسنيور ايضاً . وارسل اليه خمس افراس مسرجة مزيّنة بالسلاح والآلات الفضية . وجاء الينـا ايضاً جميع الفرنساويين الساكنين في جولفة من الكلونين (؟) وغيرهم وهم راكبون خيولًا مطقّمة مزيّنة ومع كل واحد شاطر اي خادم يمشي قـدام فرسه مثل عـادة البلاد . فركب المونسنيور وركبنا كلنا . واولًا راح المهمندار وبعض ناسه

[1] الصلاة العقلية اي التأمل

قدامنا . ثم ركب اثنان من ناسنا وسحب كل واحد فرساً في يده [١٣٤] مزيناً مطقماً بالرجارج[1] المرقومة بالذهب . وذلك اكراماً للالجي . لانه لا يقدر احد يسحب فرساً الا قدام الشاه او الالجي . ويسمونه بالتركي يداغ وبالفارسي كوتال . ثم ركبت انا ومشي قدامي شاطران . لانه من عادة الترجمان ان يروح الى قدام بسبب انه لسان سيده. ثم ركب المونسنيور احسن الخيل التي ارسلها الشاه ومشي قدامه ازيد من عشرين خادماً لابسين كلهم ثياباً حريرية وفي يديهم عصيّ . ونحن كان عندنا ثمانية خدام والباقي كانوا خدام الفرنساويين الذين جاؤا معنا . ثم ركب باقي ناسنا والفرنساويون ايضاً . [١٣٥]

وبهذا الطقس[2] العظيم اخذونا الى سراي الشاه الذي يسمى علي قابي اعنى باب علي . وقدام هذا السراي ميدان فسيح اكبر من بياتسا ناونا[3] بثلاث مرات وكذلك عرضه . اما السراي فهو من طرف القبلي وقباله من طرف الشمال حيث تدقّ الساعات . ومن الطرف الشرقي هو الجامع الكبير وقباله من الطرف الغربي مكان ما تندقّ الطبول والزمور والنفيرات وقت المساء ووقت طلوع النهار . ويسمى هذا المكان نوبة خانة . وحوالي هذا المكان كله دكاكين من الوجهين وحواليه ايضاً فندق محفور يابس. وقدام باب السرايا [١٣٦] عدة طوبات[4] موضوعة عن الجانبين . وكان هذا الميدان مكنوساً معزّلاً ولم يكن فيه من البائعين والشارين كباقي الايام . وكان الناس جميعهم خارج الخندق واقفين صفوفاً صفوفاً يتفرّجون . وكان ثلاثة افيال مربوطة قدام باب السراي مغطاة بجلول الزركاف وقدام كل واحد لقن ذهب ليشرب ماء . وثلاثة سباع ايضاً مزنجرة وقدام كل واحد لقن ذهب . والى جانبي السراي خيول مربوطة مزيّنة بالسروج الذهبية والرخوت المرصّعة بالجواهر . وكانت ازيد من عشرين فرساً . وهذا السراي هو ملجأ . اي ان كل انسان يعمل

١) السروج ٢) الترتيب والنظام

٣) احدى ساحات رومية القديمة Piazza Navona

٤) مدافع

ذنباً ام يقتل احداً فاذا [١٣٧] هرب الى هذا السراي يخلص.

وقبلما ندخل الميدان نزلنا نحن عن الخيل . اما المونسنيور فدخل راكباً الى نصف الميدان ونزل . ثم دخلنا داخل السراي وجلس المونسنيور بين الالجية الذين كانوا جالسين في احد المجالس . اما خواص الشاه فبقوا يجون يستدعون الالجية واحداً واحداً ويدخلونه الى الشاه . ثم اخذوا المونسنيور وادخلوه وانا خلفه ومعنا ثلاثة آخرون وهم الحكيم وعازريا وشابٌ افرنجي خدم عند المونسنيور في اصبهان. واول دخولنا في الباب الاوسط جاء وزيران من الوزراء واخذا المونسنيور بينهما في الوسط. فلما دخلنا نظرنا حوشاً واسعاً جداً [١٣٨] وفي نصف الحوش بركة واسعة والماء يفور منها . وفي اربع قرانيها اربع خوابي مصوغة من الذهب الاحمر . وحوالي الحوش من اربعة أطرافه جنود واقفة مصطفة صفوفاً صفوفاً كل واحد برتبته وهم لابسون ثياب الزرباب[1] متحزّمين بالسيوف حاملين البندقيات على اكتافهم . وفي صدر الحوش ايوان كبير جداً والشاه جالس هناك . ثم ان الوزيرين اخذا المونسنيور حتى وصلنا الى باب الايوان . فجاء وزيران اكبر واخذاه في الوسط ورجع الوزيران الاولان . وانا كنت راثماً وراءه . اما رفاقنا فلم يتركوهم يجون بل بقوا واقفين في الحوش.

[١٣٩] فدخلنا ورأينا الشاه جالساً تجاهنا في الصدر على صفّة أعلى من المجلس بشبر وحوله ازيد من عشرين شاباً بعمر خمس عشرة سنة كلهم اولاد اشراف مزيّنين بافخر الثياب الذهبية وفي رؤوسهم مناديل منسوجة بالذهب . فأمرنا الوزراء بالسجود فسجدنا وصعدنا درجتين اخريين ونظرنا المجلس مفروشاً بالطنافس الحريرية المنسوجة بالذهب . وجميع الالجية والسادات جلوساً عن يمين الشاه ويساره . فامرنا الوزراء بالسجود ثانية فسجدنا واخذونا الى قدام الشاه حتى بقي بيننا وبينه [١٤٠] اربعة اشبار لا ازيد. وكان الموسيقيون يطربون ويرتلون فرفع الشاه يده فبطّلوا. وابتدأ المونسنيور يتكلم بالايطالياني. ولما فرغ سأل الشاه من الوزير عما يقول . فقال لي الوزير تكلّم . ففسرت بالتركي كل ما قاله . وبقي الشاه يسأله عن بعض اشياء مقدار ربع ساعة

١) زيّ جنود الفرس وهي ثياب ملوّنة

بكلام معقول وحشمة وانشرح من كلام المونسنيور جداً . واجلسوه عن اليمين بين الالجية . فلما رأيت ان الشاه اعز المونسنيور ووقره طلبت من الوزير كرسياً حتى يجلس عليه المونسنيور [١٤١] . فقال لي لو قلت لي من أمس لكنت احضر له كرسياً ولكن الآن ما اقدر . فقلت له ان كنت ما تجيب[1] كرسياً فانا اروح اطلب من الشاه . فراح هو وكلّم الشاه عن ذلك فامره باحضار كرسي . فقال الوزير لاحد الواقفين فراح جاب كرسياً صغيراً مرتفعاً عن الارض نحو شبر مصنوعاً من ابنوس وزرنيشان اي شريط فضة . فتناولته وجعلته تحت المونسنيور . فلما نظرني باقي الالجية الحاضرين بقوا يطلعون[2] في بالقدر .

ثم جابوا وضعوا قدام كل واحد صينية ذهب ملآنة من ملبس السكر المصنوع بالمسك والعنبر باجناس كثيرة [١٤٢] . وبعد ذلك جابوا وضعوا المائدة من اطلس مرقوم بالذهب وقدام كل واحد ينكري[3] ذهب ملآن پلاو[4] وغير اطعمة كلها في صحون ذهبية . ثم وضعوا مائدة قدام الشاه عليها صحون من فرفور اعني برسلاني[5] فيها پلاو غير جنس . وكانوا كلهم يأكلون بيديهم اما المونسنيور فبالملعقة قليلاً قليلاً . وكان الشاه ينظر اليه ويتضحك . وكنت واقفاً جنبه ولم اجلس للغدا . فقال لي الوزير اجلس فلم اجلس .

وبعد ما تغدوا قاموا جميعاً وقمنا وانصرفنا كل واحد الى سرايه [١٤٣] . ولما وصلنا الى سرايانا تغدّى عندنا جميع الفرنساويين وخدامهم . وبعد الغدا اعطى المونسنيور بخاشيش لخدام الفرنساويين وراحوا الى بيوتهم . ودخل المونسنيور الى حجرته ليصلي كعادته . وكان يعمل هذا المجد غصباً عنه اكراماً لسلطانه . اذ لم يكن يريد هذا الافتخار بل كان يفتش عن المجد السماوي . اما الافراس التي بعثها لنا الشاه مع خمسة من شطّاره فبعد ما مشوا قدام المونسنيور رواحاً ومجيئاً انعم عليهم بكم قرش ورجعوا بالخيل الى

١) تحضر ٢) يتفرّسون
٣) صحنة ٤) ارز
٥) porcelaine وهي صحون صينية

السراي ·

[١٤٤] وكان في جولفة خمسة اخوة ارمن يسمون اولاد شهرمان وهم اغنياء قاتوليقيون مع عيالهم يحبون المونسنيور حباً زائداً لاجل فضائله وحلاوة الفاظه · فجاؤا ثاني يوم اليه وفرحوا بالعزّ الذي صار لـه من الشاه · وكانوا يجون يتغدون عندنا بعض ايام مع ارمن وغيرهم · ونحن كنا نخبز على طقس بلاد الفرنج · وكان اولاد شهرمان الارمن يطلبون من الخبز ويأخذونـه الى بيوتهم كحسب البركة · ثم دعوا المونسنيور الى بيوتهم فرحنا وعملوا له عزّاً عظيماً [١٤٥] وبارك بيتهم ·

١٩ الاحتفال بوبيل السنة ١٦٨٣

ولنا في جولفة كنيسة لليسوعيين · فكان اذا راح المونسنيور الى جولفة ليقدس يجتمع جميع الارمن القاتوليقيين ويسمعون قداسه وكرزه · وكان بعضهم يعترفون ويتقدسون[١] · وفي تلك السنة (١٦٨٣) جاء مكتوب من البابا[٢] الى المونسنيور في امر الجوبيليو (اليوبيل) اي الغفران · فرحنا الى جولفة وقدس المونسنيور وحضر جميع الارمن القاتوليقيين وبعض المراطقة · وقرأ البـادري اليسوعي مكتوب البابا وجاء جميعهم وتباركوا منه ومن المونسنيور · واوصاهم عن الخير الواجب فعله لاجل هـذا الغفران اعني [١٤٦] ان يصوموا ثلاثة ايام ويتصدقوا بما يمكنهم ويزوروا الكنائس الكاثوليكية ويعترفوا ويتقربوا · وبعد القداس رجعنا الى البيت · ثم عملنا جميعنـا الواجب الجوبيلي وزار المونسنيور كنائس الرهبان في اصبهان اعني كنائس الكبوجيين والكرمليين والاوغسطينيين وتصدق عليهم وعلى الفقراء ·

٢٠ وصف مناقب المونسنيور بيكيت وفضائله

وكان المونسنيور بيكيت يروي مثلاً صالحاً بزيادة فضائله: بصومه وصلاته وصدقته ومحبته · فكان صومه ازيد من صوم الناس جميعاً · يصوم الى مـا

١) يتناولون القربان الاقدس

٢) اينوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦-١٦٨٩)

بعد نصف النهار ويقتنع بشيء قليــل ويتغذى به . ولم يكن يزيد في الوان المـآكل . [١٤٧] ووقت النوم كان يأكل لقمتين او ثلاث لقم خبز مع تفاحة مشوية . ويشرب قدح شراب ممزوج . وكان فرحان القلب كأنه اكل خروف حامداً شاكراً . وكانت صلاته من داخل قلبه . فكان اذا اراد ان يصلي يبرك على الارض امام المصلوب في حجرته ويمكث في الصلاة العقليـة مقدار نصف ساعة واكثر . وعيناه تهطلان الدموع نازلة على ثيابه كالمطر . وبعـد الصلاة العقلية كان ينتصب واقفاً على رجليه ويأخذ الكتاب بيديه ويصلي براس منحنٍ امـام المصلوب وبفكر مجموع ونظر مكفوف الى الارض . وبعـد الوقوف كان يجثو على الارض [١٤٨] ويبقى جاثياً مدة حتى اني بعض اوقات كنت اكون عنده لما كان الخادم يقلع ثيابه ويسحب جواربه حتى ينام . فكنت ارى ركبتيه كركبة الجمل قد تشدد اللحم وجفّ من كثرة الجثوّ على الارض مع انه كان نحيفاً ضعيفاً قليل الغذاء . ولا شك ان الروح الحالّ فيــه كان يساعده ويقوّيه على هذه الصلاة الطويلة . ولم يكن يفعلها جهراً ليأخـذ المجد من الناس بل كان داخل مخدعه يغلق الباب ويصلي هذه الصلاة النقيّة بينـه وبين ربه . واذا سألني سائل قائلاً : ان كان المونسنيور يغلق الباب [١٤٩] ويصلي داخل مخدعـه فمن يا ترى كان يكشف وراه ؟ فـاجيب ان اغلب الايام لما كان يصلي كان يجيء اليـه بعض اكابر من المسلمين او المهمنـدار فيدخلون اليَّ ويجلسون عندي . وانا كنت اروح عند المونسنيور حتى اطلب لهم الدستور فكنت ابصر الباب مغلقاً فكنت اميز من شق الباب فاراه جاثياً في الصلاة فاعمل اشارة بالباب بالهـدو فكان يجاوب قائــلاً : مَن تكون ؟ فكنت اقول عبدك . فيقول اصبر . الآن افتح لك . وبعد ما كان يكمل كان يفتح لي الباب ويكلمني بالمحبة والمعرفة [١٥٠] . فكنت انظر عيونـه ملآنة من الدموع . فيسألني ما تريد ؟ فاقول ان الامير فلاناً جاء يزورك . فكان اذا كمل صلاته يقول أحضره الى الديوان مكان استقبـال الزائرين والاصحاب . والا فاذا كان ما كمّل صلاته يقول لي تكلم معه مقدار كذا وكذا ثم يجيء . فكنت ارجع واحكي معهم مقدار مـا امرني ثم آخذهم

الى الديوان فيجلسون على الكراسي . وهو كان يلبس فروته السمور[١] ويدخل عليهم فينهضون واقفين له ويتقدمون اليه ويسلّمون عليه . لان عادة اهل العجم في سلامهم [١٥١] ان الصغير اذا كان واقفاً والكبير مجتازاً يسبق الصغير ويعطي السلام للكبير . اما الترك فيفعلون بخلاف ذلك اعني ان المجتاز يسلم على الواقفين . ثم كان المونسنيور يجلس ويحادثهم وانا اترجم بالتركي . وكان يأمرني بالجلوس فلم اكن اجلس . بل اذا كان الزائر نصرانياً كنت اجلس .

ولنرجع الآن الى مقصودنا عن صلاته . فان هذا الرجل الصالح كان دائماً على قرار واحد . فلو قالوا له مثلاً ان الشاه جاء يريد يكلمك فكان يقول يصبر الى ان اكمّل صلاتي . ولو قالوا ان البيت راح يسقط فلم يكن يترك صلاته [١٥٢] . هكذا كانت صلاته ولم يكن يقصرها ابداً لا في درب ولا في مرض ولا في وقت الاستعجال ولا في البرد . بل كانت هي بعينها في البيت وفي الدرب معاً . في السكون والراحة وفي زمان الاستعجال . في العافية وفي تغيير المزاج. هذا ما ذكرنا عن الصوم والصلاة وهو جزء واحد من المائة.

اما عن الصدقة فهو شيء فوق الطبيعة البشرية . لانه لم يقصده انسان بصدقة ويرجع خائباً ابداً . بل كان يعطيه الممكن . ومن جملة صدقاته نحكي واحدة غريبة تحيّر [١٥٣] عقول السامعين وتستوجب الذكر . كان عند المونسنيور خادم اسمه اثناس شابّ عمره عشرون سنة او ازيد وهو قاتوليقي الاعتقاد ارمني . وبعد ما خدم المونسنيور كم شهر خرج وراح بدون دستور . وبعد شهرين ثلاثة سمعنا انه تزوج وارتسم قسيساً . لان الارمن لم يكونوا معتادين ان يرسموا قسيساً ما لم يتزوج . ففي ذات يوم اقبل اثناس المذكور الينا فجاء البواب واعلمني وطلب له دستوراً ليعبر . فقلت خلّه يجيء [١٥٤] فدخل اليَّ واجلسته وقلت له سمعنا انك صرت قسيساً . قال نعم . وطلب ان استأذن له من المونسنيور ليدخل يزوره ويقبل يديه . فتركته في اوضتي وقصدت المونسنيور وحكيته . فقال خلّه يدخل . ولما دخل نهض

١) السمّور حيوان برّي لونه احمر مائل الى السواد . يُتّخذ من جلده فراء ثمينة . وربما أُطلق السمور على جلده كما أطلقه هنا القس سفر . وقد سبق وصفُهُ.

واقفاً بعد ان علم انه كاهن . فجثا الناس امامه وقبّل يده. فاقامه المونسنيور وامره بالجلوس على كرسي ولم يذكر له شيئاً عما فعل اعني عن رواحـه بغير دستور بل ابتدأ يكرز عليه ويعرّفه درجة الكهنوت وارتفاعهـا . وكيف يجب ان يسلك فيها [١٥٥] . فقال يا سيدي. رسموني قسيساً ويريدون يرسلوني الى ضيعة . وما لي بدلة حتى اقـدّس فاطلب منك ان تعطيني بدلة كيفما كانت . فامرني المونسنيور ان ابعث استدعي اندريا الطباخ الذي كان يحفظ حوائجه . فجاء اندريا وكلّمه بالفرنساوي وطلب منه بدلته المليحة التي كانت مرقومـة بقصب من الوجهين وكانت تساوي مائتين غرش واكثر . فجابهـا فاخذها واعطاها للقسيس الناس . وبقيت انا واقفاً مبهوتاً في امري متحيّرًا . ثم اعطاه ايضاً مقدار صدقة حتى يشتري [١٥٦] له ما يلزم . واعطاه مقرمة[١] مرقومة بالقصب لاجل غطاء الكاس . ووقت الغدا أجلسه على المـائدة بين الكهنة وتغدى معنا . ثم اخذ البدلة وراح . وبقي كل من يسمع من جماعة الارمن عن هذا الخبر العظيم الزائد يتحيّر .

اما صدقاته للباقي وخيراته فلا تقدر تحرّرها لانها مشهورة في الدنيا. لانه لما كان قنصلًا في حلب مدة تسع سنين وازيد عمل خيرًا عظيماً . وفي زمانـه عضد اهل حلب . وكان دائماً يتصدق على الفقراء والمحتاجين من جميع طوائف النصارى [١٥٧] ولو كانوا هراطقة . وقد صرف اكثر من عشرة آلاف قرش لاجل طائفـة السريان ونصب لهم البطريرك اندراوس[٢] القاتوليقي . ورجعوا بواسـطتها الى احضان الكنيسـة المقدسة وهذا الخير يعلو على جميع الخيرات.

اما محبة هذا الرجل البارّ الصالح فكانت كقول السيد المسيح :« احبوا اعداءكم (متى٥:٤٤) ܘܫܪܟܐ[٣]. فكان يحب الهرطوقي مثلما يحب القاتوليقي. والمحسنين اليه كالمسئين اليه [١٥٨] . اما محبته للفقراء. فكانت ازيد من محبته للذين يكرّمونه واكثر من الاغنياء . فكان في جولفة اسقف ارمني هرطوقي

---

١) منديلًا

٢) هو السيد اغناطيوس اندراوس اخيجان بطريرك السريان الكاثوليك (١٦٦٢– ١٦٧٧)

٣) لفظ سرياني يقابل في العربية لفظ الخ

شقيٌ اسمه اسطفان يبغض القاتوليقيين جدًّا حتى انه لما كان ينظر قاتوليقيًا كان يسحب قباعته على عينيه لئلا ينظر اليه . واذا سلّم عليه قاتوليقي كان يفتل وجهه حتى لا يأخذ سلامه . وكان يهجو القاتوليقيين في الكنيسة واحيانًا في بيته ويتكلم عن المونسنيور . ومع هذا جميعه فما كان المونسنيور يتكلم عنه بشيء عاطل ابدًا . بل اذا جاء اليه بعض اصدقاء وحكوه عن [١٥٩] افعال هذا الشقيّ كان يبكي ويصلّي لاجله . ولو كان الجي غيره لعمل معه شرًّا وأدّبه . لكن المونسنيور لم يكن يريد ان يتكلم احد عن هذا الشقي بالعاطل .

ومن فضائله انه كان عنده خدام ارمن من جولفة هرب منهم اثنان واخذا الثياب التي عليهما . وكانا قد تديّنا بعض دراهم منه فهربا من جولفة الى مكان آخر . وبعد زمان رجعا . ولما سمعتُ اردتُ ان ابعث اناسًا لامسكهما واحبسهما فلم يرضَ المونسنيور بل قال لي اتركهما وسامحهما [١٦٠] . فهذا الشيء يفوق الطبيعة البشرية . ولا توجد مثل هذه الفضائل الا عند اناس قديسين كاملين . ولم يكن يطلع خلقه على احد او يتضايق من احد . بل كان اذا عمل احد نقصًا ينصحه ويكلمه بالهدو والسكون وينصحه لئلا يعمل كالاول . واذا احب ان يركب ويزور بعض الاصدقاء كان يدخل اولًا الى حجرته ويجثو امام المصلوب نحو ربع ساعة او اكثر . ونحن نكون حضرنا الخيل والخدّام ونبقى واقفين حتى يخلص . واذا راح لزيارة ديورة الرهبان [١٦١] في اصبهان ام في جولفة فاول ما كان ينزل عن الفرس ويدخل الدير كان يقصد الكنيسة ويجثو امام المذبح نحو ربع ساعة ثم يخرج يتكلم مع الرهبان .

ورحنا يوم خميس الفصح الى دير الكرمليين وجاء من ارمن جولفة ثلاثة عشر رجلًا حتى يغسل المونسنيور ارجلهم فأمرني ان اشتري لهم ثيابًا بيضاء . وحمل المونسنيور الميرون المقدس ثم غسل ارجلهم واضافهم وخدمهم هو بنفسه على المائدة وأحسن اليهم [١٦٢] بالحسنى ورجعنا الى بيتنا . وثاني يوم ارسلني الى الدير فجبت قنينات الميرون .

اما سخاوته فكانت زائدة جداً لانه كان يأمرني دائماً ان اصرف الدراهم في جميع ما يحتاج اليه البيت لئلا يكون شيء ناقص . واكثر الايام كان محبوه الارمن يجون من جولفة ويتغدون عنده كما سبقنا فذكرنا واذا جاء اليه جوعان كان يغدّيه او عريان كان يكسيه . ويجبر خاطر كل واحد ويرسله

٢١ ضيافة الشاه عباس للمونسنيور بيكيت وحكاية المطران ورتان وبطريرك الارمن

وبعد ايام عمل الشاه ايضاً ضيافة [١٦٣] وصاح الالجيّة والمونسنيور معهم الى السراي المذكور . وكان الشاه جالساً في العلّية فوق علي قابي وهي تشرف على الميدان . وكان الخيل والفيلة والسباع مربوطة كما ذكرنا . فركبنا ورحنا كالسابق ودخلنا واصعدونا الى حيث الشاه . فجلس المونسنيور . واحضروا ثوراً كبيراً واطلقوا عليه احد السباع فلم يُطِق عليه . فاحضروا ثوراً اضعف فوثب عليه السبع ومزّقه ونحن نبصر [١٦٤] . ثم تغدّوا وبعد الغدا رجعنا .

والآن نخبر عن المطران ورتان الارمني الذي ذكرناه سابقاً . فكان يكرز ببلد تفليس على الارمن . ولما وصل اجيازار بطرك الارمن الى دير كرسيّهم اجميازين قريب ايروان راح بعض الارمن واشتكوا للبطرك على المطران ورتان انه فرنجي ويكرز علينا . فبعث البطرك اناساً واستدعاه . ولما حضر امر بحلق اكليل رأسه ثم حبسه في مكان مظلم . فلما سمع المونسنيور بذلك بعث مكتوباً الى [١٦٥] البطرك بان يعتق المطران من الحبس . فلما قرأ البطرك المكتوب اخرج المطران ورتان واكرمه وجبر خاطره واعطاه اسقفية احد الاماكن . ثم ارسل البطرك هدية الى المونسنيور من تبركات القدس مع مكتوب اعتذار صحبة مطران اسمه خاجيك . فقبل الهدية واكرم المطران .

(لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Dr Fr. William, La Vie de Jésus dans le pays et le peuple d'Israël. Traduit de l'allemand par Mr l'abbé Marcel Gautier. In-8° carré, 528 pp., 33 hors texte. Mulhouse (Ht-Rhin), Editions Salvator. Prix : 25 fr.

حياة يسوع في بلاد اسرائيل وبين شعبه.

لقد نال كتاب الاستاذ وليام في «حياة يسوع» انتشاراً نادر المثال. ظهر في اواخر السنة ١٩٣٢، وها هو الآن في طبعته الرابعة (الالف العشرين). فضلاً عن ان طلبات الاجازة بالترجمة تواردت على المؤلف من عشرين بلداً. فظهرت مع الترجمة الفرنسوية الحاضرة، ترجمات باللغات الانكليزية والصينية والاسبانيـة والهولندية والمجرية والايطالية ... وقد اجمع النقّاد على الاعجاب بالكتاب لما اظهره المؤلف من براعة ومقدرة اذ توفق الى ايجاد تأليف موضوع لجمهرة القرّاء. ومستندٍ الى الاسلوب العلمي الدقيق بما يتحقق فيه من الجهود ارباب الدروس الكتابية، والاثريون، واللغويون، والاختصاصيون بدرس الشعوب. ويتحقق الجهد نفسه السلاهوتيون فيعجبون، دون شك، بتضلّع المؤلف من العلم المسيحي. على ان هذا العلم لا يبدو بطريقة جافة تنفّر المطالع، انما يأخـذ به المؤلف اساساً لكتابه يبني عليه ما توفق اليـه من وضع صورة المسيح في محيطها المملوء بالحياة.

وهناك كثير من الرسوم والصور التي اخذها المؤلف نفسـه، مدة اقامتـه بفلسطين، تفيد الكتاب روعة فائقة اذ تعرض على انظار المطالع تلك المشاهد التي طالما تأملها السيد المسيح. والمؤلف يدعو بلاد فلسطين «الانجيل الخامس» لان معرفتها والاطلاع على احوال سكانها من الضروريات لفهم حياة المسيح. وقد كان الدكتور وليام اول من اتيح له استخراج كل النتائج الممكنة من هذا الدرس. فاستحق الشكر الجزيل.

Henri Bertin de Williers, **La voie étroite.** Paris, nouvelles éditions Argo. Prix : 15 fr.

الطريق الضيّقة

يصف المؤلف فتاةً عصرية اسمها مادلين تريبارت عرض لها ما دفعها الى الحياة الدينية في رهبانية الكرمل . وكان لها صديقة اسمها جنثيف مخطوبة الى شاب بعيد عن طريق الله، فارادت ان تستعين بصديقتها الكرملية في هداية خطيبها . فنشأت بين الراهبة والشاب مراسلات روحية انتهت بارتداد الشاب الى الدين ، بل بميله الى الحياة الرهبانية ، مما اثار مخاوف الخطيبة فمادت باللوم على صديقتها . الا ان هذه عملت على تعزيتها حتى قبلت مشيئة الله ، وسار كل من الاشخاص في الطريق التي سنتها له العناية ... قد يرى المطالع ان ليس في اخلاق هؤلاء الاشخاص ما نعرفه عادةً في اخلاق البشر من المرونة والاضطراب والتحوّل، فهم يبدون كابطال كورنيل على قسط وافر من السموّ. ولعلهم من نوع خاصّ لا تخلو منه البشرية ، والحمد لله . ومهما يكن من امر فان الكتاب قيّم يدفع الى التفكير،وهو حسن الاسلوب يجدر بان يقرأه الكثيرون حتى من لم يتعوّدوا قراءة الروايات. ج.ل.

Almanach catholique français pour 1934 Paris, Bloud et Gay, 1933.

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣٤

ها قد مرّ ست عشرة سنة على ظهور هذا التقويم ، وهو في كل سنة يزيد معلوماته ، ويحسّن موادّه ، حتى اصبح من كتب المعلومات الضرورية لكل من اراد الكلام عن الكثلكة في فرنسة.

G. Maillet, **Peinture religieuse.** [*Bibliothèque Catholique des Sciences religieuses*]. Paris, Bloud et Gay. In-12, 234 pp.

التصوير الديني

لا يخفى ان مادّة هذا الموضوع واسعة جدًّا ، حتى انه على مدة قرون عديدة لم يكن من مظهر لفنّ التصوير الا المظهر الديني. بيد ان المؤلف اختصر موضوعه على طريقة حسنة ، وخاصة باسلوب مبتكر ، فدرس كيفية ظهور

العاطفة الدينية في التصوير ، ودرس الطرق الفنية العملية التي استعملها الفنّانون للوصول الى ذلك . وقد قدّم على الدرس مقدّمة عرض فيها لبعض المفردات الوضعية ، والتعابير الجارية في فنّ التصوير ، فبيّن الفرق بين معناها في التصوير الديني ومعناها في التصوير الدنيوي العادي .

Menahem Zulay, **Zur Liturgie der babylonischen Juden. Geniza-Texte.** [*Bonner orientalistische Studien herausgegeben von.* P. Kahle *und* W. Kirfel, Heft 2 | In-8° de X+90 pp. Stuttgard, W. Kohlhammer, 1933. Prix : M. 7,50.

هذه مجموعة من الشعر الربّاني القديم بابلية الاصل ، وُضعت لتُنشد مرتّلةً في سبوت معيّنة . وقد تكون ، في اصلها ، قسماً من مجموعة اناشيد تُرتّل على ايام السنة الطقسية الاسرائيلية . واكثرها مؤلفة على الطريقة الابجدية ، المعروفة في بعض الاناشيد الدينية ، وقوامها ان يبدأ كل بيت بحرف مقصود يؤلف ، مع الحروف التي تبدأ الابيات التالية ، كلمات مخصوصة .

ويظهر ان المؤلف اراد ان يضع اسمه في بعض قصائده فعمد الى هذه الطريقة ، واذا بنا نستخرج منها اسم « يهوذا » . الا ان الاسم كثير الانتشار لا يفيدنا شيئاً في معرفة المؤلف . اما التأليف نفسه فيظهر قديماً يرقى دون شك الى ما قبل القرن العاشر . وهذا ممّا يبرّر عمل الاستاذ زولاي في ما صرفه من جهد لنشر هذا الكتاب .

ب . م .

A. Mallon, S. J., R. Kœppel, S. J. et R. Neuville, **Teleilât Ghassûl. I.** *Compte rendu des fouilles de l'Institut biblique pontifical*, 1929-1932. In-4° de XVII+193 pp., 67 fig. dans le texte, 72 pl. hors texte, dont 7 en couleurs ; 1 portrait. Rome, Scripta Pontific. Instit. Bibl., 1934.

تليلات غسّول

يعلم اكثر قرّائنا ان المعهد الكتابي الروماني باشر ، في السنة ١٩٢٩ ، حفريّات في موقع يرى بعض العلماء انه مكان مدينة سدوم ، ويدعى اليوم تليلات غسّول . وقد تتابعت الحفريّات على اربع دفعات فاتت بنتائج باهرة وان

كانت غير كافية حتى الآن للتثبّت من ان ذاك المكان موضع مدينـــة سدوم القديمة .

يبدو ذاك المكان ، الواقع ما وراء الاردن ، قديماً جدًا ، بل من اقدم الامكنة بالنظر الى فلسطين . فيظهر ان ثمرة من هذا النوع تأتي باهم الفوائد لعلم الآثار والمدنية الفلسطينية في الالفين الثالث والثاني قبل المسيح .

وقد قام بادارة الحفريات المرحوم الاب ألكسيس مالون اليسوعي ، رئيس الفرع الاورشليمي للمعهد الروماني المذكور . وكان يساعده زميله الاب كوبل اليسوعي الجيولوجي المعروف بتآليفه عن فلسطين . وشاء ان يعاونهما ، في القسم الخاص بفلسطين السابقة للتاريخ ، السيد نوفيل الذي طالما رافق الاب مالون في رحلاته الكشفية في انحاء فلسطين ، وهو اليوم ، على كونه كنشليار قنصلية فرنسة ، من اكبر الاختصاصيين في العلم المذكور .

ولا يمكننا ان نتبسّط في دقـائق الكتاب الذي هو القسم الاول من التأليف . انما نقول انه مثال للدرس الاثري بترتيبه ودقته وموضوعيّته ، وغنى اسانيده ، والتحفّظ في استنتاجاته . وقد اظهرت حفريات تايـلات غسّول نقاطاً عديدة للمقابلة بينها وبين غيرها من الاماكن الفلسطينية ، فضلًا عمّا كشفته من الآثار الفريدة في نوعها حتى اليوم كبقايا تصاوير جدارية تبدو ذات صبغة دينية ، وتكفي وحدها للدلالة على ما وصلت اليه منطقة فلسطين الواقعة على شواطئ البحر الميت من الرقي المادي في الالف الثاني ق . م .

ولم يُتح للمرحوم الاب مالون ان يسرّ بظهور مجلّده الاول ، فقد اصيب على اثر ما بذله من الجهود بمرض انهك قواه فنقله الى رحمته تعالى . على ان عمله العلمي النفيس سيُتابع بفضل زملائه في رومة واورشليم س . ر .

J. LAURENT, Essais d'histoire sociale. I. La Grèce antique. In-8° de 214 pp. Paris, Les Belles Lettres, 1933. Prix : 20 fr.

محاولات في التاريخ الاجتماعي : ١ً بلاد اليونان القديمة

مؤلف هذا الكتاب عميد كلية الادب في جامعة نانسي ، استفاد من اختباراته التعليمية والفته الطويلة للموضوع ، فجاء كتابه ناضجاً متصفاً بالوضوح والدقــة

والترتيب. واول ما يلفت النظر فيه انه يستند مباشرة الى الوثائق الاصلية فيستغل الشواهد العديدة من اقوال كتّاب اليونان انفسهم، او من اقوال العلماء الذين لخصوا ما تفيده من المعلومات الرقم والآثار القديمة.

فيطلعنا على آراء اليونان انفسهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذه الآراء تبعد احياناً عن آرائنا في الموضوع نفسه، وما ابعدنا اليوم عن المبادئ التي كانت تُسيّر حكومة اسبرطة! ومما يلفت النظر ايضاً ان قدماء الكتاب انفسهم كانوا يقرّون بعجز دياناتهم الرسمية عن سنّ الشرائع الاخلاقية (ص ٧٩-٨٧)

ومن فضل المؤلف الاستاذ لوران، انه يقدر بكل رزانة ما تقلّب من الصروف على بلاد اليونان. وهو يتبسَّط خاصة بدرس الصفة الزراعية التي كان يتّسم بها السكان الاقدمون، وبدرس الاحكام المختلفة المتخذة في سبيل اقرار وتحديد الملكية العقارية، لا في سبيل مساواة الثروات، ثم يدقق في درس بعض الحملات القديمة على العمل، وعلى ما كانوا يرون من ان موارد الحكومة الديموقراطية كانت تتسرّب الى موظفيها، تدقيقه في ذكر بغض الفقراء للاغنياء. وافضل دواء لهذا الداء الاخير هو ان توجد طبقة من الشعب متوسطة تكون مشتركة الفوائد بين الاولين والآخرين. «على ان هذه الطبقة الوسطى تظهر جامدةً في الكثير من الاحيان، فلا تعمل، بل تخاف الضرب، بل تخاف ان تضرب اكثر من خوفها ان تُضرَب» (ص ١٨٩). هذا وان النظام العام والتوازن الاجتماعي يعرضان فضائل مدنية ووطنية يجب تعزيزها بقوة سلطة ضابطة حكيمة.

ر. م.

J. D. S. Pendlebury. A Hand-book to the Palace of Minos at Knossos, with its dependencies. With a Foreword by Sir Arthur Evans. In-12 obl. de 63 pp., XIV planches photot., 8 plans et un grand plan du site collé sur toile ; 1 portrait de M. Evans. London. Macmillan a. C°, 1933. Relié : 4 sh.

دليل الى قصر مينوس في كنوسوس

لم يكن يُعرف شيء كثير عن الآثار في اقريطش منذ ثلاثين سنة. حتى كان من نصيب السر إيفنس ان يقدّر ما قد تظهره الحفريات في هذه الجزيرة

الشهيرة بلكها وإلهها مينوس ، فعقد العزيمة وباشر ، في منطقة كنوسوس ، حفريات تابعها بجدّ وثبات مخصّصاً بها حياته العلمية بكاملها . وكان من فضله ان حفرياته دفعت الايطاليين الى القيام بحفريات مقابلة في فايستوس ، ودفعت الفرنسويين الى اجراء حفريات مَليا ، وكلها تتابع على مثال حفريات كنوسوس، وقد اظهرت للعالم العلمي مدنية دُعيت « بالمدنية الايجية » تفوق اهمية وفائدة كل ما كان بالامكان تصوّره عن العصور المتقدّمة في بلاد اليونان السابقة للتاريخ ؛ كما انها اظهرت امرًا اوفر اهمية وهو اتصال هذا العالم الجديد بتاريخ شرقنا القديم .

ويعلم قرّاؤنا الكرام ان آثار اقريطش محفوظة في متحف كندية حيث يعجب بها السيّاح مرتّبةً ترتيباً موقتاً في بنايتها الحالية . بيد ان من شاء ان يطلع اطلاعاً واسعاً على المدنية المينوية ، فعليه ان يزور الاماكن نفسها التي أجريت فيها الحفريات . وهو أمر يسهّل القيام به هذا الكتاب الحاضر الذي ألفه معاون السر إيفنس فسمّاه « دليلًا » وخصه بوصف قصر كنوسوس الكبير وما يتعلّق به . وهو يلخّص ثلاثين سنة من الجهد العلمي ، مزدانًا بالصور والرسوم والخرائط الحسنة مما يعيد مظهر كثير من الآثار التي لا تزال اكثر اقسامها محفوظة في متحف كندية .

ولا شك ان السائح المثقف الذي يزور الجزيرة مستندًا الى هذا الدليل الواضح الترتيب ، يخرج منها وله فكرة واضحة عن ماضيها الزاهر وانّا ننصح قرّاءنا الشرقيين باقتناء هذا الكتاب النفيس الرخيص الثمن اذ لا يكلّف مجلدًا الا اربعة شلينات ، كما اننا ننصحهم ان يزلفوا قريباً رحلة مفيدة الى مهد تلك المدنية الراقية المتعلقة تعلقاً وثيقاً بتاريخهم نفسه . س . ن .

ELIANE MASSONNEAU, Docteur en droit, Licenciée ès lettres (philosophie). **La Magie dans l'antiquité romaine.** In-8°, 270 pp. Paris, Recueil Sirey, 1934.

السحر عند قدماء الرومان

لقد اختارت المؤلفة ، الآنسة اليانه ماسونو ، لاطروحتها في سبيل الدكتوراه في الحقوق ، موضوعاً يتعلق بتاريخ الديانات وبتاريخ الحقوق ايضاً . فدرست في

القسم الاول «السحر في الآداب والعادات الرومانية»، وفي القسم الثاني مقاومة السحر في التشريع الروماني.

ففي الالواح الاثني عشر، على تفسير هوثلن، منع لجميع الادعية والرقى التي من شأنها ضرر القريب او الرمي الى اخذ محصولاته. ثم في السنة ١٨٦ ق.م. ظهر قرار السكنال يعاقب بالموت من يقوم بالاعمال الدموية او بالتضحية بالاطفال. وفي السنة ٨١ ق.م. نرى ان شريعة كورنيليا *lex Cornelia de sicariis et veneficiis* تجعل الاعمال السحرية الرامية الى الاجهاض او الى الحب القسري من ضمن اعمال التسميم. وبناء على هذه الاحكام الشرعية، كان الكهان عرضة للمطاردة مدة الامبراطورية كلها. ومنذ القرن الثالث يشعر الدارس بالميل الظاهر الى الحاق المنجمين والعرّافين بالكهان. والويل لمن كان يسألهم كم يدوم حكم الامبراطور الفلاني او من يخلفه على العرش. ولما قام يوستنيانوس بقانونه ادخل فيه الاحكام السابقة، ولم يمز السحر عن الوثنية، كما انه في القرن السابق طورد البريسيليانيون بصفة كونهم هراطقة وسحرة.

هذا، وان يكن بعض النقص في شواهد الآنسة المؤلفة، فان عرضها للموضوع واضح واحكامها رزينة تستند الى درس عميق للنصوص المهمّة ر.م.

G. Lefranc, Les grands voyages de l'Antiquité. Avec 4 cartes hors texte. Paris, Librairie de la revue nautique. Prix : 12 fr.

الرحلات الواسعة في العصور القديمة

ألف هذا الكتاب احد المولعين بالملاحة على اختلاف انواعها. فجمع فيه المعلومات عن كبار المسافرين في العالم القديم كهامون وهميلكون القرطاجيّين، وستاسيس الفارسي، الرحّالة على الرغم منه، وكروزيوس المشتغل بالقرصنة على عهد ديوقلسيانوس. ولكن هذا الجمع اتى على شيء من الاضطراب والتشويش حتى ان من لا يستند، في الموضوع، الا الى هذا الكتاب قد يجحف بحق ذاك العصر. ثم ان المؤلف يضيف درساً عن الاطلنتيد يظهر رحلةً الى عالم الاحلام. على ان فيه ما يلذّ المطالع! ج.ل.

E. F. Tscheuschner, **Moenchsideale des Islams nach Ghazalis Abhandlung über Armut und Weltentsagung.** [*Allgemeine Missionsstudien*, Heft 15]. 56 pp. Gütersloh, Verlag C. Bertelsmann, 1933.

مثال النسك الاسلامي تبعاً لاقوال الغزالي في الفقر والزهد

يترجم المؤلف ما عرضه الغزالي في كتابه المشهور « إحياء علوم الدين » من الآراء في الفقر والزهد وما اليهما من عوامل الكمال النسكي. ولا يخفى ان الغزالي يظهر شديد الميل الى الاخذ بها حتى انه يدقق في ذكر تطبيقاتها ، على كونه يظل ضمن نطاق السنة الاسلامية متجنباً تطرّف بعض الصوفيين من الذين يعرضون المسيح مثالاً لهاتين الفضيلتين . على ان الغزالي يُقرّ ، في كتابه ، بجهله كيف يوفّق بين مشاهدة الله المبرّرة والملذّات المادية في الجنة الاسلامية ه. ل.

Maria Nallino, An-Nabigah al-Ga'di e le sue poesie. [Estratt. dalla *Rivista degli Studi orientali*, vol. XIV]. In-8°, 104 pp.

النابغة الجعدي وشعره

النابغة الجعدي شاعر مخضرم من الطبقة الثانية علق بحياته كثير من الاساطير فجُعل من كبار المعمّرين حتى قيل انه عاش مائتي سنة . وصحب النبي . على انه لم يكن له حظ في حياته ولا بعد مماته . فقد كان مُغلّباً غلبه زملاؤه في جميع المساجلات الشعرية والمهاجيات التي دخل فيها . ثم ضاع ديوانه بعد وفاته بمدة قصيرة . ثم انه لم يستحق ذكراً في دائرة المعارف الاسلاميـــة . ولا شك ان سميّه النابغة الذبياني كسفه . حتى جاء من يهتمّ به فقامت المؤلفة ، الحاملة اسماً معروفاً في الادب العربي الا وهو اسم نلّينو ، بجمع كل ما ورد عن الشاعر في تاريخ الادب وبنقده دارسةً اسم « النابغة » واسم قبيلته ، ملمّة بادق التفاصيل في حياته شارحةً كيف ان بعض المقاطع من شعره مدّت الرواة فنسبوا اليـــه عمرًا يتطاول حتى يتجاوز المعقول. اما الحقيقة فان بعض التفاصيل في حياته تفيد انه مات كبير السنّ في نحو التسعين عاماً ه. ل.

JOSEPH SCHACHT, Der Islam mit Ausschluss des Qorans. 2te erweiterte Auflage [*Religionsgeschichtliches Lesebuch*, n° 16]. Tübingen, Verlag von J. C. B. Mohr (Paul Siebeck), 1931.

لقد تكلمنا (مشرق هذه السنة، ص١٤١)عن الطبعة الاولى لهذه المجموعة الاسلامية وعما وجّه اليها احد اساتذة الالمان من نقدٍ عنيف. على ان هذا النقد لم يمنع الكتاب ان ينال طبعته الثانية، ولا ان يزدان اوله باسم العالم الكبير بالشؤون الاسلامية شنوك هورگرونيه الذي قبل تقدمة المؤلف اليه. وهذا كافٍ للدلالة على ان كتاب ذو قيمة. ه.ل.

Islamica, VIr Band. Heft 1. Leipzig, Verlag Asia Major., 1934. Mk. 10, Subscriptionspreis, 8.

مجلة الاسلاميّات : الجزء الاول من المجلّد السادس

يحتوي هذا الجزء على ختام الابحاث النفيسة في القراءات القرآنية. يلي ذلك مقال في التصاوير الاسلامية المحفوظة في متحف برلين يزينه اربعة رسوم. ثم نصّ عربي من كتاب «الصبر والرضى» للحرث المحاسبي، ورسالة اندلسية في علم الخيل. وهي ذات قيمة لندرة التعرّض لهذه الابحاث في الاندلس ه.ل.

S. FERDINAND-LOP, Le pétrole, le monde et la France. In-8°, 46 pp. Paris, Th. Poinsot, libraire, 1931. Prix : 7 fr., 50.

البترول والعالم وفرنسة

تلخص هذه الرسالة تاريخ احتكار الشركات البترولية، وسياسة البترول الدولية، وموقف فرنسة منها. ولا يخفى ان شركة البترول الفرنسوية لها نصيبها من آبار البترول في ما بين النهرين، وهي عضو في «شركة البترول العراقية». فيكون لهذه الرسالة قيمتها المفيدة.

COLONEL LAMOUCHE, Histoire de la Turquie depuis les origines jusqu'à nos jours. In-8°, 5 cartes dans le texte. Paris, Payot. Prix : 30 fr.

تاريخ تركية

ان كتاب الكولونيل لاموش يجمع لاول مرة في مجلد واحد تاريخ الشعب التركي منذ حلوله في آسية الصغرى حتى الحوادث المتأخرة. وقد عاش المؤلف

عشر سنوات في تركية العثمانية في اشد الاوقات حراجة، بل في الاوقات الحاسمة. وكان كل تلك المدة على اتصال مباشر بجميع الطبقات في المجتمع التركي، وبعناصر سكان المملكة كلها. ثم اشترك في الحملة على الدردنيل. فكان من ثمّ حقيقاً بان يفهم التاريخ العثماني الذي كانت تجري أخرى حوادثه امام عينيه. قال رينه پينون في مقدمته: « لقد صادفت الكولونيل لاموش، لاول مرة في سالونيك حيث كان يرئس اركان حرب الجنرال دجيورجيس، رئيس البعثة الاوروبية لتنظيم الدرك العثماني في مقدونية. وقد مكنته هذه الصفة من ان يدرس، عن قرب، الحياة التركية، والادارة، والعادات. ولما كان لغوياً بارعاً لم يكتفِ بالنظر، بل قرأ الوثائق في نصوصها الاصلية. فافاده ذلك تقدماً في فهم اخلاق الشعب التركي الذي كثيراً ما اقلق الشعوب النصرانية منذ دخوله اوربة بحملاته القويّة على بلادها. فلا عجب ان يكتب تاريخ تركية بوضوح ودقة. » وهو مفيد خاصة بالفصول الاخيرة المختصة بالحوادث المتتابعة منذ القرن الثامن عشر واهمها حكم السلطان عبد الحميد الثاني وما وليه. اما تركية الجديدة فتاريخها لا يزال في المهد. على ان المؤلف خصّ به الفصل الاخير.

U. R. S. S. Bilan, par Staline. In-8°, 217 pp. Paris, Denoël et Steele.

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بناء على تقارير ستالين

يُسرّ محبو الوثائق وحدهم بهذه المجموعة من التقارير عن الاحوال الروسية. واهمها تقرير ستالين في المؤتمر السابع عشر للحزب الاشتراكي الروسي الذي افتُتح في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٤، وقد عرض فيه ملخّص اعمال اللجنة المركزية مدة ثلاث سنوات، اي منذ انعقاد المؤتمر السادس عشر. وعلى كون هذا التقرير مكتوباً للروسيين، فانه يفيد غيرهم ايضاً بما فيه من نتائج مشروع الخمس سنوات، وما يحمله من آمال في المستقبل. وسنرى في الحوادث المقبلة الحكم على هذه الآمال.

وفي الكتاب قسم ثانٍ يحتوي على تقرير تام قرأه لتڤينوف في اللجنة التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الروسية في اواخر كانون الاول

واوائل كانون الثاني الفائتين ، وموضوعه سياسة روسية الخارجية . يليه تقرير لمفوّض المالية گرنكو يعرض فيه المنهاج المالي للسنة ١٩٣٤ . اما المنهاج الاقتصادي فذكر باختصار ، استناداً الى معلومات مأخوذة من قرارات اللجنة التنفيذية المركزية والى ايضاحات أدلى بها رئيس مجلس مفوّضي الشعب بمناسبة مشروع السنوات الخمس الثاني . وعلى الجملة فان الكتاب يظهر ذا مسحةٍ رزينة بما فيه من النصوص الرسمية مترجمة بامانة . ج . ل .

Maurice Grammont, Traité de Phonétique. In-8°, XII + 480 pp. Paris, Delagrave. Prix : 60 fr.

درس في الصوتيات

نشر الاستاذ موريس گرامون ، سنة ١٨٩٥ ، كتاباً في « الفروق المقطعية » فاختطّ طريقاً جديداً في الابحاث اللغوية . لانه أهمل عقيدةً قديمة في علم مقابلة الغراماطيقات قوامها ان كل لغة لها سماعياتها الخاصة وتطوّرها المنفرد ، واستبدل بها شريعةً سماعيّة عامة ، مبرهناً ان نواميس السماعيّات هي فوق اللغات تؤثر فيها ولا تتأثر بها ، فهي بشرية مشتركة بين الشعوب . اما ما هو خاصّ بكل لغة فطريقتها السماعية ، وكل لغة تطبق النواميس السماعية العامّة ضمن النطاق الذي تفسحه لها طريقتها . وقد أسس في عمله هذا علماً جديداً هو علم اللغات بالمعنى العصري . فاذا كان التطوّر السماعي يسير طبق نواميس عامّة ، فقد اصبح من الممكن ان تكون اللغة موضوع علمٍ حقيقي . ومن ثم فان مقابلة الغراماطيقات تصبح من نوع تجهيز المعلومات والابحاث . اما العلم الحقيقي فهو علم اللغات .

بعد ان اوضح العالم هذه الفكرة كان عليه ان يتثبّت من صحتها فيحدّد النواميس العامة التي يجري بموجبها التطوّر السماعي ، ويتحقق تطبيقاتها في اللغات البشرية . وقد خصّ الاستاذ گرامون بهذا الدرس ثلاثين سنة من حياته . فنشر مقالات عديدة ضمّنها ثمرة تفتيشاته وابحاثه . ثم عاد عليها فزاد ووسّع وجمعها في القسم الثاني من هذا المجلد ، حيث عزّز تلك النواميس العامة باكثر من سبعة آلاف مثل مأخوذة ، في غالبها ، من اللغات الآرية وهي اقرب منالاً من غيرها لانها مدروسة معروفة لدى العلماء . على انه اخذ كذلك امثالاً

متعددة من اللغات السامية كالعربية الفصيحة والدارجة والسريانيـة ، بل من غيرها كاللغة الانامية ولغة الزولو. ومن السهل ان يطلع القارئ على هذه الامثلة بفضل فهرس ابجدي في آخر المجلّد .

اما القسم الاول فقـد خُصّ بدرس اصوات المقاطع الكلاميـة وطرق تركيبها ، بصرف النظر عن اللغات التي تدخل فيها . وهنا ايضاً يطلعنا المؤلف على آراء طريفة ولاسيما في صوت المقطع المفرد والمزدوج ، وهو مشكل لم يحله العلماء قبل الآن الّا حلًّا مبتورًا . فكان من نصيب الاستاذ المؤلف ان يدلي بنظريات جديدة ويعزّزها بالاختبار . ولما كان منصرفاً منذ السنوات العـديدة لدرس هذه الامور ، سهل عليه تصوّر الحلول الجديدة لهذه المشاكل التي يعرض لها على طريقة جديدة كذلك ، لان الطريقة القديمة عجزت عن حلّها . فدُفع من ثمّ الى اكثار التصاوير والرسوم في كتابه .

وهناك قسم ثالث موضوعه السماعيات التأثيرية . وهو موضوع من اختصاص المؤلف كذلك يظهر لاول مرة في كتاب في علم السماعيات . وغـايته درس قيمة اصوات الحروف مفردة ومركّبة من حيث تأثيرهـا في السمع والنفس ، وقابليتها لاثارة الافكار وبالتالي امكانية استعمالها استعمالًا فنيًّا . وكان المؤلف اول من قام منذ السنة ١٩٠٠ ــ بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على تأسيس « مجلّة اللغات الرومانية » ــ بدرس شامل في العناصر الصوتية من حيث قيمتها التأثيرية والتعبيرية ، فأسس هذا القسم من السماعيات الذي يعرضه اليوم موسّعاً التوسيع الكافي. وقد اظهر فيه وفي القسم الثاني تأثير البسيكولوجية في السماعيات، كما كان اول من اشار الى هذا التأثير منذ السنة ١٨٩٥ .

هذا ملخّص يدلّ على ان الكتاب لم يستند كثيرًا مما سبقه ، وهو امر جدير بكل تقدير ان يكون تأليف علميّ طريفاً مبتكرًا شخصيًّا بهذا المقدار . ولا شك عندنا في انه اذا قام بيننا احد الموهوبين من المتكلمين باللغة العربية ، فدرس درساً جدّياً هذا الكتاب النفيس ، امكنه ان يستخرج منه مادة تأليف في علم السماعيات العربي يفتح في اللغة فتحاً جديدًا بما يدلّ به على الجمال الخاصّ الذي تفيده المفردات العربية في النثر وفي الشعر .

R. Noguès, Théorème de Fermat, son histoire. Paris, Vuibert. Prix : 25 fr.

تاريخ مسألة فرمات في الرياضيات

لو كان الرياضيون يهابون خوض المشاكل الرياضية لظلّوا حيارى امام نظرية فِرمات لانهم لم يتمكنوا حتى اليوم من البرهان عن صحتها برهاناً تاماً ، وذلك على الرغم من جهود كثير من كبار العلماء من امثال گوس وكوشي . فكان من ذلك ان زاد فضول الرياضيين ورغبتهم في درس هذه النظرية . وهذا ما دفع المؤلف الى تلخيص الجهود التي بُذلت حتى اليوم ، فاتى بكتاب لـذيذ مفيد قسمه الى قسمين عرض في الاول منها تاريخ تلك التفتيشات والبحوث عن حلّ النظرية ، وفي الثاني ملخصاً للطرق التي تبعها العلماء في تفتيشاتهم . ولا شك في انه مفيد لكل من يدفعه فضوله العلمي الى البحث في نظرية فِرمات الاخيرة.

ي. برلوتي

J. Grenard, Baber, fondateur de l'empire des Indes 1483-1530. In-12, 183 pp., 19 pl. dont 1 carte. Paris, Firmin-Didot et C^ie^.

بابر مؤسس امبراطورية الهند ١٤٨٣–١٥٣٠

لا يعرف جمهور الناس ، بل جمهور العلماء ، الشيء الكثير عن بابر ، حفيد تيمورلنك . وذلك لانه لم يكن ذا علاقة بالاوربيين موزّعي الشهرات . على ان حياته تجدر بالذكر وشخصيته حقيقة بالانتباه . وقد قضى طفولته وشبابه منفياً متشرّداً مغامراً ، فلم ينجح الا خارج بلاده آسية الوسطى ، فهبط الهند حيث أسس امبراطورية مكينة . وكان من فضله ان دوّن مذكّراته باسلوب رشيق عصي ذي نبرات ، فدلّ فيها على صفاته الفطرية ، ووفّر للمؤرّخين معلومات قيّمة في موضوع مهمّ . فاستفاد منها مؤلف الكتاب الحاضر ، مَن هيّأته دروسه السابقة لفهم رجال آسية وآثارهم ، فاهدى الينا اثراً نفيساً زاد فيه على معلومات بابر نظرات عامة مفيدة لجمهور المطالعين من غير ذوي الاختصاص . ومما يزيد قيمة الكتاب ولذته حسن ترتيبه وما فيه من الرسوم وفي بعضها بابر نفسه ، ولاسيا خارطة حسنة لآسية المتوسطة وللهند الشمالية في عهد بابر . ج. ل

Bartholomew's map of the Middle East. Edinburgh, John Bartholomew and Son Ltd. Price, mounted on cloth, folded, 6/-net.

خارطة للشرق الاوسط

هي خارطة دقيقة جداً كـكل الآثار الخارجة في مكتبة برتولوميو الشهيرة؛ وُضعت بقياس ١ : ٤,٠٠٠,٠٠٠، واشتملت على البلاد الداخلة في ما يُدعى تارة بآسية الغربية، وطوراً بالشرق الادنى، وحيناً بالشرق الاوسط كما هي الحال في الخارطة. واشتملت، فوق ذلك، على مصر حتى اصوان، وما وراء القوقاس وجنوبي بحر قزبين كله، وبلاد العرب الشمالية وخليج العجم. وقد استعمل فيها المقياس المتري للامطار والمياه. ودُلّ بوضوح تامّ على الطرق المعبّدة، ومجازات القوافل، وانابيب البترول، وسكك الحديد، ومحطات الطيران. واذا، ذكرنا كل هذا ذكرنا اهمية هذه الخارطة لجميع من تهمّهم بلاد الشرق من تجّار ومؤرخين وجغرافيين. ج.ل.

Louis Dimier, Histoire et causes de notre décadence. In-12, 193 pp. Paris, Editions R.-A. Corréa, 1934.

تاريخ انحطاطنا واسبابه

لا يخفى ان اوربة كلها إرث عن الامبراطورية الرومانية: ارث لاتيني اي مدني، وإرث روماني اي سياسي. وقد تطوّرت هاتان الصفتان وتمازجتا فألفتا اوربة مسيحية، حتى جاءت الثورة الفرنسوية فغيّرت كل شيء. لانها اخذت المبادئ المسيحية في المساواة والمحبة فطبّقتها منقوصة، مفسودة، مصروفة عن غايتها. ثم عملت على نشرها في انحاء اوربة. فالقت تلك الجراثيم التي ما فتئت تنمو شيئاً فشيئاً في الامكنة والازمنة المختلفة حتى اصبحت خطراً على وحدة اوربة ومستقبلها. هذا ما يقوله المؤلف في اسباب انحطاطنا. على انه يكاد يخفي النتيجة الطبيعية لهذه المقدمات بعنوان فصله الرابع (ص ٩٠) اذ يجعل مصدر هذا الانحلال المانية. من الحقّ انه كان لالمانية في القرن الثامن عشر طريقة في فهم العصور القديمة لم تكن طريقة اوربة. على ان هذه الطريقة لم تكن لتنجح لو لم تجد المجال مهيّئاً لها بعمل الثورة الفرنسوية. فان فكرة سموّ العنصر وحقوق القوميات افادت المانية دون شك، ولكنها ليست من

مكتشفات المانية . عدا ذلك، فالكتاب نفيس بما فيه من طرافة ودقة في عرض الحوادث وجمعها في سبيل الفكرة الجوهرية . ومهما يكن للمطالع من اعتراضات على بعض نتائجه ، فلا يسعه الا الاقرار بقيمته وحسن اسلوبه . ج.ل.

H. Wenzel, Sultan-Dagh und Akschehir-Ova. Eine landeskundliche Untersuchung in Inner Anatolien. [*Schriften des Geograph. Instituts der Universitaet Kiel*, Heft 1, 1932]. In-8°, 77 pp., cartes et dessins.

سلطان-داغ وآكشهر-اوفا

لا يخفى ان بلاد تركية الاسيوية ، او بلاد الاناضول ، لا تزال مدينة للغة اليونانية المدرسية بالكثير من اسماء اماكنها . وهو ما لاحظه المؤلف فذكره ، وان كان بطريقة غير شاملة ، خاصاً بحثه بسلطان داغ . وهو جبل يقوم في الجنوب الغربي من بطائح ليقونية ، وتمتد شعبه حتى مدينة قونية . والبحث غاية في الدقة والامانة تزينه الخرائط والرسوم ، مما يدفعنا الى التفاؤل بمستقبل هذه المجموعة الجغرافية الجديدة التي تهتم بها جامعة كيال. ج.ل.

Ch. Pesch S. J., Compendium theologiae dogmaticae. T. II. De Deo uno et trino. De Deo creante et elevante. De Deo fine ultimo et de novissimis. Editio V^a^, 1934. VIII + 292 pp. Freiburg im Breisgau, B. Herder. Prix, broché : Mk. 6., relié : 7,40.

في اللاهوت النظري : الجزء الثاني

ان المؤلف اشهر من ان يُعرَّف ، وكذلك كتابه المتكرّر طبعه حتى انه يكفي ذكر اسمه ليتقبل عليه الطلاب من الاكليريكيات الكثيرة . وبين يدينا الآن الطبعة الخامسة من الجزء الثاني، والكتاب، كما لا يخفى، يشمل اربعة اجزاء .

Reinstadler, Elementa philosophiae scholasticae, Edit. XV^a^. 2 vol. in-12, XLVIII et 1102 pp. Freiburg im Breisgau, Herder u. C°. Prix, brochés : Mk. 7,72, reliés : 10,25.

مبادئ الفلسفة المدرسية

وهذا التأليف ايضاً واسع الشهرة في الكثير من المدارس الاكليريكية . وقد اعاد النظر في هذه الطبعة الدكتور روبر ، فدقق فيها وزاد اموراً ستثير الانتباه دون شك .

J. AYNARD, La bourgeoisie française. 517 pp. Paris, Librairie Perrin. Prix: 35 fr.

الطبقة الوسطى الفرنسوية

لا يهتمّ المؤلف بتاريخ الطبقة الوسطى في فرنسة ، انما هو يورد ، في سبيل تفهيمها ، بعض الملاحظات النفسية القيّمة . فيدرس سير الطبقة الاجتماعية التي ، بعد ان ارتقت عن محيط الشعب ، لم تشأ الرجوع اليه ؛ يدرس ذلك بالنظر الى حوادث التاريخ الفرنسوي : كإلغاء تقييد الفلّاح بالارض ، والحروب الصليبية ، وحروب المائة سنة ، والنهضة ، والحركة البروتستانتية ، والثورة الفرنسوية . وفي كل من هذه العصور تظهر الطبقة الوسطى ظهور من يتعلق تعلقاً تامًّا بالربح المادي. وان هذا الاختصاص عمل شيئاً فشيئاً على تكوين روح تلك الطبقة واخلاقها . ولا شكّ في ان الكتاب باسلوبه الموافق يفيد التاريخ فائدة جزيلة ، وان من يدرس تاريخ فرنسة يجد هنا كثيرًا من المعلومات المفيدة لاتمام درسه . ج.ل

R. GROOS et G. TRUC, Tableau du XX^e s. — 1900-1933, Les Lettres. In-8°, 356 pp. Paris, Denoël et Steele.

جدول للقرن العشرين : الآداب

أيكفي ، في تأليف جدول عن قرن ، ان يكون مضى ربعه او ثلثه ؟ هذا ما يعرض للمطالع اذ يقف على هذا الكتاب . ومهما يكن من أمر فان هذا الجدول يُقسم الى اقسام اربعة : الشعر — النقد والتاريخ الادبي والتاريخ والمحاولات — المسرح — القصّة . وهو وافر المواد ، حسن الاسلوب ، جزيل الفائدة لمن يشتغلون بالنقد الادبي في الجرائد والمجلّات ج.ل

P. M.-A. JANVIER, O. P. L'âme dominicaine. 3 vol. in-12. Paris, Editions Spes. Prix : 12 fr. le volume.

النفس الدومنيكية

غاية هذه المجلدات ان تطلع جمهور القراء على اعمال الاخوة الواعظين ، وروحهم ، وطريقتهم ، واختصاصاتهم . وقد لفت نظرنا في الصفحة ٦٥ من المجلد الثالث ، بعنوان « المُرسل في رهبانية القديس دومنيك» ، ذكر المونسنيور بيده الذي عرفته هذه البلاد مرسلًا ، ورئيس اساقفة ، ثم قاصدًا رسوليًّا في ما بين

النهرين وكردستان وارمينية الصغرى . ولا شكّ في ان وطنيينا يقبلون على مطالعة ترجمة مُرسَل لم يترك بين ظهرانيهم الا افضل الذكريات .

تاريخ الصحافة العربية

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

الجزء الرابع : ٥٥٢ ص. متوسطة – المطبعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٣٣

طالما سُئلنا عن ظهور هـذا الجزء الاخير من تاريخ الصحافة العربية الذي ظهر جزؤه الاول قبل الحرب ، فسدّ فراغاً يشعر به كل من عني بكتابة شيء عن صحافتنا ، بل عن ادبنا العصري . ولا يخفى ان اشهر ادبائنا في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين عانوا جميعهم مشقّات الصحافة اما مديرين او محرّرين . فكانت فائدة هـذا التاريخ مزدوجة ، وكان فضل المؤلف مضاعفاً كذلك . وقد خصّ هذا المجلد بفهارس الجرائد والمجلات العربية في العالم كله مذ تكوين الصحافة العربية الى نهاية السنة ١٩٢٩ ، سائراً على اسلوب سهل ، مراعياً في تقسيم البلدان وتسمية الدول الوضع الجغرافي السياسي في السنة ١٩٣٣ ، مدوّناً اولاً عناوين الصحف ، وثانياً اسماء مؤسسيها على طريقة الترتيب التاريخي في ظهورها ، معلقاً بعض الحواشي التاريخية والادبية . وقد طُبع هـذا الجزء بالعربية والانكليزية في المجموعة التي باشرت طبعها الجامعة الاميركية بعنوان « المراجع المختصة بآسية الغربية بعد الحرب العظمى (١٩١٤ ١٩١٨) » فشكر لها الادباء هذه المنة ، اذ امكنهم ان يستفيدوا من ثمرة جهد تابعه المؤلف الفاضل مدة اربع واربعين سنة .

ف . ا . ب .

الدروز

تأليف الكابيتان بورون

ترجمة عادل تقي الدين

٢٥٦ ص متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٣٤ – الثمن : ٥٠ غ . ل . س .

ظهر هذا الكتاب بلغته الفرنسوية سنة ١٩٢٩ ، كتبـه ضابط فرنسوي قضى عامين في جبل الدروز ، فدرس مظاهر الحياة فيه على اختلاف انواعهـا ، ونفذ من خلالها الى اخلاق الشعب الدرزي ، فبدّد كثيراً من الاوهام العالقة

بأذهان بعض الاوربيين، وعمل على حسن التفاهم بين الدروز والفرنسويين. وقد رأى المعرّب الشاب نقل هذا الكتاب لفائدتين، كما قال: «الاولى تعريف الفرنسيين الى الدروز بإراءة بني قومه آراء الفرنسيين فيهم وحسن اخلاقهم ونيّاتهم، والثانية تذكير الدروز بحسن ماضيهم وتعريفهم الى مواطنيهم باظهار جميل مزاياهم وصدق خدماتهم للبلاد . . .» واستحسن، في ذلك، فوق تعريبه الكتاب، بمقدّمة واسعة كتبها في الدروز واخلاقهم وعاداتهم، وخاتمة جمع فيها آراء بعض الادباء والشعراء في الدروز، فاتى الكتاب جامعاً مفيداً عاملاً على حسن التفاهم والتآلف. ف.١٠ب

مقالات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

١٠٨ ص. متوسطة صغيرة – مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٣٣

تقدّم لنا (المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٣١٨) وصف كتاب سابق للاستاذ بارودي دعاه «محاضرات في التربية والتعليم» فابنّا محاسنه العديدة ووعدنا القرّاء بظهور القسم الثاني بعنوان «مقالات في التربية والتعليم». وها هو بين يدينا الآن، جامعاً آراء نفيسة في المدرسة الابتدائية، واساليب التدريس فيها، وتكييف المناهج، واعداد الدروس، ونصيب اللغة العربية من ذاك كلّه. ثم هناك معلومات جديدة قيّمة عن «الولد في بلاد النور». وعلى الجملة فان الجزء الحاضر يتصف بالمحاسن التي ابنّاها في الجزء الاول. وكلها تسهّل نشر المبادئ الحديثة في فنّ التربية والتعليم. ف.١٠ب.

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصوَّر

تأليف الاب فردينان توتل اليسوعي

١٩٨ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦ – الثمن: ٣٦ غ. ل. س.

جُعل هذا الكتاب موافقاً لبرنامج التاريخ في المنهاج الرسمي، فجاء على اهمّ الاحداث التاريخية في المواطن الثلاثة، وذلك في خمسين فصلاً، صُدّر كل منها بصورة من ريشة الرسّام جوزف جيرار في باريس، تمثّل اخصّ ما يتناوله الفصل من الحوادث، وتُتبع باسئلة يُطلب من الطلاب الاجابة عليها في التدريس

إمّا شفاهاً عند تسميع الامثولة او كتابةً في الفرض. ويراجع بعد ذلك موضوع الفصل بعبارات وجيزة يسهل على الطالب استظهارها، وهي مسبوكة في قالب الاجوبة على اسئلة تتقدّمها. ويُختم كل من الفصول بايضاح تفصيلي يكتفي الطلّاب بقراءته حرفيًا وتفهُّم معناه، ثم بشرح الالفاظ اللغوية العويصة الواردة فيه. والكتاب بمجمله يبدو باسلوب عصري مستحدث قريب التناول غزير الفائدة من خير الكتب التاريخية التي توضع بين ايدي الطلاب في البلدان الثلاثة المتجاورة، المرتبطة حوادثها التاريخية بعضها ببعض.

فحول الشعراء

الفرزدق – النابغة الذبياني – جميل بثينة – ذوالرمة – أُميّة بن ابي الصلت

٥٢٠ ص. متوسطة – المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٤ – الثمن: ٧٠ غ. ل. س.

هي مجموعة سهلة المأخذ واضحة الطبع، لدواوين من تقدّم ذكرهم من الشعراء، رُتّب كل منها على الحروف الابجدية، وقُدّم عليه مقدّمة قصيرة في حياة الشاعر. وقد عُلّق بعض الحواشي على ديوان النابغة، علّقها ووقف على نشر الديوان الشيخ عبد الرحمن سلام. اما الدواوين الاربعة الباقية فقد جمعها ووقف على طبعها الاستاذ بشير يموت، وقد بذل جهدًا مشكورًا في جمع ديوان أمية بن ابي الصلت خاصةً، فاستحق الثناء.

مآثر عريضة: الجزء الثاني

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

٢٤×٨٤ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٤

رسالتان عربية فرنسوية نشرهما حضرة المؤلف بمناسبة العيد الثاني لارتقاء غبطة البطريرك الماروني الى السدة البطريركية في ٧ كانون الثاني ١٩٣٤، ضمّنهما ما اتمّه غبطته من المآثر مدة السنة الثانية من بطريركيته، وما ابداه من الغيرة على مصالح اللبنانيين جميعاً من مقيمين ومهاجرين. وقد الحق المؤلف بهاتين الرسالتين قصيدة عامرة في مدح غبطته دعاها «العروة الوثقى في الزعامة اللبنانية».

الاسلاك الشائكة — على مذبح الوطنية — العبرات الملتهبة

نظم الياس قنصل

ثلاثة كتيّبات في ٦٤ ص. و٧٦ ص. و٦٩ ص. صغيرة، بوانس ايرس، سنة ١٩٣١

شعر سهل ينقصه كثير من الضبط ، كما ينقص صاحبه كثير من الاختبارات في الحياة ، فتخفف من تهوّره ، وتنيله تحفّظاً وتواضعاً ورزانةً تنفع كل انسان، وان شاعرًا . على ان في هذا الشعر نفساً لا بأس به يبشّر بمستقبل حسن .

كيف يتقدس العلماني

تعريب الخوراسقف الياس الزيناتي

٢٤٤ ص. صغيرة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٣

وصفنا في مشرق ماضٍ (٢٩ [١٩٣١] ٨٠) الكتاب الاول الذي نشره حضرة المؤلف بعنوان « كيف يتقدس الاكليريكي » فكان من جملة ما قلناه ان الكتاب يقرأه الاكليريكي وغير الاكليريكي فيستفيدان منه . وهذا الكتاب الحاضر يقرأه العلماني وغير العلماني فيستفيدان منه كذلك في السير على اساليب حفظ السلام الباطني ، وهي افضل الاساليب التي يلجأ اليها الانسان في متاعب هذه الحياة ومشقّاتها ، وما اكثرها !

* لمة تاريخية في فرائد الآداب السريانية * تأليف الخوراسقف بولس السمّاني . الجزء الاول . المطبعة البطريركية اللاتينية في القدس الشريف ١٩٣٣ ؛ ص ٥٩ — نبذة عن اللغة الآرامية ومقارنتها باللغات السامية وازدهارها وغير ذلك، توطئة للجزء الثاني الذي سيظهر قريباً ، وفيه نبذة عن مشاهير كتبة السريان .

* كشف النقاب عن حقيقة الكتاب * او مدخل في الكتاب المقدس . المجلد الثاني من الكتاب الاول من الجزء الاول ، لمؤلفه الاب الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني . ص ١٤٧ — مطبعة المرسلين اللبنانيين سنة ١٩٣٦ . بحث في الاسفار المقدسة من يشوع بن نون الى المكابيين لُخّص فيه ما شاع من المبادئ التاريخية والانتقادية في واضعي هذه الاسفار ونسخها الاصلية وموضوعها استنادًا الى اقوال مشاهير العلماء .

* مقالة في انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء * معرّبة بتصرّف عن مقالة باللاتينية للخوري داود الخوري ب م ، بقلم الخوري انطون كيورك ب م . ص ٦٠ . مطبعة دير

المخلص، سنة ١٩٣٦ . لمحة اورد فيها المؤلف اهمّ البراهين الكتابية والتقليدية والليتورجية لاثبات انتقال السيدة والدة الله بالجسد الى السماء .

* المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي * تأليف يوسف عماد – ١٢٢ ص متوسطة صغيرة ، مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٦ – هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب الذي تقدَّم وصفه في مشرق السنة الثالثة (ص ٧٩) . وقد اعاد المؤلف نظره فيها فصلّح وزاد .

* النبي * تأليف جبران خليل جبران وتعريب الارشيمندريت انطونيوس بشير – ١٨٠ ص متوسطة صغيرة ، المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٣٦ – هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، واننا نُحيل القراء ، في وصفه ، الى ما كتبه المرحوم الاب شيخو عند ظهور الطبعة الاولى (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ٦٣٣) .

* الصحافة الحديثة * ٤٨ ص متوسطة صغيرة – مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٣ – هي رسالة نشرها دار الهلال بمناسبة انقضاء ٤٠ سنة على تأسيسها جمت فيها معلومات جمَّة مفيدة عن تطوّر الصحافة المصرية في ٤٠ عاماً ، وعن الادباء المشتغلين في مجلات دار الهلال ، ثم عن نظام العمل في الدار المذكورة ، ومنتجاتها باللغتين العربية والفرنسوية .

* حقيقة السلام في ملك السلام * ٢٧ ص متوسطة ، المطبعة البطريركية اللاتينية ، رافات ، ١٩٣٤ – هي مقالة واسعة دبّجتها يراعة حضرة المونسنيور يوسف العمشيتي الزائر البطريركي ردًّا على صحيفة يهودية ، فـأفاض فيها في ذكر تاريخية وجود السيد المسيح ، وكونه انساناً والهاً ، ثم ذكر عجائبه وقيامته وملكه الى الابد .

* نداء الى اصدقاء الاشجار * ١٢ ص متوسطة ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية – محاضرة قيّمة للحكيم امين الجميّل ، يذكر فيها منافع الاشجار ويناشد جميع اللبنانيين ان يعتنوا بالموجود منها ، ويزيدوا عدده باقبالهم على غرس الاشجار على مختلف انواعها .

* الرهبانية اللبنانية المارونية * الجزء الاول : ٤٢ ص متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – هي الصفحة التاريخية في الرهبانية المذكورة التي نشرها حضرة الاب انطونيوس شبلي اللبناني في المشرق ، طبعها على حدة تعميماً لفائدتها .

* رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني * ٢٤ ص متوسطة، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٤ . وهذه الرسالة ايضاً من منشورات المشرق في السنة ١٩٣٣ ، عرَّبها حضرة القس يوحنا عزّو عن الاصل السرياني الراقي الى القرن السادس عشر ، وقدّم عليها ترجمة البطريرك المذكور .

* السير في سبيل الواجب * ٣٢ ص متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ،١٩٣٤ – رسالة رعائية وجّهها السيد ايونيس جرجس ستيته ، رئيس اساقفة دمشق وتوابعها على السريان الكاثوليك ، الى ابناء ابرشيته .

* المائة بموجب قلب الله * ١٥ ص صغيرة – رسالة رعائية وجّهها السيد لويس بطانيان رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك في ماردين والعراق الى الاكليروس والشعب الارمني في ابرشيته .